الجامعة اللبنانية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الفرع الأول
قسم التاريخ

البريد في العصور الاسلامية
نشأته - تطوره - اغراضه

رسالة اعدت لنيل شهادة الدبلوم

اعداد
هيام عيسى

اشراف
الدكتور ابراهيم بيضون

١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

الجامعة اللبنانية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية « الفرع الأول »
قسم التاريخ

البريد في العصور الإسلامية

نشأته - تطوره - أغراضه

اعداد

هيام عيسى

اشراف

الدكتور ابراهيم بيضون

١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

الإهـــداء

الى الأهـــل

مقدمة

عندما قررت الشروع في الاستعداد لكتابة رسالتي هذه اتجه فكري إلى اختيار مادة البريد لأجعلها موضوعاً لها.

وبدأت بحثي تحت إشراف أستاذي، ابراهيم بيضون، ولكني لم أكد أمضي في هذا البحث حتى عدت إلى التفكير بالتخلّي عن الموضوع، لأنني لم أجد إلاّ عبارات مختصرة وكلمات مقتضبة هنا وهناك لا تكاد تشفي غليلاً.

ومن ثم دأبت على مطالعة المصادر والمراجع والتوسع في قراءتها ، فبدأت أرى في ثنايا السطور ومن خلال الموضوعات المختلفة إشارات صريحة أحياناً وغامضة أخرى أو ضمنية، لموضوع البريد، وسرعان ما وجدت نفسي غارقة في صميم موضوع البريد في العصور الإسلامية بمختلف نظمه ومؤسساته.

وقد اعترضتني صعوبات أثناء إعداد هذا البحث منها الوضع الأمني الذي رافق عملي أثناء تجوالي على المكتبات ، (مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت- مكتبة جامعة بيروت العربية- مكتبة المعهد الالماني لدراسات الشرق الاوسط في منطقة زقاق البلاط في بيروت- مكتبة المعهد العالي للدراسات الاسلامية في بيروت- مكتبة الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الانسانية - فرع بيروت) .

ومن هذا المنطلق وبغية التعرف الى نظام البريد في العصور الاسلامية، نسّقتُ مع استاذي المشرف الدكتور ابراهيم بيضون دراسة البريد في العصور الاسلامية، نشأته - تطوره- أغراضه.

لأن أي نظام في العصر الحديث، أو أي اختراع مفيد أو أية فكرة علمية ليست الا ثمرة من ثمرات التطور المتواصل ومحصلة لجهود الانسانية مجتمعة، ولما كانت الحضارة الاسلامية قد ورثت حضارات بلاد ما بين النهرين والفراعنة والفرس

واليونان والرومان وصهرتها في بوتقة واحدة ، ثم هضمتها كلها وأعادت صياغتها باضافات جديدة.

فإن الانسانية الحاضرة قد تلقت جلّ علومها وأنظمتها بعد أن مرت على أيدي المسلمين وخاصة العباسيين، وطبعت بطابع حضارتهم الاسلامية. وبالتالي فلن ندرك حقائقها ما لم نلم بتطوراتها، الامر الذي يوجب علينا دراستها عند المسلمين الذين وصلت حصارتهم الي أوجها أيام بني العباس.

ونظام البريد كسائر الأنظمة يخضع لهذه القاعدة.

أما خطة العمل. فقسمت الرسالة الى أربعة أبواب رئيسية تتضمن كل منها فصول عدة.

الباب الاول احتوى فصلين، وتحدثت فيه عن البريد في فترة ما قبل الاسلام وطريقة قياس البريد كما وردت في المؤلفات الجغرافية الإسلامية ، واتبعت هذا بعرض تاريخي لنشأة البريد عند الجماعات والدول القديمة.

الباب الثاني احتوى فصلين، وتحدثت فيه عن البريد منذ العهد النبوي إلى نهاية العصر العباسي. وقد بدأت الكلام فيه على عرب الجاهلية ومعرفتهم لنظام البريد، ثم انتقلت الى البريد النبوي وبداية ترتيبه وتطوره، ثم ذكرت البريد في العهد الراشدي. ثم جاء البريد الاموي بتنظيمات جديدة وأساليب متنوعة. وبعد ذلك تحدثت عن البريد العباسي وصاحب ديوان البريد وعماله، فجاء البريد العباسي في صورة مغايرة تماماً لما كان عليه أيام الامويين من حيث الدقة والتوسع والادارة . وقد رتب له ديوان خاص منذ أيام الخليفة المنصور. كما أشرت الى اختصاصات صاحب الديوان والشروط الواجب توافرها فيه والصفات التي ينبغي ان يتحلى بها نظراً لأهمية هذا المنصب.

الباب الثالث احتوى فصلين، وتحدثت فيه عن البريد المملوكي حيث استمر الوضع علي حاله الى ان استطاع الظاهر بيبرس الاستيلاء على الحكم سنة ١٢٦٠ م فأسس دولة قوية، وأعاد تنظيم البريد على أسس جديدة وان تنظيم البريد في عهد

بيبرس اكتسب صفة الادارة السلطانية.

الباب الرابع احتوى فصلين، الوسائل والطرق المستخدمة في نقل البريد.. بالاضافة الى ميزانية البريد حيث تعددت هذه الوسائل وتنوعت من بريد الخيل والدواب والجمازات الى بريد السعاة ومن ثم الى البريد الجوي او المجنح «الحمام الزاجل» ومن نظام التخاطب وبالمشاعل والطبول والماد لمعرفة الاخبار. كما تطرقت الى الحديث عن البريد وحمل الثلج.

أما بالنسبة لطرق البريد وسككه فقد ذكرت أهمية الطرق وتقدمها بتقدم الحضارة وبيان حاجة الامم القديمة اليها. ثم تحدثت عن طرق الرومان والعرب. كما أشرت الى طرق البريد في العهد المملوكي وقد عُرفت بالدرب السلطاني. كما ذكرت المراكز والطرقات التي أنشأها الظاهر بيبرس.

وللتعمق في هذا الموضوع، ينبغي الاطلاع على الملاحق التي أفردتها في نهاية هذه الرسالة (من ص ١٦٣ الى ص ١٩٦).

ثم ختمت البحث بالحديث عن المحطات والاربطة وعلاقتها بنظام البريد.

وأخيراً لا أدّعي الكمال في معالجة موضوع «البريد في العصور الاسلامية» فهو واسع الآفاق، لا يفيه حقه بحث قليل الصفحات أعد لنيل الدبلوم ، بل ربما سد زاوية ضيّقة من صرحه المترامي الاطراف، أو ربما أمكن اعتباره تذكيراً بأهمية الموضوع ووجوب الاهتمام به.

فأرجو ان أكون قد وفقت في معالجته، ولكن الموضوع يبقى مفتوحاً أمام جميع الباحثين كي يضيفوا الى ما توصلت اليه في رسالتي هذه، من دراسات وأبحاث مستفيضة علّها تكشف لنا أموراً جديدة في عالم البريد وتطوّره عبر العصور، لا سيما في العصر الاسلامي الذي كوّن أرضيّة صلبة ورحبة لموضوعنا. ويبقى موضوع البريد مظهراً هاماً من مظاهر الحضارة ويخضع في الآن ذاته الى كلّ تحسين وتطوير نتيجة طفرة تقدم التقنية في عصرنا الحاضر.

وهنا لا يسعني الا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان الى كل من ساهم بمساعدتي لتحقيق هذا البحث، وأخص بالذكر استاذي الدكتور ابراهيم بيضون الذي أشرف مباشرة على الرسالة وقدم مقترحاته القيّمة وتوصياته الصائبة. كما أشكر الدكتور حسين سبيتي الذي بذل جهده في سبيل مساعدتي لاتمام هذا البحث وقدم إرشاداته القيمة التي أخذت بها، كما أشكر الدكتورة نشأت الخطيب على مقترحاتها وملاحظاتها القيّمة التي أرشدتني اليها.

كما أشكر أيضاً كل الذين ساهموا في مساعدتي في انجاز هذا البحث.

والله ولي التوفيق

نقد بعض المصادر والمراجع

لا تقتضي الضرورة الكلام على جميع المصادر والمراجع التي أشرت اليها في صفحات هذه الرسالة، وانما سأقصر جهدي على الأساس منها وخاصة تلك التي تكرر ذكرها في معظم فصولها، وتبعاً لذلك أوردها وفق التسلسل الزمني لأصحابها.

١- المسالك والممالك لابن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢م.).

وقد أفدت منه بمعلومات تاريخية لها قيمتها العلمية، لاسيما في ما يختص بطرق البريد وسككه في أنحاء الدول الاسلامية، كما أورد بنداً من كتاب «الخراج وصنعة الكتابة» لقدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي، الذي حوى بالاضافة الى كتاب المسالك على فصول البريد والمسافات. وقد شكل ذلك كتاباً واحداً "كتاب المسالك والممالك" وقد تخصص بذكر المسافات، وقد ذكر ابن خرداذبه في كتابه هذا ،المسافات بين كل محطة وأخرى على طول الطريق الخراساني الكبير وفروع الطرق الاخرى. وتكمن أهمية هذا الكتاب كون ابن خرداذبه كان مسؤولا عن ادارة البريد في ولاية الجبال بينما كان قدامة عاملاً للخراج.

٢- تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠ هـ/ ٩٢٢م) .

وقد أفدت كثيراً من نصوصه التي تشير الى عناية خلفاء بني العباس لاسيما ابي جعفر المنصور والمأمون بنظام البريد .كما تشير الى عنايته هو أيضاً بهؤلاء الخلفاء والتأثر بهم.

٣- التعريف بالمصطلح الشريف للعمري (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م) .

تقلد العمري ديوان الانشاء والرسائل أيام ولاية الناصر محمد بن قلاوون الثالثة (٧٠٩- ٧٤١هـ) وفيه يتحدث عن رتب المكاتبات السلطانية واجراءاتها، ثم يعرض أوضاع الدول وتقاسيمها الادارية. كما يشير الى مراكز البريد والخيل وبريد الحمام الزاجل وأبراجه ووسائل المواصلات البحرية في مصر المملوكية بعد ان يمهد لذلك

بموجز عنها في العصور السابقة وقد أفدت منه. كما انتفع به القلقشندي في موسوعته "صبح الاعشى في صناعة الانشاء".

٤- صبح الاعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م.) .

يعتبر هذا الكتاب موسوعة لها قيمتها العلمية والتاريخية على الرغم من القول ان الجزء الخاص بالبريد منقول عن العمري. وتحدث فيها عن البريد وأول من وضعه في الجاهلية والاسلام وبيان معالم ومراكز ومطارات الحمام الرسائلي وأبراجه بالديار المصرية والبلاد الشامية والمناور والمحرقات. وكتاب القلقشندي كتاب تاريخ كما هو كتاب أدب، وقد أفدت منه كثيراً في بحثي لا سيما في الفترة المملوكية.

٥- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي(ت ٨٤٥هـ١٤٤١م.).

جمع هذا المؤلف، الكثير من الخطط والاثار والحكم وقد أفدت منه كثيراً لا سيما فيما يختص في سرد أخبار الخلفاء وبيان معالم ومراكز الحمام الزاجل وأبراجه في فترتي الحكم العباسي والمملوكي وطرق البريد المملوكي.

٦- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ايضاً .

وقد أفدت فيه في سرد أخبار الخلفاء في العهد العباسي والمملوكي وبيان أنواع الحمام الزاجل.

٧- التراتيب الادارية الكتاني (ت ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م.) .

اعتمد فيه الكتاني على كتاب تخريج الدلالات الشخصية على ما كان في عهد الرسول من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية للعلامة ابي الحسن علي بن ذي الوزارتين المعروف بالخزاعي(٧١٠-٧٨٩هـ). وقد أفادني بالمادة البريدية لا سيما فيما يتعلق بتسرب الاخبار الى النبيّ (ص) عن طريق العباس كما أفدت فيه في فترة الخلفاء الراشدين ، لا سيما في تحديد مراكز البريد لنقل الاخبار بين الخلفاء والولاة وتبادل الهدايا بين المسلمين والروم.

المراجع المعرّبة

٨- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، لمتز:

أورد متز في كتابه جزءاً كبيراً في الكلام على المواصلات البرية والبريد وطرقه الهامة في الدول الاسلامية، فاعتمدت عليه كثيراً خاصة في طرق البريد، كما أفدت منه في ذكر صاحب ديوان البريد وعماله. ووسائل نقل البريد عند العباسيين والحمام الزاجل وأخيراً الأربطة.

المراجع الاجنبية

9- La Poste aux chevaux dans L"Empire des Mamlouks: Sauvaget, J.

وقد أفدت منه كثيراً لأنه غطى الفترة المملوكية بأكملها حيث تحدث Sauvaget عن نشأة البريد في الدولة المملوكية والخدمات التي أداها الظاهر بيبرس بنوع خاص الى الادارة البريدية وطرق البريد ومحطاته وعماله وبريد الحمام وأبراجه. وجمع المؤلف مادته من المصادر العربية لا سيما "صبح الاعشى في صناعة الانشاء" للقلقشندي والاصول التاريخية والادبية المعاصرة، ومن مشاهدته الشخصية لبقايا محطات البريد والنصوص المنقوشة عليها.

الباب الاول

مفهوم البريد ونشاته في العهود القديمة

الفصل الاول:

البريد في شرقي آسيا

الفصل الثاني:

البريد في شمالي افريقيا واوروبا الشرقية

المداول اللغوي لكلمة بريد:

قبل أن نبدأ الكلام على البريد وتاريخ نشأته، لا بد من أن نفسر ماذا تعني كلمة بريد...لعلّ كلمة "البريد" العربية نقلت عن الكلمة اللاتينية VEREDUS, ومعناها "دابة البريد" أو حصان البريد ، وثم ناقل البريد. وبعدها تطورت فأصبحت تدل على النظام نفسه، ثم أطلقت آخر الامر على المرحلة بين مركزي بريد[١].

البريد أيضاً هو الرسول، والجمع برد[٢] ، وفي الحديث النبوي « اني لا اخيس بالعهد ولا أحبس البرد »، أي لا أحبس الرسل الواردين عليَّ. ومنه أيضاً اذا أبردتم اليَّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه، حسن الاسم[٣]. وقال بعض العرب: الحمى بريد الموت، أراد لها رسول الموت تنذر به[٤]. والبريد هو مسافة معلومة بين محطتين اوسكتين بريد[٥]. أما مسافة البريد فتُقاس بالأميال أو بالفراسخ كما ورد عند ابن خرداذبه وقدامة أو بالمراحل كما فعل الاصطخري، وقد قومت المرحلة بفرسخين في بلاد فارس وأربعة فراسخ في المغرب، والفرسخ في الحالتين ثلاثة أميال[٦].

وفي الحديث لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد وهي ستة عشر فرسخاً [٧]. وكان الخلفاء المسلمون يقيسون المسافات بالاميال غربي الفرات أما في شرقيه فبالفراسخ[٨].

أما تقدير البريد فقد اختلف فيه الرأي. فابن فضل اللّه العمري قال: ان البريد المحرر هو أربعة فراسخ ، والفرسخ هو ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي والذراع أربعة وعشرون اصبعاً، والاصبع أربع شعيرات ظهر واحدة الى بطن أخرى

١-دائرة المعارف الاسلامية، ج ٣ ، ص٦٠٩ .

٢-ابن منظور: لسان العرب ، ج٣ ، ص ٨٦ .

٣-ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث والاثر ، ج ١ ، ص ١١٥-١١٦ .

٤-ابن منظور: لسان العرب ، ج٣ ، ص ٨٦.

٥-علي، جواد، : المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٥، ص ٣١٩.

٦-دائرة المعارف الاسلامية، ج٣، ص ٦٠٩.

٧-ابن الاثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج ١ ، ص ١١٦.

٨-متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤ هـ. ، ج٢ ، ص ٤١١.

والشعيرة أربع شعرات من ذنب بغل فهذا هو البريد المعمول عليه في كل عمل[٩] .

وقد قدر الفقهاء وعلماء المسالك والممالك مسافة البريد بانها أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي، وهو أربعة وعشرون اصبعاً، كل اصبع ست شعيرات معترضات، ظهر إحداها لبطن الاخرى، والشعيرة سبع شعرات معترضات من ذنب بغل أو برذون[١٠].

وتطلق كلمة بريد أيضاً على دابة البريد، ذلك انها تحمل الرسائل وقد قال الشاعر:

إنني أنص العبس حتى كأنني   عليها بأجواز الفلاة بريدا[١١] .

وقد اختلف المؤرخون في أصل كلمة البريد، فذهب بعضهم، ومنهم القلقشندي الى القول، بأن كلمة "بريد" مشتقة من برد أو أبرد بمعنى أرسل، وقيل كذلك: بردت الحديد اذا أرسلت ما يخرج منه، وقيل أيضاً: من برد اذا ثبت لانه يأتي بما تستقر عليه الاخبار[١٢]. وهذا الاشتقاق لو صح لا يمنع ان العرب في نظام البريد مقلدون[١٢].

وذكر ابن منظور، ان البريد كلمة فارسية، يراد بها في الاصل البرد، وأصلها "بريده دم"، أي محذوف الذنب، لان بغال البريد كانت محذوفة الاذناب كالعلامة لها، فأعربت وخُففت لأن من عادة الفرس إذا أقاموا بغلاً في البريد قصوا ذنبه، ليكن ذلك علامة لكونه من بغال البريد"[١٣].

وخلاصة القول ان العجم لهم الفضل الاكبر في معرفة البريد وترتيب نظامه بمعناه الشامل وان اسمه أعجميٌ في أصله لا عربي كما ذكر القلقشندي.

وأكد ذلك ما ذكره بعض المستشرقين من ان أكثر مصطلحات البريد التي كانت مستعملة أيام الخلفاء فارسية الاصل، ومنها الفرانق والفيج والشاكري بمعنى راكب

٩- العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٨٤.

١٠- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤ ، ص ٣٦٦.

١١- ابن منظور: لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٨٦.

علي، جواد، : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٥ ، ص ٣١٩.

١٢- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤ ، ص ٣٦٧.

١٢- متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢ ص ٤١٠

١٣- ابن منظور: لسان العرب ، ج٣ ، ص ٨٦.

البـريد، والاسكدار وهو السجل الذي يدون فيـه عـدد حـقـائب البـريد والخطابـات، ويثبت فيه كذلك ساعات الوصول الى سكك البريد والخروج منها[14] .

أما كلمة "بوستة " التي نستخدمها اليوم في اللغة العامية، فيشير القاموس الفرنسي لا روس، الى انها في الاصل لاتينية Poste وتعني المكان، وهي تدل على المراكز التي كان يتم فيها استبدال الخيول.

بعد هذه التعريفات نستطيع ان نستخلص ما يلي:

- ان أصل كلمة بريد غير عربية، وقد اتفقت على ذلك عدة مراجع، وقد أدخلت الكلمة مع النظام.
- البريد هو مسافة معلومة بين محطتين أو سكتين.
- أطلقت كلمة بريد على الرسول(الساعي)، على الدابة، وعلى المسافة.

نشأة البريد في العهود القديمة:

قبل اختراع الكتابة، كانت هناك حاجة للتواصل بين المجتمعات سواء على صعيد تبادل الافكار والحاجات، أم على صعيد تبادل الرسائل في علاقة شخصية ورسمية، الرسائل الاولى كانت شفهية،وتطور الامر بعد ذلك فأوجد الانسان لوحات تحمل بعض الاشارات المعينة ليس لها مدلول الا للمرسل والمرسل اليه. هذه الاشارات تساعد ايضاً حامل الرسالة على الاستذكار[15].

بريد سومر

قادت التجارة وادارة الحكومة، الى إثبات السومريين بعض البيانات بواسطة أختام كانت تحفر حفراً سطحياً بالجزء المدبّب من نبات الغاب.

بينما اللوحات الطينية التي تسجل عليها، حسابات المنزل والخطابات، والايصالات والمذكرات، تظل تحت أكوام المساكن التي تتهدم لانها في أغلب الاحيان تشمل مدوّنات حكومية هامة[16].

١٤-متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤ هـ. ، ج٢ ، ص ٤١٠.

١٥- Ency,Universalis-art, organisation Postale V, 13 P: 400.

١٦-برستد ، جايمس هنري: انتصار الحضارة ، ص ١٦١-١٦٩.

ومما لا شك فيه ان مثل هذه الامور لا يمكن ان تحصل الا اذا توفر لها نظام بريدي دقيق محكم، ليتمكن من تسيير العمل وتلقّي الاخبار، وتسجيل المراسلات والوثائق، وحفظها في سرية تامة ، وخاصة المتعلقة بالحكومة. كما ان السومري استعمل الخاتم فكان يبصم بخاتمه على الطين اللين ليقوم مقام التوقيع باسمه[١٧]. خاصة فيما يتعلق بالمعاملات التجارية والمراسلات.

بريد بابل:

عرف البابليون نظام البريد بشكل مرتب ومنسق فقد سعوا منذ أقدم العصور للخروج الى ما بعد الحدود الطبيعية، لا طمعاً في تكوين امبراطوريات يحكمونها، بل لتمكين بلادهم من الحصول على موارد أخرى، هم في حاجة اليها، وقد عبّدوا في سبيل ذلك الطرق التجارية البرية، وبنوا فيها القلاع والحصون لتأمين سير القوافل، وأنشأوا أيضاً نظام البريد لنقل الوسائل والاخبار، كما أقاموا في خارج العراق القديم مراكز تجارية[١٨].

ان إنشاء مراكز تجارية خارج حدود العراق يتطلب تأمين محطات وسكك بريد لكي تستريح فيها القوافل التجارية واستبدال الخيول المتعبة بخيول مستريحة وهذا لا يتم الا عن طريق تنظيم البريد.

لا شك ان نظام البريد بمعنى تبادل الأخبار والرسائل الشفوية والمكتوبة بين فرد وآخر في مكانين متباعدين أو بين جماعة وأخرى ، من الانظمة التي تأخر ظهورها في الجماعة البشرية، ولم تبدأ خطواتها الاولى الا بعد محاولات عدة، واجتياز حلقات من تدرج الانسان في سبيل المدنية والعمران.

فنظام البريد في بابل كان محصوراً بيد الملك فهو الذي يشرف عليه مباشرة ، وحيث كان حمورابي يجلس في قاعة الحكم في قصره، يملي على كاتبه "كاتم سره" ما يريده من رسائل في جمل مقتضبة واضحة المعاني، تحمل أوامره الى ولاته الذين

١٧-المرجع السابق، ص ١٧٤.

١٨-نجيب، ميخائيل ابراهيم: مصر والشرق الادنى القديم ، ج٦ ، ص ١٩٢.

عينهم على المدن السومرية بعد ان أصبحت خاضعة له. وبعد ان ينتهي الكاتب من عمله ، يرش الرقيم اللين بحفنة من التراب الجاف لمنع الغلاف الطيني الذي يلف له من الالتصاق بالكتابة، ويكتب بعد ذلك عنوان المرسل اليه، ثم يبعث بالرقيم ليوضع في الفرن. ويأتي المرسل الى الملك بخطابات مماثلة، يفتحها كاتم السر الذي يثق به سيده ، فيكسر الاغلفة أمام الملك ويقرأ بصوت مرتفع ما يبعث به موظفوه من جميع انحاء المملكة ويملي الملك ردوده في الحال[19].

نستطيع القول ان تلك الخطابات كانت تنطوي على دقائق الحياة المليئة بالعمل التي كان يحياها احد الحكام الشرقيين في آسيا. وتبين مراسلات حمورابي كيف كانت السلطة المركزية تُعنى بادارة شؤون الدولة، وتهتم بأقل التفصيلات، وتركز في بابل ادارة جميع الشؤون السياسية والادارية والعسكرية. هذا بالفعل يعود الى نظام بريد محكم تمكنت الحكومة بواسطته من ادارةالدولة.

بريد آشور:

تركزت ادارة الامبراطورية في آشور بِأسرها في ديوان الملك كما كان الحال في بابل حيث وضع الملك نظاماً للرسل الملكيين، وشرع في إنشاء الطرق وتمبهيدها، وقد أقيمت على هذه الطرق مراكز بريد ليسهل على الموفدين ايصال الاخبار بسرعة[20].

ان حدود هذه الرسائل تبين كيف كانت الحكومة المركزية تطّلع أولاً بأول على ما يجري من احداث على الحدود وفي الدول المجاورة. التي احتلوها وقسموها الى مقاطعات ترتبط بصورة مباشرة بالسلطة المركزية،ولهذا فادارة البلاد وتنظيمها مرتبط مباشرة بانشاء طرق للبريد مزودة بمحطات وأماكن لاستراحة الرجال والخيول. يعتبر هذا النظام بداية لنظام البريد الذي كان له ان يبقى معمولاً به عدة قرون في الشرق الادنى.

ونظراً لاتساع الامبراطورية الاشورية فقد عين الملك في جميع النقط الهامة على

١٩-برستد، جايمس هنري : انتصار الحضارة ، ص ١٨٨.

٢٠- ، ، دي لا بورت: بلاد ما بين النهرين ، ص ٤٢٢-٤٢٣ .

الطرق الرئيسية موظفين ليقوم كل واحد منهم بالاشراف على جميع الاعمال الملكية وتسيير اجراءاتها، وبهذه الطريقة أمكن ضمان سهولة امر انتقال الرقم البريدية، والمحاصيل والبضائع التي تتعلق بالقصور الملكية"[٢١].

مما يثبت ان الرسائل والتقارير التي كان الامبراطور الاشوري يتسلمها من أكثر من ستين حاكماً للولايات والمناطق التي كانت تحت حكمه، ترتبط مباشرة بنظام البريد الذي كان محصوراً بديوان الملك.

بريد فارس:

اشتهر الفرس بنظام البريد، ومما جاء على لسان هيرودوت بهذا الصدد: انه لم يكن هناك رجال يفوقون سرعة رجال البريد في بلاد فارس. كما أنه لم يكن هناك أي نظام يتميز عن النظام الفارسي في نقل البريد. وأنه من خلال حملته على بلاد (الاسكيثيين) Les Scythes أراد قورش مؤسس الدولة الاخمينية في فارس ان تكون هناك اتصالات مباشرة ودائمة ومنظمة مع "شوشة" عاصمة بلاده، لذلك قام بتنظيم سلسلة من المراكز الملكية على الطرقات التي تجوب الامبراطورية يبعد الواحد عن الآخر مسيرة نهار"[٢٢].

وداخل هذه المراكز كان الرجال ومعهم الخيول على أتم الاستعداد للرحيل عند أول اشارة. ولكن الفضل في تقديم البريد يرجع الى ما قام به دارا الاول من ربط اجزاء الامبراطورية الفارسية في الشرق الادنى"[٢٣].

ان ذلك تم بفضل الطرق المعبّدة التي أقامها ومحطات البريد التي أوجدها بين عواصم الاقاليم وبفضل النظام الدقيق الخاص بالمفتشين الذين كانوا يسمون عيون الملك وآذانه.

٢١-برستد، جايمس هنري: اتصار الحضارة ، ص ٢١٨-٢١٩.

٢٢- Dict, Encycl: Quillet, art, Poste P-S.P. 4664.

٢٣-متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ ، ج ٢، ص ٤١٠.

ولما كان الغرض الاساسي من ايجاد نظام البريد خدمة مصالح الدولة، لا مصالح الافراد، كان لزاما على ملوك الفرس ان يفردوا ديواناً خاصاً للبريد ليتأكدوا من دوام وسرعة ايصال الاخبار من الحكومات المحلية الى الحكومة المركزية. وقد أورد المسعودي ذلك بقوله:

«كان لانو شروان خواتم أربعة: خاتم للخراج فصه من العقيق، نقشه العدل، وخاتم للضياع فصه فيروزج، نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصّه ياقوت كحلي، نقشه التأني وخاتم للبريد فصّه ياقوت أحمر يتقد كالنار، نقشه الوفاء»[٢٤].

ومما يؤثر عن ابرويز انه كتب الى ابنه شيرويه ينصحه بمعاقبة من يتلكأ في دفع الخراج واستخدام البريد كوسيلة من وسائل ضمان جباية الخراج وعدم تملّص أحد من دفعه، «اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانة كعقوبتك على الكثير منها. وابراد البريد في الدرهم ينقص من الخراج، ولا تعاقبن على شيء كعقوبتك على كسره»[٢٥].

مما يدل على ان نظام البريد كان يلعب دوراً هاماً ومميزاً في ادارة شؤون السلطة ليس من ناحية تلقي الاخبار ونقلها الى الملك، ونقل اوامر الملك الى الولاة في الحكومات المحلية، بل أيضاً تعداها الى طريقة جباية الخراج واستخدام البريد كوسيلة لضمان الحصول على الخراج. وهناك نص آخر لابن عبد ربه يتضمن نفس المعنى. قال ابرويز لصاحب بيت المال:

« اني لا أعذرك في خيانة درهم، ولا أحمدك علي صيانة ألف ألف، لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتقيم أمانتك، فإنك إن خنت قليلاً خنت كثيراً. واحترس من خصلتين: النقصان فيما تأخذ، والزيادة فيما تعطى[٢٦]. واعلم اني لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والقوة على العدو، الا وأنت عندي آمن من موضعه الذي هو فيه، وخواتمه التي هي عليه، فحقق ظني باختياري إياك، أحقق ظنك في رجائي إياي، ولا

٢٤-المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص ٣٠٩.

٢٥- أمين، أحمد: فجر الاسلام ، ص ١١٩.

٢٦-ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج١، ص ١١.

تتعوض بخير شراً، ولا برفعة صنعة، ولا بسلامة ندامة، ولا بأمانة خيانة»[٢٧].

يتبين مما تقدم ان الكاتب أحمد أمين قد غيّر اللفظ مع العلم ان المعنى واحد. مما لا شك فيه ان الملك كان يعتمد على رجال موثوق بهم من أجل جباية الخراج وسد نفقات المملكة، كاعتماده على رجال البريد لنقل اوامره الى الولاة في الاقاليم.وهذا يدل على ان توليه المناصب ليس من الامور الميسورة، بل يشترط لتولية منصب ادارة البريد ومنصب بيت المال، أن يكونا موضعي ثقة لدى الملك نظراً لأهمية وظيفتها ودقتها.

غير ان البلاذري يشير الى انضمام مصلحة الرسائل والرسل الى المصالح الاخرى تحت اشراف صاحب الزمام، حيث نراه يقول:

« كان الملك من ملوك فارس خاتم للسر، وخاتم للرسل وخاتم للتخليد، يختم به السجلات والاقطاعات وما أشبه ذلك من كتب التشريف، وخاتم للخراج، فكان صاحب الزمام يليها، وربما أفرد السر والرسائل رجل من خاصة الملك»[٢٨].

يفهم من ذلك ، ان ملوك الفرس خصوا عنايتهم بصاحب الرسل والرسائل وكانوا يتحرّون الدقة في من يتولّى وظيفة البريد لاعتبارها من الوظائف الهامة في الدولة

ومما يؤثر عن كسرى انه لا يولي البريد الا أولاده، لضمان ثقته بهم وسرعة ايصال أخبار الولايات اليه[٢٩].

والجدير بالذكر ان عمال البريد لم تقصر مهمتهم علي نقل الرسائل فقط، بل كانوا مثقلين بعبء مراقبة الادارة في الولايات وكتابة التقارير إلى البلاط فكانوا أشبه بالجواسيس. وقد أشار المسعودي إلى ذلك، فتحدث عن انو شروان:

« انه جلب يوماً للحكماء ليأخذ من آرائهم وتكلم كل واحد بما خص من الرأي فقال أحدهم:"ايها الملك ، أنا جامع لك ذلك في اثنتي عشرة كلمة، ثم عددها حتى وصل القول:"والحادية عشرة اذكاء العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ له أهميته

٢٧-المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١.

٢٨-البلاذري: فتوح البلدان ، ص ٤٥٠.

٢٩-زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي ، ج١ ، ص ٢٣٩.

قبل هجومه" »[٣٠].

المقصود هنا من كلمة « عيون » عمال البريد لان الجاسوسية من طبيعة عملهم. وقد احتاطت الحكومة الملكية لهذا الامر، فعملت على حماية الجمهور من نظام الجاسوسية، وذلك بألا يعين الملك عيوناً أو شرطة الا من الرجال المخلصين على شريطة الا يخبروه بشيء، الا اذا كان قد وقع تماماً وموثوقاً في صحته.

٣٠-المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج١ ، ص ٢١٠.

البريد المصري

كان من جملة الاهتمامات المصرية بشؤون البلاد على غير صعيد في عهد الفراعنة الاهتمام بالبريد، حتى يتمكن الملوك والحكام من الاتصال بمندوبيهم للوقوف على أخبار المواطنين وتسهيل حاجاتهم. كما يوجد مستند بريدي يعود تاريخه الى سنة ٢٥٥ ق.م. وهو عبارة عن وثيقة تاريخية دون موظف بريد مصري. في هذه الوثيقة تفصيلات حول سوق الرسائل، ورسل البريد المعنيين بالخدمة. والطرق التي كانوا يسلكونها، بالاضافة الى الاشخاص المرسلة اليهم. ولما كان المرسل اليه بصفة غالبة هو الفرعون أو وزير ماليته، فيعتقد ان تنظيم رسل البريد لم يكن ليسمح للأفراد باستخدامه. فكانت الادارة تقيم علاقات متابعة مع جميع اقاليم المملكة، مهما كانت بعيدة. ولهذا السبب كان يحتم على الرسل ان يكونوا قادرين علي قطع المسافات الطويلة سيراً على الاقدام، وبل هناك مستند بالغ القدم، يرجع تاريخه الى سنة ٢٠٠٠ ق.م. ويعتبر أول وثيقة جاء بها ذكر البريد وهي عبارة عن وصية كاتب لولده يظهر فيها أهمية صناعة الكتابة والمستقبل المجيد الذي ينتظر الكاتب في وظائف الحكومة، فقد قال هذا الكاتب:

« أما ساعي البريد فانه يحمل أثقالاً فادحة، ويكتب وصيته قبل ان ينطلق في مهمته تحسباً لما قد يصادفه في طريقه اثناء تأدية مهمته »[٣١].

يتضح من هذا النص ان البريد كان موجوداً عند الفراعنة منذ الدولة الوسطى وانهم تمكنوا عن طريقة من الاتصال بالعالم الخارجي. الا انه كانت تعوزه الطرق الآمنة المزودة بالمحطات ووسائل الراحة.

فتنظيم طريق للمواصلات في هذا العصر كان يعد مجهوداً ضائعاً في بلاد تغطي بالفيضان معظم أيام السنة، ولذلك يقول هيرودوت:« عندما يفيض النيل على البلاد

٣١- . نقلاً عن بردية مصرية.

- ريدج . أ. هـ : البريد ، ص ٩-١٠.

لا تظهر الا المدن فقط من وسط الماء، ويكون مثلها كمثل الجزر الصغيرة في بحر إيجة»[٣٢].

وعليه فان تنظيم طرق للبريد والمواصلات يصبح جهداً ضائعاً في بلاد تغطى بالفيضان أشهر عديدة من السنة. كما لم تسمح طرق المواصلات للسلطة المركزية بأن تقوم بتحقيقات مستفيضة مع حكام المقاطعات الذين أعطوا سلطة واسعة في عهد الفراعنة الضعفاء.

وكذلك فان الحمار قام بدور هام في المواصلات البرية، خصوصاً في عصر الدولة القديمة، يوم كان دابة الحمل العادية لصبره وتحمّله، وقد استعمل منذ أقدم العصور في القوافل والبعوث التي كان يرسلها الملوك الى الجهات النائية[٣٣].

مما يثبت قطعاً تخصيص الفراعنة للبريد دواباً تقوم بحمله خارج القطر وداخله.

البريد عند الرومان :

اختلفت الروايات التاريخية في تقرير ابتداء نشأة البريد عند الرومان، فمنها ما نسب أول ترتيبه الى يوليوس قيصر، ومنها ما قال بوجوده أيام الجمهورية الرومانية القديمة. وأغلب الظن ان البريد لم يكن مرتباً فيها بشكل عام، وان كان لأمراء البلاد برد كثيرة مختصة بمراسلاتهم. وقد ذكر بعضهم وجود البريد عند الرومان قبل ميلاد المسيح بقرن[٣٤].

بينما قال آخرون بنشأة البريد في أوائل القرن الاول الميلادي حيث أقام الرومان شبكة من محطات البريد بين كل محطة وأخرى مسافة خمسة أو ستة أميال، وبكل محطة أربعين من خيل البريد يقطع المسافر يومياً مائة من الاميال[٣٥]، وكان استعمال البريد مرخصاً به لمن يحمل أمراً امبراطورياً. وكان البريد في الاصل مقصوراً على الخدمات العامة.

٣٢-٣٣-سليم ، حسن: مصر القديمة ، ج٢. ٢٢١.

٣٤- Encyclopaedia Britannica. t. 18. P: 306.

٣٥-جيبون: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج١ ، ص ١٠٥.

ومهما يكن من اختلاف المؤرخين حول تقرير ابتداء نشأة البريد عند الرومان، فان أباطرتهم أدركوا ما للبريد من أهمية سياسية وحربية وادارية، فعنوا بتنظيمه في امبراطوريتهم المترامية الاطراف. حيث قامت الامبراطورية الرومانية بغزو البلاد المجاورة ساعية الى جعل المتوسط بحيرة رومانية، فاستولت على مناطق شاسعة وعبّدت الطرق الطويلة لتمكّن الفرق العسكرية ورسل البريد من السير بسرعة أكبر. ووضعت الامبراطورية ايضاً نظام اتصال على مستوى طموحاتها وحاجاتها فكان الـ Curus Puplicus ، وتدل هذه التسمية على الضرورات السياسية التي كانت في أساس وضع النظام البريدي، وتم ذلك في عهد الامبراطور اوغسطس قيصر. وقد جهز الطرقات بمراكز بريدية يسع الواحد منها أربعين جواداً[٣٦] .

بينما كانت الرسائل الصادرة عن المدينة الخالدة الى الاقاليم تحمل من قبل Coureurs وتتم سيراً على الأقدام أو ركوباً على الخيل، ثم أصبح بعد ذلك عربات تنقل، اضافة الى الرسائل، الموظفين الرسميين الذين يحملون تصاريح خاصة تخوّلهم استعمال طرق النقل الرسمية هذه[٣٧].

ثم توسع دقلديانوس في نظام البريد فخصص نوعاً منه للادارة، وآخر للشؤون الحربية وثالث للافراد، وقد أفاد البريد الحربي تراجان عندما أراد ان يؤمن الاتصال بين الفصائل الحربية التي وزعها على أطراف الامبراطورية، فأنشأ مراكز البريد وزودها بالحراس والخيول[٣٨] .

البريد البيزنطي:

وقد استمر العمل في البريد أيام البيزنطيين، ولكن لا يعرف ما اذا كان البريد المكتوب . لكن من المرجح ان يكون البريد المحرر لان حكمتهم تأبى غير ذلك[٣٩].

---

٢٦ – ٣٧- Dict , Encycl. Quillet art. Poste . P-S, P: 4664.

٣٨- Gibbon: The rise and fall of the Roman Empire V1. P: 638.

٣٩-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٦٧.

ان حفظ البريد وصيانته كانت مسؤولية تقع على عاتق السكان الذين يجتازون أرضهم بقدر ما كانت مسؤولية حكام الولايات الذين يترتب عليهم ايضاً سد نفقاته[٤٠].

وفي محافظتها على البريد، حافظت الامبراطورية البيزنطية على Veredus أي البريدية. وفي العصور الوسطى أسندت بيزنطة ادارة بريدها الي شخص يحمل لقباً يناظره اللقب الذي حمله فيما بعد في العصور الاسلامية مسؤول ادارة البريد، وهو صاحب الديوان. وقد وصف ابن خرداذبه بريد الروم بقوله:« وبريد الروم براذين لطاف محذفة الاذناب خفاف وحليتهم غرّة اذار يجري الملك خيله وخيل امرائه بباب الذهب، وهي خيل بين فرسين عجلة، عليها الغلمان الوصفاء قيام بالسماط، وليس للروم في عساكرهم اسواق إنما يحمل الرجل من منزله كعكه وزيته وخمره وجبنه»[٤١].

ولم تقتصر مهام عمال البريد البيزنطيين على نقل الرسائل والاوامر والاشخاص بل تعدت ذلك الى تحقيق رغبات الامبراطورية في نقل الالطاف والاطعمة والثمار النادرة من مختلف أجزاء العالم. كما ان هؤلاء العمال قاموا بعمل الجاسوسية الخطيرة المنظمة والمراقبة على ولاة الاقاليم ، وقد بلغ عددهم في عهد الامبراطور قسطنطين مائتي او ثلاثماية عامل يرأسهم صاحب ديوان البريد.

وفي عهد بعض الاباطرة الضعاف وصل هذا العدد الى العشرة آلاف وكثيراً ما كان هؤلاء العمال يكتبون في تقاريرهم عن مسلك حكام الولايات ومسالك المواطنين انفسهم. فكانوا بحق عين الامبراطور الساهرة على مصالحه وان كانت في كثير من الاحيان تشكل خطراً على عامة الناس[٤٢].

وكانت اهتماماتهم ومراقبتهم تشمل الناس كافة وكانت تقاريرهم يعتمد بها في الغالب، مما يجعل هذه الادارة توصف بالجور والظلم في كثير من الاحيان.

٤٠- Gibbon: The rise and fall of the Roman empire, V1 .P:46.

٤١-ابن خرداذبه. المسالك والممالك ، ص ١١١.

٤٢-جيبون: اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج١ ، ص ٥٢٩.

وبسقوط الامبراطورية الرومانية في المغرب وتغلغل البرابرة في داخلها أصاب نظام البريد ما أصاب غيره من النظم الحكومية الاخرى من مظاهر التدهور والانحطاط، حتى أعاد ملوك القوط الغربيين تنظيمه من جديد خصوصاً الملك تيودريك[٤٣].

ومما تجدر ملاحظته ان تاريخ البريد يعود الى أقدم العصور، وان الرسالة وجدت بعد ان ابتدع الانسان الكتابة او النقش على مواد سهلة النقل. كما ان عمال البريد لم تقتصر مهمتهم على نقل الرسائل فقط، بل كانوا مثقلين بعبء مراقبة الادارة في الولايات وكتابة التقارير الي البلاط فكأنهم كانوا أشبه بالجاسوسية المنظمة.

ان الحديث عن البريد لدى الدول القديمة يعطينا فكرة واضحة عن مدلول هذا النظام وتاريخ نشأته، كما ان طرق التراسل قديمة جداً ولا يمكن تحديد زمن ابتدائها.

٤٣- Encyclopaedia, Britannica, V18, P: 306.

الباب الثاني

البريد منذ العهد النبوي الى نهاية العصر العباسي

الفصل الأول :

البريد في صدر الإسلام والعصر الاموي

الفصل الثاني :

البريد في العصر العباسي

البريد في صدر الإسلام

البريد عند العرب في العصرالجاهلي:

لا شك ان دراسة العصر السابق على الاسلام، تساعد على فهم تاريخ الدولة العربية فهماً صحيحاً. ويمكن تدوين تاريخ العصر الجاهلي القريب من الاسلام، على ما وصل الينا من كتابات مدوّنة بلهجات عربية، وعلى ما ذكره «الكلاسيكيون» عرضاً، وعلى ما دوّنه «الاخباريون» من روايات قيلت لهم أو وضعت لهم، أو وضعوها هم أنفسهم حين عجزوا عن الحصول على مادة[٤٤].

أما الكلام على البريد فلن يعدو، ان يكون من قبيل التصور والتخمين لو لم نجد له سنداً في شعرهم. ويعتبر الشعر الجاهلي نصاً تاريخياً له قيمته الكبيرة، وعلى هذا يمكننا اتخاذه مادة للاستشهاد على وجود البريد لديهم. فامرؤ القيس وهو شاعر جاهلي من قبيلة قحطانية يمنية يقول[٤٥] :

ونادمت قيصر في ملكه	فاوجهني وركبت البريد
اذا ما ازدحمنا على سكة	سبقت الفرانق سبقاً بعيداً.

وينسب اليه قوله أيضاً[٤٦]:

على كل مقصوص الذنابي معاود	بريد السري بالليل من خيل بربرا.

ومعنى هذا ان صح بالطبع، ان الشعر المذكور هو لامرىء القيس حقاً، انه عرف البريد واستعمله في السير مراراً، وقد رأى خيل البريد، يعني ان بردهم اذ ذاك كانت من الخيل وخص خيل بربر، لانها كانت أصلب الخيل عندهم وأجودها. وهي تقصر أذنابها ليكون ذلك علامة على انها من خيل البريد[٤٧].

وقد تحدث الجاحظ عن البريد أيام الساسانيين فقال:« وكانت البرد منظومة الى كسرى من أقصى بلاد اليمن الى بابه، أيام وهرز، وأيام قتل مسروق عظيم الحبشة

٤٤-علي، جواد: تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٤،ص ١٦٣.

- ماجد، عبد المنعم : التاريخ السياسي، ج١ ، ص ٤٤.

٤٥-ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج١ ، ص ١٢٠.

٤٦-امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، ص ٦٦.

٤٧-علي ، جواد، : المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٥، ص ٣١٩.

وكذلك كانت برد كسرى الى الحيرة الى النعمان والى آبائه، وكذلك كانت برده الى البحرين الى المكعبر مرزبان الزارة »[٤٨].

وكذلك كانت برده الى عمان، والى الجلندي بن المستكبر، فكانت بادية العرب وحاضرتها، مغمورتين ببرده، الا ما كان من ناحية الشام، فان تلك الناحية من مملكة خثعم وغسان الروم، الى أيام غلبت فارس على الروم ولذلك أصبحنا نرى النووايس بالشامات الى القسطنطينية[٤٩].

وهل كانت برد كسرى الى وهرز، وبأذام، وفيروز بن الديلمي والى اليمن، والى المكعبر مرزبان الزارة، والى النعمان، الاّ البغال؟ وهل وجدوا شيئاً لذلك أصلح منها.

فالبغال هي وسيلة نقل البريد في ذلك الوقت. تتوقف في محطات البريد لتبدل البغال التعبة ببغال أخرى، وليبدل حمله البريد كذلك، وهكذا الى آخر محطة، فهي سكك تمتد مسافات طويلة. ولما كان من الصعب على البغل اختراق الصحاري ذات الرمال البعيدة الغور والتي تقل فيها المياه، لزم ان تكون طريق البريد ممتدة في الاراضي التي يكثر وجود الماء فيها، وتتوفر فيها الآبار، وفي مواضع قليلة الرمال[٥٠].

واستناداً الى شعر امرىء القيس والى ما ذكره الجاحظ نستطيع ان نقرر ان اليمن والحجاز قد عرفتا البريد. وانِ الجاهليين قد أخذوا نظم بريدهم عن الفرس والروم، وان ملوك الحيرة وغيرهم استخدموها في ادارتهم لدولتهم، ان لجهة نقل الرسائل أو لجمع الاخبار والتجسّس، نحن لا نشك اطلاقاً في معرفة عرب الجاهلية للبريد بشتى وجوه استخدامه لأسباب عدة منها: ان القرآن قد تحدث عن تنقّل قريش في الشتاء والصيف الى شمال الجزيرة وجنوبها للتجارة، واستمرت هذه الرحلات حتى الى ما بعد ظهور الاسلام بقليل، وغير بعيد ان تحمل هذه الرحلات ، البريد كما تحمل التجارة، وتشير الآية الكريمة في القرآن الكريم، الى تعاطي قريش التجارة & **لايلاف قريش ايلافهم، رحلة الشتاء والصيف**&[٥١].

٤٨–الجاحظ: رسائل الجاحظ، ج٢ ، ص ٢٩٠.

٤٩–علي، جواد، : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٥ ، ص ٣١٩.

٥٠–الجاحظ: رسائل الجاحظ، ج٢، ص ٢٩٢.

٥١– قرآن كريم: سورة قريش ١٠٦-١-٢.

ان مقتضيات الاحوال عند عرب الجاهلية والمنافسات بين الزعماء حالت في الغالب دون تكوين المجتمعات الكبرى، وكانت في الوقت نفسه من عوامل الحروب وعدم الاستقرار.

فاتخذوا من الغارة والسلب وسيلة من وسائل العيش، فتسطو القبيلة على الأخرى تأخذ جِمَالها ونساءها وأولادها، وتتربّص بها القبيلة الأخرى فتفعل ما فعلت[٥٢]. فهذا التربّص يتطلّب إقامة الحراس على منطقة نفوذ القبيلة لانذار شيخها بالخطر الخارجي قبل حدوثه، كما يتطلب أيضاً بث العيون والارصاد على حدود القبيلة المجاورة لينذروا شيخهم بالخطر في أدواره الاولى كي يتهيأ للدفاع عن قبيلته.

ومما يؤكد وجود البريد عند عرب الجاهلية، ان مملكتي الفرس والروم كانتا عرضة لهجمات بعض القبائل البدوية التي كانت تعيش شمالي الجزيرة، وكانت هجمات هذه القبائل سريعة، يختطفون خلالها ما يستطيعون الحصول عليه، ثم يفرون عائدين فيتوغلون في قلب الجزيرة حيث لا يستطيع جيوش الروم ولا جيوش الفرس ان تتبعهم خوفاً من وعورة الطريق وقلة المياه[٥٣].

فرأت دولتا الفرس والروم ان خير وسيلة لدفع شر العرب ان ساعدتا بعض القبائل المجاورة على ان يستقروا على التخوم، يزرعون ويتحضرون ثم يكونون سنداً لهم يصدّون غارة البدو الذين يغزون وينهبون، فتكوّنت امارة الحيرة على تخوم الفرس، تحمي الفرس ويحميها الفرس، وإمارة الغساسنة على تخوم الروم تحمي الروم ويحميها الروم.

على أن تأثير الروم في العرب كان مباشراً وأكثر وضوحاً من تأثير الفرس فمنذ القرن السادس م. حل عرب الحجاز محل اليمنيين في القبض على ناصية التجارة. وكان هؤلاء الحجازيون يشترون السلع من اليمنيين والحبشيين ثم يبيعونها على حسابهم في أسواق الشام ومصر، وقليلاً ما يبيعونها في أسواق فارس لان التجارة مع فارس كانت في يد عرب الحيرة. وجعل عرب الحجاز مكة قاعدة لتجارتهم، ووضعوا الطريق تحت حمايتهم ووصل المكيّون قبل الاسلام، عندما كان العداء بين الفرس

٥٢–أمين، أحمد: فجر الاسلام، ص ١٠.

٥٣–شلبي، أحمد: التاريخ الاسلامي، ، ج١، ص ١٠٦.

والروم بالغاً منتهاه الى درجة عظيمة في التجارة، وكان الروم يعتمدون على تجارة مكة في كثير من شؤونهم، بل وكان في مكة نفسها بيوت تجارية يستخدمها البيزنطيون للشؤون التجارية وللتجسس على أحوال العرب[٥٤].

وأول ما استعمل العرب لنقل البريد الابل ثم استبدلوها بالبغال، ثم بالخيل لسرعتها . وكان لكل سفر بريد يتولى قيادة المسافرين وميل العرب للتنقل بالاسفار، كان أعظم مساعد على اطراد سير البريد الطويل ما بين البلاد الشاسعة بكل ضبط[٥٥].

البريد في عهد النبي:

ان الضعف والوهن اللذين أصابا دولتي الفرس والروم بفعل حروبها الطويلة، أعطى فرصة ذهبية تهيأت لقيام دولة قوية، في المدينة، بعد الاسلام، وبعد هجرة النبي (ص) من مكة الى يثرب. وهي الدولة التي أتاح لها الدين الجديد مضموناً جديداً تميزت به "عن المقدمات" التي أنجزها العرب في جاهليتهم، على هذا الطريق وفي ذلك الاتجاه[٥٦].

وفوق ذلك كانت الهجرة الى المدينة سبباً في تحوّل هام في الدعوة الاسلامية ذاتها وحادثاً تاريخياً له خطره من الوجهتين الدينية والسياسية عدّه المؤرخون فاصلاً بين عهدين: العهد المكي والعهد المدني. فبالنسبة للرسول (ص) نجده يصطبغ بالصبغة الزمنية ويصير زعيماً دينياً وسياسياً في الوقت نفسه، وغدت السياسة من لوازم دعوته، وبالنسبة لمكة نجد انها أخذت في الاضمحلال والتدهور وورثتها المدينة في الزعامة السياسية، فعظُم شأنها وصارت قبلة أنظار العرب، وتنازع القوة والسلطان في شبه الجزيرة حكومتان، إحداها إسلامية مركزها المدينة، والاخرى وثنية قرشية مركزها مكة. وظلت المدينة حاضرة الاسلام نحو نصف قرن، ثم حدث ان فاض الجنس العربي بدينه ولغته وخيره على أمم المشرق والمغرب، فقذفت شبه الجزيرة دفعات من أهلها الى الخارج، وتبع ذلك تبدّل في أساليب الحكم والحاكمين، ونتج عن هذا التبدل عملية مزج قوية بين الامة الفاتحة والامم المفتوحة، مزج في الدم، ومزجٌ في النظم

---

٥٤ -أمين، أحمد: فجر الاسلام، ص ١٤-١٥.

٥٥ -الكتاني: التراتيب الادارية ، ج١، ص ١٩٢.

٥٦ - الطهطاوي، رفاعة: التمدن والحضارة والعمران ، ج١ ، ص ١٤٤.

الاجتماعية، ومزجٌ في الآراء العقلية، ومزجٌ في العقائد الدينية، ومزجٌ في النُّظم الحكومية. وتلك كانت مهمة شاقة، اذ لم يكن العرب قبل الاسلام يسيرون على قانون خاص.

على الرغم من قصر فترة حكومة النبي (ص) التي شغلها بالاضافة الى منصب النبوة الديني، فانها لم تخلُ من ترتيب البريد ترتيباً عظيماً أعطى رسله ورسائله مقاماً سامياً بين بقية العمال، حتى ان أحد المستشرقين قال:

«ان تقدم المسلمين في الحضارة بدأ في نظم الدولة، كما بدأ في ادارة الحروب وأوقات السلم»[٥٧].

ويمكن ملاحظة تباشير هذا النظام باقامة الحراس لنقل أخبار كفّار مكة الى النبي (ص) منذ ان بدأت غزواته، وان النبي (ص) عندما غادر مكة بصحبة الصديق فراراً من قريش اتخذ عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب فطن رسولاً يأتيهما بأخبار قريش يوماً بعد يوم، فكان عبد الله يبيت عندهما في بيت العنكبوت ويخرج في السحر فيبيت مع قريش. وكان عبد الله يجمع أخبار قريش وما اتخذته من وسائل للبحث عن محمد (ص) والانتقام منه[٥٨].

ويمكن اعتبار عبد الله بن أبي بكر أول رسول "ساع" للبريد في تاريخ الدولة الاسلامية.

والجدير بالذكر ان النبي (ص) اتخذ من مكة نفسها عيناً هو العباس يكتب أخبار قريش اليه وخاصة عندما كانت الجماعة الاسلامية لمحاربة قريش في بدر وخرج الرسول (ص) بنفسه ومعه ابو بكر حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه من أخبار فأخبره الشيخ بما عنده وهو لا يعلم انه رسول الله (ص) ثم عاد النبي (ص) الى أصحابه وأكثر الرسل يلتمسون له الخبر عن أحوال أبي سفيان[٥٩].

٥٧–بارتولد: تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٨٢.

٥٨– ٥٩–الكتاني: التراتيب الادارية ، ج١ ، ص ٣٦١.

كان عم الرسول (ص) العباس بن عبد المطلب قد أسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويكتب أخبار المشركين الى النبي (ص)، فكتب اليه ان مقامك بمكة خير[٦٠].

ويعتبر صلح الحديبية الذي وقعه الرسول (ص) مع جماعة قريش ثمرة من ثمرات البريد النبوي أي نقل الرسائل الشفوية والكتابية بين فريقين متقاتلين. وهكذا، قبل نشوء الديوان نفسه حيث لا وجود لكلمة ديوان في عصر الرسول، وجدت اختصاصات ديوان البريد في دولة النبي (ص)، فالرسول وصحبه رغبوا في أداء العمرة، وهي زيارة البيت الحرام في غير موسم الحج، فأبت قريش ان يدخل الرسول (ص) مكة ذلك العام عنوة. وكاد ان يقع الصدام ، لان محمداً(ص) أخرج من المدينة وأذن للمسلمين بالزيارة فلبوا نداءه ونزلوا في الحديبية وهي ضاحية من ضواحي مكة. وأرسلت قريش رسولها يستطلع قوى محمد ويأمره بالعودة، كما بعث النبي محمد (ص) رسوله يبلغها انه ما جاء يريد حربا، وانما جاء زائراً للبيت وأداء فريضة العمرة[٦١].

فتبادل الفريقان البعوث، فكانت بعثة عثمان بن عفان احدى السفارات النبوية التي انطلقت الى قريش حيث طال مكوثها هناك حتى ظن المسلمون هلاكها، واشتد بهم القلق وعولوا على الحرب، فبايعوا الرسول (ص) بيعة الرضوان المشهورة تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله (ص) على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول:«ان رسول الله (ص) لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على ان لا نفر»[٦٢].

وقد نوّه الله بشأن هذه البيعة في قوله تعالى:

& لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً &[٦٣].

٦٠-ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٩٦.

الكتاني: التراتيب الادارية، ج١ ، ص ٣٦٣.

٦١ -٦٢-ابن هشام، البصري: السيرة النبوية، ج٤ ، ص ٣١٥.

٦٣-قرآن كريم، سورة الفتح، ص ٤٣٢-٤٨-١٧.

كما عظم شأن هذه البيعة عند المسلمين. فلما ولّى عمر الخلافة خشي ان يقدس المسلمون الشجرة التي عُقدت تحتها هذه البيعة، فقطعها لئلا يفتتن بها الناس. ومن هذه الآية سميت هذه البيعة بيعة الرضوان.

وبينما هم في انتظار بعثتهم، وصلت السفارة وقد نجحت في مهمتها رغم انه اشترط في الصلح الذي عقده رسول النبي (ص) مع المشركين من أهل مكة، على النبي .(ص) العودة الى المدينة من غير عمرة على أن يأتي في العام التالي الا أنّ فتح مكة أعقبها في العام التالي وبعد ذلك توزعت برد النبي (ص) خارج نطاق الجزيرة العربية[٦٤].

وبالرغم من ذلك، يعتبر صلح الحديبية أول وثيقة خالدة في تاريخ الدولة الاسلامية لان سياسة الرسول (ص) كانت غاية في الحكمة والقدرة الدبلوماسية على عقد الهدنة مع قريش.

ومن المهام التي أداها البريد النبوي لنشر الرسالة خارج نطاق شبه الجزيرة العربية في أواخر العام السادس للهجرة. ان رسول الله (ص) خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صدر عنها يوم الحديبية، فقال:« ايها الناس، ان الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم»، فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله (ص)قال: دعاهم الى الذي دعوتكم اليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل، فشكا ذلك عيسى الى الله، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الامة التي بعث اليها[٦٥].

فنظم الرسول (ص) بعوثه ورسله لأكابر الملوك والامراء، وكتب اليهم كتباً يدعوهم فيها الى الاسلام. وكان هؤلاء الرسل في غاية الشجاعة والثقة والايمان بالله، حيث قاموا بواجبهم أحسن قيام. فبعث دحية ابن خليفة الخزرجي الى قيصر، ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذاقة السهمي الى كسرى ملك الفرس، وبعث عمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعباد بن الجلندي الازديين ملكي عمان، وبعث سليط بن

٦٤–حسن، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١، ص ١٢٨.

٦٥–ابن هشام، البصري: السيرة النبوية، ج٤ ، ص ٦٠٦-٦٠٧.

عمرو أحد بني عامر بن لؤي، الى ثمامة بن آثال، وهوذة بن علي الحنفيين، ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي، ملك البحرين، وبعض شجاع بن وهب الاسدي الى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام[٦٦]، وقد أسفر عن البعثات النتائج التالية:

كانت سلبية بالنسبة لقيصر الروم وعامليه على مصر والشام[٦٧]. كما كتب المقوقس صاحب مصر الى النبي (ص) جواب كتابه الوارد عليه منه في رواية ذكرها ابن عبد الحكم وهو:

لمحمد بن عبدالله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك،

أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه، وقد علمت ان نبياً (ص) قد بقي وكنت أظن انه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وكسوة، وأهديت اليك بغلة لتركبها، والسلام عليك»[٦٨].

ولم تكن هذه الكتب حاسمة في شيء، بيد انها كانت ذات أثر معنوي عميق في البلاط الروماني وفي الكنيسة، ويظهر أثر ذلك في زواج النبي (ص) بمارية القبطية وفي بعض المجاملات والاقوال الودية والمخاطبات المتبادلة بين العالمين الاسلامي والنصراني[٦٩].

أما كسرى ملك الفرس،فمزق كتاب النبي (ص) وطرد رسوله «وكتب الى باذان»، وهو على اليمن: أن أبعث الى هذا الرجل بالحجاز رجلين من عندك جلدين، فليأتياني به، فبعث باذان قهرمانة وهو بابويه، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخسره، فخرجا حتى قدما على رسول الله، فكلمة بابويه، فقال:« ان شاهانشاه ملك الملوك كسرى، قد كتب الى الملك باذان يأمره ان يبعث اليك من يأتيه بك، وقد بعثني اليك لتنطلق معي، فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك ينفعك ويكفه عنك، ودخلا على

٦٦- المصدر السابق،ج٤، ص ٦٠٧.

٦٧-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٥٤.

٦٨-ابن عبد الحكم: فتوح مصر واخبارها، ص ٤٧.

- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج٦، ص٤٦٧.

٦٩-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٦٤٥.

رسول الله (ص) وقد حلقا لحيتهما، أعفيا شواربهما، فكره النظر اليهما، ثم قال رسول الله :« لكن ربي قد أمرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ، ثم قال لهما:« ارجعا حتى تأتياني غداً، وأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء. ان الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال:« والله ما هذا بكلام ملك، واني لأرى الرجل نبياً كما يقول »، فلم ينشب باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه، أما بعد فاني قد قتلت كسرى، ولم أقتله الا غضباً لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم في ثغورهم، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه اليك (الرسول) (ص) فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه، فلما انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال:« إن هذا الرجل لرسول (ص). فأسلم وأسلمت الابناء معه من فارس من كان منهم باليمن[٧٠].

وكتب النجاشي ملك الحبشة أيضاً جواباً على كتاب رسول الله (ص) اليه:« الى محمد رسول الله (ص)، من النجاشي الاصحم بن أبجر، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، الذي لا إله الا هو الذي هداني للاسلام »[٧١].

ولكن من الواضح ان النجاشي لم يسلم سيما ان جماعة المؤرخين يجمعون على ان الاسلام لم يظهر في بلاد الحبشة الا بعد ذلك بعصر[٧٢].

أما عامل هرقل على الشام فقال:« منْ ينزع مني ملكي، أنا سائر اليه، قال النبي (ص) باد ملكه »[٧٣].

وكانت النتيجة عملية بالنسبة لأمراء العرب، فان أميري البحرين وعمان آمنا برسالة النبي (ص) واعتنقا الاسلام. وبلغ اهتمام الرسول (ص) بالبريد انه أمر عماله ان يبردوا له البريد مع أناس يتوافر فيهم حسن الوجه وجمال الخلقة حتى أنه قال:« اذا أبردتم اليَّ بريداً فابردوه حسن الوجه حسن الاسم »[٧٤].

٧٠-المصدر السابق، ج٢،ص ٦٥٥-٦٥٦.

٧١-المصدر نفسه، ج٢، ٦٥٣.

٧٢-القلقشندي: صبح الاعشى، ج٦، ص ٤٦٦.

حسن، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج١، ص ١٦٦.

٧٣-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٦٥٢.

٧٤-الكتاني: التراتيب الادارية، ج١، ص ٢٤٦.

وكان دحية من أجمل الصحابة وجهاً ومن أشهر رسل النبي (ص). وكان جبريل يأتي النبي (ص) في صورته. وبلغ من أثر جماله في الخلق انه لما قدم المدينة واستقبله الناس، ما رأته امرأة حامل الا ألقتْ ما في بطنها، وذكر العيني في العمدة أيضاً ان دحية هذا كان يمشي متلثماً خشية ان تفتتن به النساء[٧٥].

ومن اهتمام النبي (ص) بالبريد، انه لما أراد ان يكتب الى قيصر الروم وملك الفرس كتاباً يدعوهما فيه الى الاسلام، قيل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الا ان يكون مختوماً، وأمر رسول الله (ص) ان يعمل له خاتم من فضة فصنع له خاتم من فضة، فجعله في اصبعه، فأقره جبريل، وأمر ان ينقش عليه « محمد رسول الله »، فجعل يختم به، وانتقل هذا الخاتم الى أبي بكر، ثم ولي عمر بن الخطاب بعده، فجعل يختتم به حتى قبضه الله، ثم ولى من بعده عثمان بن عفان، فتختم به ست سنين، فحفر بئراً بالمدينة شرباً للمسلمين، فقعد على رأس البئر، فجعل يعبث بالخاتم، ويديره باصبعه، فانسلّ الخاتم من اصبعه فوقع في البئر، فطلبوه في البئر، ونزحوا ما فيها من الماء، فلم يقدروا عليه، فجعل فيه، مالاً عظيماً لمن جاء به، واغتمّ لذلك غماً شديداً، فلما يئس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله، خلقه من فضة، على مثاله وشبهه، ونقش عليه« محمد رسول الله » (ص) فجعله في اصبعه حتى هلك، فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يدر من أخذه[٧٦].

بريد الخلفاء الراشدين:

وبعد وفاة الرسول (ص) انتقل الامر الى الخلفاء الراشدين، وكان ابو بكر الصديق أولهم وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك، وأمه أم الخير، ولقّب عتيقاً، لأن النبي، قال له:« أنت عتيق من النار »[٧٧]. وسمي الصديق لان الرسول قال ليلة أسرى به:« قلت لجبريل ان قومي لا يصدقوني، فقال له جبريل: يصدقك ابو بكر وهو الصديق. وهو

٧٥-المصدر السابق،ج١، ص ١٩٠.

٧٦- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٨١-٢٨٢-٢٨٣.

-ابن خلدون: مقدمة ، ص ٤٦٨.

٧٧-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٣، ص ٤٢٤-٤٢٥.

أول من أسلم وأول من صلّى »[٧٨].

وكان أبو بكر الصديق خير من توكل اليه الامور بعد وفاة النبي، خاصة عند ظهور حركة الردة. حيث اجتمعت أسد وغطفان وطيء على طليحة، الا ما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث، فاجتمعت أسد بسامراء، وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة، وطيء على حدود أرضهم[٧٩].

وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة، فنزلوا على وجوه الناس، فأنزلوهم ما خلا عباساً فتحملوا بهم على أبي بكر، على ان يقيموا الصلاة، وعلى الا يؤتوا الزكاة، فعزم الله لابي بكر على الحق، وقال:« لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه »، وكانت عقل الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة. فردهم فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدة اليهم، فأخبروا عشائرهم بقلة من أهل المدينة، وأطعموهم فيها، وجعل ابو بكر بعدما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً: علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم:« ان الارض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وانكم لا تدرين أليلاً تؤتون أم نهاراً ! وأدناهم منكم على بريد. وقد كان القوم يأملون ان نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم ونبذنا اليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا »[٨٠]

وأرسل أبو بكر الى جميع المرتدين كتباً يدعوهم فيها للرجوع الى حظيرة الدين. وكانت الكتب الى قبائل العرب المرتدة كتاباً واحداً منها & بسم الله الرحمن الرحيم& من أبي بكر الى خليفة رسول الله الى من بلغه كتابي من عامة وخاصة، أقام على اسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى، ثم توفى الله رسوله وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الاسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال & **انك ميت وانهم ميتون** & فمن كان يعبد محمداً فان محمد قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له، فان الله بالمرصاد حي قيّوم لا يموت[٨١].

٧٨-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص ١٧٠-١٧١

٧٩-الطبري: تاريخ الرسل، ج٣، ص ٢٤٤.

٨٠- المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٤-٢٤٥.

٨١-قرآن كريم: سورة الزمر، ٣٩-٣٠.

ومما قال أبو بكر:« اني بعثت اليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان، وامرأته الا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله. فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود وخرجت الامراء ومعهم العهود. وكانت الغلبة للجيوش الاسلامية، وعلت كلمة الدين من جديد بعد ان أعمل هؤلاء القواد وجنودهم السيف في رقاب المرتدين»[٨٢].

وبعد مرور حوالي سنة تقريباً يحمل البريد للخليفة خبر عودة الجنود وانتصارهم على المرتدين، وتعتبر حركة الردة خير دليل على يقظة البريد الاسلامي وسرعة ايصاله أخبار الحرب الى الخليفة.

وعلى أثر وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، انتقل الحكم الى الخليفة عمر بن الخطاب، ويرجع نسبه الى ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن فرط بن رزاح بن عدي بن كعب، ويكنى أبا حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[٨٣].

صحب عمر الرسول بعد إسلامه، فأحسن صحبته، وبالغ في نصرته ووقف حياته على المدافعة عنه والذود عن الاسلام. وشهد عمر بن الخطاب بعض غزواته، فكان مع الرسول في بدر وأحد والخندق وغيرها في عدة سرايا وكان أمير بعضها[٨٤].

توفي أبو بكر الصديق، فاستقبل عمرَ خلافته يوم الثلاثاء صبيحة موت ابي بكر، وكان أول كلام تحدث به عمر حين صعد المنبر، اللهم اني شديد فليّني، واني ضعيف فقوّني، واني بخيل فسخّني[٨٥].

بتولّي عمر بن الخطاب الخلافة، شاهدت الجماعة الاسلامية لوناً جديداً من ألوان الحكم ورجلاً قادراً على ممارسة الحكم وتنظيم الادارة تنظيماً جديداً حيث جمع بين السياستين المدنية والعسكرية، فكان يدير حكومته في الداخل ويرسم لقواده في ميادين القتال خططاً حربية لا تصدر الا من رجل حذق فن الحروب ومارس العسكرية

٨٢-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ٢٥١.

٨٣-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٦٥.

- ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة، ج٤ ، ص ٢٧٩.

٨٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٧٢.

٨٥-المصدر نفسه، ج٣،ص ٢٧٤.

علماً وعملاً.

وكانت سياسة عمر بن الخطاب، ترمي الى تماسك بلاد العرب وادخال القبائل بعضها في بعض لتكون أمة واحدة هي الامة العربية، وعدم اختلاط العرب بأهالي البلاد التي فتحوها حتى لا تضيع قوميتهم[٨٦].

ان الامر واضح في السياسة التي انتهجها الخليفة عمر بن الخطاب لادارة حكومته ولتلقي أخبار قواده حيث انه أبقى على نظام البريد الذي كان سائداً في عصر الرسول.

كما ان الخليفة الثاني كان يعلم بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد، فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا ناحية من النواحي عامل ولا أمير وجيش الا وعليه عين ساهرة، فكانت الفاظ من المشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح، حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق اليه وأخصهم به، فساس الرعية سياسة أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة[٨٧].

فأهم ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب اذكاء العيون على الرعية، فالعيون هم رجال البريد.

ان الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب حدد ساعات معينة في أيام معينة لخروج البريد من المدينة الى ميادين القتال، وذات ليلة كان الخليفة عمر يطوف في سكة من سكك المدينة فسمع امرأة تهتف من خدرها، وتقول:

هل من سبيل الى خمر فأشربها　　　أم هل سبيل الى نصر بن الحجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل　　　سهل المحيا كريم غير ملجاج

فقال عمر لا أرى معي رجلاً تهتف به العواتق في خدورهنّ عليّ بنصر بن الحجاج، فأتى به فاذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً، فقال :« عليّ بالحجام »فجز شعره، فخرجت وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال: «اعتم »فأعتم فأفتن الناس فقال عمر: «والله لا تساكني في بلد أنا فيه». قال:« ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ »، قال:« هو ما قلت لك فسيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع منها عمر ان يبدر اليها

٨٦–حسن ، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١، ص ٤٥٥.

٨٧–الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ، ص ١٦٨–١٦٩.

بشيء فدست اليه أبياتاً »[٨٨].

فبعث اليها عمر قد بلغني عنك خبر اني لم أخرجه من أجلك، ولكن بلغني انه يدخل على النساء، فلست آمنهن وتكلم عمر، الحمد لله الذي قيد الهوى وقد أمن بالجام والسراج، ثم ان عمر كتب الى عامله بالبصرة كتاباً فمكث الرسول عنده أياماً ثم نادى مناديه الا ان بريد المسلمين يريد ان يخرج فمن كانت له حاجة فليكتب، فكتب نصر بن حجاج كتاباً ودسّه في الكتب[٨٩].

ان هذا الخبر ، خير دليل على وجود المكاتب البريدية في عواصم الاقاليم وارتباطها المباشر في الحكومة مهمتها ايصال الاخبار بالسرعة المرجوة الى الخليفة وتنفيذ أوامره.

كما كان يوجد عدة دور لمراكز البريد فالكوفة كان فيها دار للبريد كانت الرسل تنزل فيه اذا حضرت من الامراء الى الخلفاء وكان أبو موسى الاشعري أميراً على الكوفة في زمن عمر وعثمان حيث كانت تلك الدار تقع في طرف البلد[٩٠].

لم تقتصر مهمة البريد على نقل الاخبار والرسائل بين الحاكم والمحكومين بل تعدتها الى تبادل الهدايا بين المسلمين والروم. حيث جاء البريد يوماً على عمر وبه عقد من الجوهر أهدته ملكة قيصر الروم الى زوجة عمر أم كلثوم بنت علي بنت أبي طالب رداً على ما أهدته أم كلثوم من أغراض بلاد العرب[٩١].

المعروف عن الخليفة عمر بن الخطاب اذ عين عاملاً كتب له عهداً، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والانصار، واشترط عليه الا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس[٩٢].

وبفضل رقابة عمال البريد في الولايات والاقاليم كان علم عمر بأحوالهم وأحوال رعيته ، كعلمه بمن بات معه حيث كان له في كل قطر من الاقطار عامل أو أمير جيش يوافيه بكبر الامور وأصغرها وكانت عين الخليفة ساهرة على كل الامور حتى قيل:

٨٨–ابن الجوزي: سيرة عمر بن الخطاب ، ص ٦١-٦٢.

٨٩–المصدر نفسه، ص ٦٢.

٩٠ – ٩١–الكتاني: التراتيب الادراية، ج ١، ص ١٩٢.

٩٢–الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٢٠٨.

« وكان لعمر عيون على الناس عجيبة »[٩٣].

مما يؤكد لنا شدة وحزم الخليفة عمر بن الخطاب في مراقبة رعيته وسماع أخبارها ليتسنّى له بسط سلطته على كل الولايات والاقاليم واتصاله المباشر بعماله وولاته ليكون على معرفة تامة بجميع الاخبار.

وبعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، انتقل الامر الى الخليفة عثمان بن عفان بن العاص بن أمية ابن عبد شمس ،بن عبد مناف بن قصي، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وكان عثمان في الجاهلية يكنى أبا عمرو، فلما كان الاسلام ولد له من رقية بنت رسول الله غلام سماه عبد الله، واكتنى به فكناه المسلمون أبا عبد الله[٩٤].

وعثمان بن عفان، أول من هاجر الى الحبشة ومعه زوجته رقية، وتخلف عن بدر لتمريضها، فكتب له النبي بسهمه وأجره وتخلف عن بيعة الرضوان، لان النبي كان بعثه الى مكة، فأشيع انهم قتلوه، فكان ذلك سبب البيعة[٩٥].

ولما تولى عثمان الخلافة حج سنواته كلها الا آخر حجة، وكتب الى الامصار ان يوافيه العمال في كل موسم ومن يشكوهم، وكتب ايضاً الى الناس في الامصار ان ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ولا يذل المؤمن نفسه، فاني مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً ان شاء الله، فطبق هذا الامر. وكان الناس يعلمون به الى ان اتخذه القوم وسيلة الى تفريق الامة[٩٦].

حافظ الخليفة عثمان بن عفان على نظام البريد الذي كان سائداً أيام الخليفة عمر بن الخطاب حتى انه كان يجمع الاخبار وهو ماكث في المسجد لتأدية فريضة الصلاة، وكان يحدث الناس والمؤذن يؤذن يسألهم ويستخبرهم عن الاسعار والاخبار ويتم ذلك نهار الجمعة خاصة[٩٧].

٩٣-الكتاني: التراتيب الادارية ، ج ١، ص ٣٦٣.

٩٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج٣، ص ٥٣-٥٤.

٩٥-ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٤، ص ٢٢٣.

٩٦-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٤، ص ٢٩٧-٢٩٨.

٩٧-الكتاني: التراتيب الادارية ، ج١ ، ص ٣٦٥.

الا ان ظاهرة ثورات الاقاليم التي بدأت تندلع ولا سيما بعد ان عزل الخليفة عثمان عمرو بن العاص وعيّن ابن عمه عبد الله بن سعد بن أبي سرح وما لعبه عمرو بن العاص من دور في التشنيع على عثمان والدعاية ضده، كانت من بين العوامل التي فجّرت ثورة مصر على الخليفة الضعيف[٩٨].

وسبب قتله، ان أمراء الامصار، من أقاربه، فكان بالشام معاوية، وبالبصرة سعيد بن العاص، وبمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وبخراسان عبد الله بن عامر، ومن حج منهم يشكو من أميره، فالمعروف عن عثمان انه لين العريكة، كثير الاحسان والحلم. أحياناً يستبدل ببعض أمرائه فيرضيهم ثم يعيده فيما بعد الى ان رحل أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح، فعزله، وكتب لهم كتاباً بتولية محمد بن ابي بكر الصديق فرضوا بذلك. فلما كانوا في الطريق رأوا راكباً على راحلة فاستخبروه فأخبرهم انه من عند عثمان باستقرار ابن ابي سرح ومعاقبة جماعة من أعيانهم، فأخذوا الكتاب ورجعوا به الى الخليفة وواجهوه، فحلف انه ما كتب ولا أذن، فقالوا:« سلمنا كاتبك فخشي عليه منهم القتل وكاتبه مروان بن الحكم وهو ابن عمه فغضبوا من ذلك »[٩٩].

قالوا:« بريدك على جملك، وكتاب كاتبك عليه خاتمك »، قال « أما الجمل فمسروق، وقد يشبه الخط الخط، وأما الخاتم فانتقش عليه » قالوا:« فانا لا نعجل عليك، وان كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا وأموالنا وارد علينا مظالمنا ». قال عثمان:« ما أراني اذا في شيء، ان كنت أستعمل من هويتهم، وأعزل من كرهتم، الامر اذا أمركم »!، قالوا:« والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع: فأبى عليهم وقال:« لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله، فحصروه أربعين ليلة، في داره، وطلحة يصلي بالناس »[١٠٠].

واجتمع جماعة يحمونه منهم فكان ينهاهم عن القتال الى ان تسوروا عليه من دار الى دار فدخلوا عليه فقتلوه، فعظُم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم، وانفتح باب

٩٨-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤ ، ص ٣٣٥-٣٣٦.

٩٩-ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ، ج٤ ، ص ٢٢٤.

١٠٠-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص ٣٧١.

الفتنة[101].

ومن الواضح ان مروان بن الحكم كان يملك خاتم عثمان وهو الذي كان يشرف على تسيير أمور البريد وختم الرسائل، وبعمله هذا، أساء مروان الى الخليفة عثمان والى الجماعة الاسلامية ايضاً اساءة كبرى لا تغتفر.

بالاضافة الى شخصية عثمان واتخاذه طابع اللين والحلم كانت من الاسباب التي أدت الى مقتله وعدم قدرته على بسط سلطته على الاقاليم، لان الدليل موجود بلا شك الا وهو تزوير مروان بن الحكم رسالة عن لسان عثمان وختمها بخاتم عثمان.

وبعد مقتل عثمان بن عفان، انتقل الامر الى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابو الحسن. أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم، ورُبِّيَ في حجر النبي ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد الا غزوة تبوك، وكان المشركون قصدوا قتل النبي، فلما أصبحوا رأوا علي بن ابي طالب فقالوا له: أين صاحبك؟ قال لهم:« في غزوة تبوك »[102].

فلما قتل عثمان بايعه الناس، ثم قامت جماعة من الصحابة منهم طلحة والزبير وعائشة مطالبة بدم عثمان، وسار علي بن ابي طالب الى البصرة في سنة ٣٦ هـ حيث كانت وقعة الجمل، وقتل فيها من أصحاب الجمل من أهل البصرة وغيرهم[103].

ثم قام معاوية في أهل الشام وكان أميرها لعثمان ولعمر من قبله، فدعا الى الطلب بدم عثمان، فكان من وقعة صفين، وكان رأي عليّ انهم يدخلون في الطاعة ثم يكون ولي دم عثمان فيدعي به عنده، ثم يعمل معه ما يوجبه حكم الشريعة المطهرة[104].

وفيما كان علي يلقى الشدائد على يد أصحابه الذين تناقلوا عنه، وتسللوا من جيشه تمكّن معاوية بن ابي سفيان من الاستيلاء على مصر على يد عمرو بن العاص.

ولم يكتفِ معاوية بذلك بل أخذ يدعو لنفسه بالخلافة، مما دفع الخليفة الرابع علي بن ابي طالب الى الانشغال بقمع ثورات الخارجين على طاعته والمعارضين لخلافته،

١٠١-ابن حجر: الاصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤، ص ٢٢٤.

١٠٢-ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٦٩-٢٧٠.

- ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٤ ، ص ٩١.

١٠٣-المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣ ، ص ٩٣.

١٠٤-ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج ٣، ص ٢٧٠.

ومن المراسلات التي تمت بين الخليفة علي ومعاوية بن ابي سفيان كتاب أرسله علي بن ابي طالب الى معاوية وقد جاء فيه:« فما انت وعثمان! انما انت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت انك أقوى على ذلك، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم اليَّ»[١٠٥].

ورغم كفاءات الخليفة علي بن ابي طالب المتعددة أعوزه الدهاء السياسي بالمقارنة بينه وبين خصمه معاوية بن ابي سفيان، رغم احتواء نهج البلاغة على اشارة الى هذه التهمة دافع بها علي عن نفسه وبرر تفوق معاوية عليه في هذه الناحية بتحلله من الالتزامات والعهود وتمسك علي بها والتزامه بمبدأ قانوني طبّقه بقوة صارمة وهو عدم جواز المعاقبة قبل حصول الجريمة، وكان من الميسور له ان يحول دون كثير مما جرى لو عالج نشاط اخصامه قبل ان يستفحل، أو بث عليهم العيون يطالعونه باخبارهم فيتسنّى له بذلك كشف ما زرعه له معاوية من بذور التفرقة بين صفوفه.

لقد تمسك الخليفة بالدين والاخلاق على حساب المصالح السياسية. ولهذا اندثرت معالم البريد خاصة من ناحية المخابرات والتجسس استناداً الى صمت الروايات التاريخية عنه، خاصة ان فترة حكم الخليفة علي كانت مليئة بالثورات والفتن. ولم تقم قائمة الا بعد ان استقر الامر لمعاوية بن ابي سفيان.

وفي ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ. قُتل الخليفة علي بن ابي طالب على يد أحد الخوارج عبد الرحمن بن ملجم المرادي.

وبموت الخليفة علي بن ابي طالب، انتهت فترة حكم الخلفاء الراشدين وترك المجال فسيحاً لمعاوية ليثبت خلافته ويوطد أركان ملكه. وبذلك يبدأ عصر جديد هو عصر الخلافة الاموية. ان اقتتال المسلمين يوم الجمل وصفين والنهروان واغتيال الثالث والرابع من الخلفاء الراشدين بأيدي جماعة من المسلمين، دل على استسهال العرب سفك الدماء،وانهم أبوا الا ان يتحاكموا الى السيف، ويعمدوا الى التقاتل وان القوانين مهما سمت لا تغيّر كثيراً من روح من يأخذون أنفسهم بها، وقد يخالفونها عند أقل بادرة[١٠٦].

١٠٥-المبرد: الكامل في اللغة والادب ، ج١ ، ص ٣٣٠.

١٠٦-كرد علي ، محمد: الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ٣٨٤-٣٨٥.

البريد الاموي

يعتبر معاوية مؤسس الدولة الاموية، هو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس عبد مناف القرشي الاموي. وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، يجتمع أبوه وأمه في عبد شمس، وكنيته ابو عبد الرحمن. لما دخل عمر بن الخطاب الشام، رأى معاوية، قال هذا كسرى العرب. ولم يزل والياً على الشام، الى ان قتل عثمان، فانفرد بالشام، ولم يبايع علياً، وأظهر الطلب بدم عثمان[١٠٧].

ومع تسلّم الدولة الاموية الحكم أنجزت مهمة التحول الامبراطوري لدولة المدينة عبر اجراءات ، منها استحداث مبدأ ولاية العهد الذي حول الخلافة الى ملكية وراثية وصيرورة الخليفة امبراطوراً يتمتع بمركز خاص وامتيازات ينفرد فيها، حيث تطورت أساليب الادارة. فاستحدث معاوية أول خلفاء بني أمية ديوان الخاتم لحفظ نسخ عن الكتب الصادرة عن الخليفة ونظم البريد ليضمن وصول الرسائل اليه بسرعة[١٠٨].

وينسب بعض المؤرخين الى معاوية أنه أول من وضع البريد في الاسلام، ولعله أول من رتبه على أصول معروفة ووضع الخيل له وأقام المحطات[١٠٩]. لأن البريد كان معروفاً قبل معاوية كما بيّنا.

كما ان المصادر لا تجزم اذا كان معاوية قد نقل نظام البريد عن الفرس أم عن البيزنطيين، فغير واحد من المؤرخين يذهب الى انه أول من وضع البريد، لتسرع اليه أخبار بلاده من جميع أطرافها، فأمر بإحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد، فوصفوا له البريد واتخذوا له بغالاً بأكف كان عليها سفر البريد، وكان لا يجهز عليه الا الخليفة أو صاحب الخبر[١١٠].

وقد نميل الى الاعتقاد ان معاوية كان أكثر تأثراً بالبيزنطيين في مجال اقتباس الانظمة بحكم احتكاكه بنظم الحكم البيزنطي، وقدم (صلته) لعمال الروم منذ كان يرافق والده في تجارته الى بلاد الشام، الى أن أصبح والياً عليها أيام خلافتي عمر وعثمان، حيث

١٠٧-ابن الاثير: اسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥ ، ص ٢٠٩-٢١٠.

١٠٨-كرد علي ، محمد: الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٥٧.

١٠٩-ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٠٦.

١١٠-العمري: التعريف ، ص ١٨٤.

انه لا بد قد شاهد بأم عينه نظم الحكم البيزنطي ولمس محاسن نظام البريد عندهم فاقتبسه.

وعيّن معاوية على كل قبيلة من قبائل مصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس، ويقول: « هل ولد الليلة فيكم مولود، وهل نزل بكم نازل »، فيقال:« ولد لفلان غلام ولفلان جارية »، فيكتب أسماءهم. ويقال:« نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه وعياله، فاذا فرغ من القبيل أتى الديوان حتى يثبت ذلك. وعلى هذا كانت الدولة تحصي السكان ولا يفوتها خبر من ينتقل في أرجاء البلدان[١١١].

ان مثل هذا الامر لا يمكن ان يحصل في خلافة مترامية الاطراف الا بوجود نظام بريد دقيق وشامل مهمته مراقبة الناس. ورصد تحركاتهم والتجسس على أحوالهم لموافاة الخليفة بكل ما يدور في الولايات ليكون على علم بما يجري حوله. وبذلك أحكم معاوية سيطرته على أمور الدولة حوالي عشرين سنة.

وأشار ابن الطقطقي الى ان الذي حمل معاوية على اختراع هذا الديوان، انه أحال رجلاً على زياد بن أبيه أمير العراق، بمائة ألف درهم، فمضى الرجل وقرأ الكتاب وكانت تواقيعهم تصدر غير مختومة، فجعل المائة مائتين. فلما رفع زياد حسابه الى معاوية أنكر معاوية ذلك، وقال:« ما أحلته الا بمائة ألف درهم ثم استعادها منه، ووضع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه مختومة ولا يدري أحد ما فيها ولا يمكن أحد من تغييرها[١١٢].

لكن القلقشندي ذكر، ان عمر بن الخطاب هو أول من أنشأ ديوان الختم، قد يكون هذا صحيحاً لأن عمر أول من أنشأ الدواوين تشبّهاً بالفرس[١١٣]، وعلى كل حال فقد سبق القول عن ختم الكتب في عهد الرسول، لما أراد مراسلة الملوك المعاصرين له ودعوتهم الى الاسلام.

١١١– كرد علي، محمد : الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٥٧–١٥٨.

١١٢–ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ص ٧٩.

– قد يتبادر للذهن ان كلمة الفخري هي اسم علم لشخص هو مؤلف في الآداب السلطانية، في حين انه اسم الكتاب ومؤلفه ابن الطقطقي.

١١٣–القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ٦ ، ص ٣٥٧.

ويمكن القول ان معاوية بن أبي سفيان، قد ورث نظام البريد وطريقة ختم الكتب عن السلف، خاصة الرسول والخلفاء الراشدين. واليه يعود الفضل في تنظيم البريد، وأول من رتب له الميل والمحطات مستعيناً في ذلك على ما اقتبسه من قوانين الفرس والبيزنطيين[١١٤].

فلما مات معاوية كان يزيد غائباً بحوارين، فلما ثقل معاوية أرسل اليه الضحاك، فقدم وقد مات معاوية، فقال :

جاء البريد بقرطاس يحث به فأوجس القلب من قرطاسه فزعاً

قلنا: لك الويل! ماذا في صحيفتكم قالوا: الخليفة أمسى مثبتاً وجعا[١١٥].

مما يدل على ان البريد، خطا خطوات واسعة، في خدمة النظام الاداري الاموي، من حيث وصول الاخبار بسرعة الى الخليفة، حتى لو كانت الاخبار حزينة تتعلّق بالوفاة.

ومما فعله معاوية قبل وفاته، انه أول من بايع لابنه يزيد بولاية العهد، فأنفذت الكتب ببيعة يزيد الى الامصار، وكتب معاوية الى مروان بن الحكم وكان عامله على المدينة، يعلمه باختياره يزيد ومبايعته له بولاية العهد ويأمره بمبايعته وأخذ البيعة له على من قبله، فلما قرأ مروان ذلك خرج غاضباً في أهل بيته وأخواله من بني كنانة حتى أتى دمشق[١١٦].

ثم بعد وفاة يزيد بويع لابنه معاوية وكان ولي عهده من بعده، وكان رجلا صالحاً ناسكاً، ولم تطل مدته، ثم مات معاوية بن يزيد، أو معاوية الثاني، فشهد دفنه مروان بن الحكم الذي استقر له الامر بالشام[١١٧].

أقام مروان بن الحكم بالشام، أيام ابن الزبير بعد رحيله من الحجاز، فاجتمعت اليه بنو أمية، وصار الناس بالشام فرقتين يمنية مع مروان، وقيسية مع الضحاك بن قيس، وهم مع ابن الزبير، فاجتمع بنو أمية على عقد الامر لمروان، وهو شيخ مجرب بقية بني أمية في وقته. فضرب مروان القيسية بمن كان مع الامويين من اليمنية

١١٤-الكتاني: التراتيب الادارية ، ج١ ، ص ١٩٢.

١١٥-ابن الاثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٥، ص ٢١٢.

١١٦-المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٣ ، ص ٢١٨-٢١٩.

١١٧-ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٢٣٧.

بمرج راهط من أرض دمشق فغلبهم ودخل الفيحاء فقعد مقعد الخلافة"[١١٨].

وقد أشار المسعودي، الى ان وقعة مرج راهط سبب ملك بني أمية، وقد كان زال عنهم الى بني أسد بن عبد العزي، ولذلك، رأى البعض ان مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف. وبذلك انتقلت الخلافة الى بني مروان، وخرجت عن آل أبي سفيان. ولما هلك مروان انتقل الامر الى ابنه عبد الملك[١١٩].

كانت حالة البلاد عند وفاة مروان بن الحكم تمزقها العصبية القبلية التي دأب النبي على اخمادها، حتى أشرفت الدولة الاموية على الزوال، لولا ان أتاح الله لهذه الدولة عبد الملك بن مروان الذي يعتبر بحق المؤسس الثاني للدولة الاموية، لما امتاز به من رجاحة العقل والقدرة على تصنيف الامور، فانتشلها من الفوضى التي وصلت اليها وأقام صرح مجدها على أسس لم يسبقه اليها من جاء قبله من الخلفاء"[١٢٠].

أعاد عبد الملك تنظيم الادارة التي أفسدتها الفتن، فقد أتم عمل معاوية في تنظيم البريد، بحيث يذكر المؤرخون انه أحكمه، ونظم عمل الدواوين بفروعها المختلفة، مثل: ديوان الرسائل والخراج والخاتم، كذلك عمل على حصر أهل الذمة بالشام، تمهيداً لتنظيم فرض ضريبة الجزية ولعله اضطر الى ذلك بسبب فوضى الفتن السابقة، فأمر بالتعديل أي ان يكتب كل شخص اسمه واسم أبيه وأولاده وممتلكاته في مكان ولادته[١٢١].

وقد أحكم عبد الملك البريد، حيث قال لأحد رجاله واسمه ابن الدغيدغة:« وليتك ما حضر بابي الا أربعة: المؤذن، فانه داعي الله تعالى فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فشّر ما أتى به ولو جد خيراً لنام، والبريد فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه، فربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة، والطعام اذا أدرك، فافتح الباب وارفع الحجاب وخل بين الناس وبين الدخول[١٢٢].

١١٨- كرد علي، محمد: الاسلام والحضارة العربية، ج٢ ، ص ٣٩٩.

١١٩-المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٠٠.

١٢٠-حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ، ص ٢٩٢.

١٢١-ماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج٢ ، ص ١٧٠.

١٢٢-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ١٤، ص ٣٦٧.

- العدوي، أحمد ابراهيم: النظم الاسلامية ، ص ٢٣٨.

وان دل هذا القول على شيء، فانه يدل على مدى اهتمام عبد الملك بالبريد وتحسينه وتقديره دون سواه من النظم الادارية الاخرى في الدولة.

وخص عبد الملك لديوان البريد رجلاً من ثقاته الاوفياء وهو قبيصة بن ذؤيب الذي كان يقرأ الكتب الواردة من الاقاليم فيخبر عبد الملك بما جاء فيها"[١٢٣].

وقد تحسن نظام البريد بدرجة ملحوظة في عهد عبد الملك، ذلك ان البريد لم ينقل فحسب بطريقة تبادل الخيل، وانما استخدم عمال الدولة نظام البريد للرحلات السريعة، وفي أيام الطوارىء كانت عربات البريد تستخدم في نقل القوات العسكرية على وجه السرعة، حيث كانت تستطيع ان تحمل ما بين خمسين ومائة رجل في الرحلة الواحدة"[١٢٤].

كان عبد الملك حين هرب الحجاج من شبيب قد بعث من الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الابرد الكلبي لقتال شبيب، فقدم على الحجاج بالكوفة، فخرجوا على شبيب ومضى في فوارس من أصحابه واتبعه سفيان في أهل الشام، فلحقه بالاهواز، فولى شبيب، فلما صار على جسر دجيل نقر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ومغفر فألقاه في الماء فحمل على البريد الى الحجاج"[١٢٥].

إذاً كادت الفتنة تفسد الامور على عبد الملك لولا انه استعان ببريد الشام من أجل نجدة الحجاج وتضييق الحصار على شبيب.

وبعد وفاة عبد الملك بويع لابنه الوليد في اليوم الذي توفي فيه بدمشق"[١٢٦]. ولم يكتفِ بما كان عليه البريد أيام والده من نقل الاخبار بل اتسعت شبكته خاصة فيما يتصل بمنشآته العمرانية، وكتب الوليد الى ملك الروم يسأله ان يبعث له صناعاً للبناء فبعث اليه بمائة صانع، وفصوص كثيرة من أجل مسجد دمشق"[١٢٧].

كما استخدم الوليد خيل البريد وابله، في حمل الفسيفساء وهو الفص المذهب من القسطنطينية الى دمشق ليصفّح به حيطان المسجد في دمشق، وكذلك حيطان

١٢٣– كرد علي، محمد : الاسلام والحضارة العربية ، ج٢ ، ص ١٦٩.

١٢٤–مولوي، حسيني: الادارة العربية ص ١٧٠-١٧١.

١٢٥–المسعودي: مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٤٧.

١٢٦–المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٥.

١٢٧–ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٧٥.

مساجد مكة والمدينة والقدس الشريف، ولا يزال بعض الفسيفساء بجامع دمشق في الصحن، وجامع مكة في توسعه المهدي، يشهد ما كان لدواب البريد من فضل في حمله الى تلك البقاع المقدسة[١٢٨].

ثم استخلف عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك، واليه ينسب اقامة الخانات على طريق البريد وسككه، خصوصاً طريق خراسان ليبيت فيها الناس، وأمكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال، ومياه في الاحواض للشرب[١٢٩].

وبلغ عمر بن عبد العزيز ايضاً عن أبي سلام الاسود انه يحدث عن ثوبان بحديث الحوض، فبعث اليه فأحضره على البريد، وقال كالمتوجع له:« يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك، ولكن أردت ان تشافيهن بالحديث مشافهة » . كما ان رجلا من أهل أذربيجان دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: « ما حاجتك؟ فقال: ان عاملك بأذربيجان عدا عليّ فأخذ مني اثنتي عشر الف درهم فجعلها في بيت المال » فقال عمر:« اكتبوا له الساعة الى عاملها، فليرد عليه، ثم ارسله مع البريد »[١٣٠].

فالامر ليس مستغرباً على رجل كعمر بن عبد العزيز عرف بالورع والتقوى وعده أهل السنة خامس الخلفاء الراشدين، لان ذلك انعكس ايجاباً على مدى عنايته بنظام البريد وهذا يعود الى تدعيم أركان الدولة ومحاسبة عمالها حساباً دقيقاً.

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن العزيز، فكان الخليفة اذا أراد احضار شخص ما من الاقاليم الى عاصمة ملكه، أمر بحمله على دابة البريد. هكذا فعل يزيد بن عبد الملك بن مروان عندما وجه الى صاحب مكة كتاباً يطلب منه ارسال أحد الشعراء وقد سمع الخليفة عن شهرته في قول الشعر «اذا أتاك كتابي هذا فادفع الى فلان بن ابي لهب ألف دينار لنفقة طريقه، واحمله على ما شاء من دواب البريد » ففعل[١٣١].

١٢٨- العمري: التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٨٤-١٨٥.

١٢٩-دائرة المعارف الاسلامية، ج٣، ص ٦٠٩.

١٣٠-ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ٢٠٢-٢١٨.

١٣١-المسعودي: مروج الذهب، ج٤ ، ص ٣٢.

ان هذه العبارة تدل على ان دواب البريد كانت من النوع الممتاز السريع العدو، وعلى أهبة الاستعداد للسفر، وان أماكن راحتها مزودة بالبديل والعلف والماء.

وبعد يزيد بن عبد الملك ولي أخوه هشام الذي عهد اليه قبل وفاته[١٣٢]، وبلغ البريد في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك مبلغاً عظيماً من الدقة بحيث كان لا يولي البريد الا لأفراد يثق فيهم الخليفة وفعل هذا عندما عزل أشرس عن خراسان وولى مكانه الجنيد.

وفي ذلك يشير ابن خلدون« ان هشام بن عبد الملك عزل أشرس بن عبد الله عن خراسان وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الحارث بن خارجة بن سنان بن ابي حارثة المري، أهدي الى أم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جواهر فأعجبت هشاماً فأهدى له أخرى مثلها فولاه خراسان وحمله على البريد »[١٣٣] .

وكان قطار البريد يتألف من دابة فأكثر حتى يبلغ في بعض الاحيان أربعين أو خمسين دابة، لا سيما اذا استخدمت في نقل الجنود لاخماد الفتن والثورات التي تنشب في ولاية من الولايات، كما حدث عندما اجتمع الخزر والترك من ناحية اللاف وزحف اليهم الجراح سنة اثنتي عشرة ولقيهم بمرج اردبيل فاقتتلوا أشد قتال وتكاثر العدو عليه، فاستشهد ومن معه وقد كان استخلف أخاه الحجاج على أرمينية، ولما قتل طمع الخزر وهم التركمان وأوغلوا في البلاد[١٣٤]، حتى قاربوا الموصل، وقيل كان قتله ببلنجر ولما بلغ الخبر هشاماً دعا سعيداً الحريشي فقال:« بلغني ان الجراح انهزم، قال:« الجراح أعرف بالله من ان ينهزم،ولكن قتل، فابعثني على أربعين من دواب البريد وابعث اليّ كل يوم أربعين رجلاً مدداً، واكتب الى أمراء الاخبار يواسوني »[١٣٥].

١٣٢-ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٣ ، ص ٨٥.

١٣٣-المصدر نفسه،ج٣، ص ٨٨.

١٢٤- ١٣٥-المصدر نفسه، ج٣، ص ٨٩.

فتعجّب هشام بن عبد الملك من جرأة ذلك القائد وشجاعته التي أعادت اليه الثقة بالنفس والايمان بالنصر، فأجابه الى طلبه ونجح سعيد في مهمته خير نجاح، والفضل في ذلك ، من دون شك، يرجع الى ديوان البريد وعماله ودوابه الذين ساعدوه في نقل الجنود والمدد على جناح السرعة فتمكن من احاطة الثائر ومباغتته.

وخلاصة القول ان خلفاء بني أمية اعتنوا بنظام البريد ونظموه وحبسوا الاموال للانفاق على دوابه وطرقه وعماله، كي يتخذوه أداة صالحة في سبيل تأييد سلطانهم وكسر شوكة أعدائهم . ولكن نظام البريد ، بلغ أوج رقيّه وتطوّره في عهد الخلافة العباسية.

البريد العباسي

إن الثورة التي استخلصت السلطة من الامويين،ونقلتها الى منافسيهم العباسيين قد أحدثت انقلاباً خطيراً في العالم الاسلامي على وجه العموم وفي الادارةالحكومية، ونُظُمـها على وجه الخصوص. ذلك انها قضت على انفراد العنصر العربي بالحكم واستئثاره بمناصب الدولة الكبرى وحل محله العنصر العجمي.

فالمعروف ان العرب يمثلون، نظماً سياسية واجتماعية معينة، وقد أدت سيطرة العنصر العجمي الى ذهاب هذه النظم أدراج الرياح بذهاب سلطتهم.

بل ان النظم الفارسية القديمة، ذابت في المملكة الاسلامية،وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الذوبان تحسين واخراج النظم الادارية على أسس منظمة، وقد أدى ذلك الى كثرة التشكيلات الحكومية في الدولة العباسية كوظيفة الوزير واستاذ الدار، والسلطان، ومجلس العزيز، وتعدد الدواوين، ومن بينها ديوان البريد وكلها نظم كسروية قديمة صاغها العقل في ثوب اسلامي جديد.

البريد في عصر المنصور والمهدي:

وعلى الرغم من هذه الحقيقة وان كانت عاصفة على بعض المؤرخين الذين يذهبون الى القول:« بأن نظام البريد ظل قائماً والعمل عليه دائماً في الدولة الاسلامية حتى تقوض بناء الدولة المروانية، وانتكث حبلها فانقطع البريد ما بين خراسان والعراق لانصراف الوجوه الى الشيعة القائمة بالدولة العباسية ».[١٣٦]

فالقول متفق عليه لان من عادة الدول ان تجند قواها العقلية والمادية وتصرف النظر عن مشاريع الاصلاح والتعمير لتسد النقص في الناحية الدفاعية المتولد عن الفتن والثورات، سواء أكان الدافع لها والباعث على تحريكها في الداخل أو الخارج، أما غير المتفق عليه، فلا يمكن اعتبار البريد في خبر كان بعد انقراض أيام مروان آخر خلفاء الامويين، وكذلك أيام السفاح ، والمنصور ثم المهدي حيث ورد القول:

١٣٦– العمري: التعريف ،ص ١٥٨.

«والبريد لا يشد له سرج ويلجم له دابة».[١٣٧]

ان صح هذا القول عن عصر السفاح لا يصح ان يقال عن المنصور، فالتاريخ والواقع ينسبون اليه الادارة الحازمة والعناية الفائقة باحكام نظام المركزية في بغداد. وأظن هذا لا يتم الا عن طريق احكام البريد.

ويفهم من رواية المسعودي انه على الرغم من الارتباك الذي عم نظام الحكم على أثر معركة الزاب الكبرى، فان البريد قد قام بدور كبير في قيام دولة العباسيين، وان زعماء الدعوة بالكوفة لما مثل اليهم ابو العباس السفاح وأهل بيته، في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة هـ.«وفيها جرى البريد بالكتب لولد العباس»،[١٣٨] أخفوا أمره حتى لا يكون في اعلانه وسيلة ينتهجها الامويون في افساد خططه قبل ان يقوم عمال البريد بحبك الامور مع بقية اعضاءالبيت العباسي المبعدين في الاصقاع. ومع قيام الدولة العباسية مضى نظام البريد قدماً في طريق التطور وتضخمت اعباؤه وتعددت المهام المنوطة به.

كانت الفترة التي حكم فيها ابو العباس السفاح قصيره، شاقة وعسيرة، عمل فيها بنو العباس مجتمعين على تثبيت اقدامهم في الخلافة، فحطمت جيوشهم آخر جيوب المقاومة الاموية، وبذلك اجتازت الدولة الناشئة هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها لتصبح أشد مناعة وقوة في عهد ابي جعفر المنصور، الذي يعتبر بحق المؤسس الاول للدولة العباسية. كما يقول ابن الطقطقي:« فهو الذي أصّل الدولة وضبط المملكة ورتّب القواعد وأقام الناموس واخترع اشياء ذات بال».[١٣٩]

كما توفرت في المنصور جملة صفات جعلت منه رجلاً حازماً وقوياً، باحكام نظام المركزية في العاصمة. وقد لخص المسعودي هذه الصفات بقوله:« كان محنك السن، حازم الرأي، قد عركته الدهور لا يدخله فتور عن حادثة، يسوس سياسة الملوك ويثب

١٣٧-المصدر السابق، ص ١٥٨.

١٣٨-المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص ٩٧ .

١٣٩-ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٠٦-١٠٧-١١٣.

وثبة الاسد العادي لا يبالي ان يحرس ملكه بهلاك غيره».[١٤٠]

ومن المعروف ايضاً ان الدولة العباسية واجهت في مطلع حكم المنصور الكثير من المخاطرالتي كادت تودي بها أكثر من مرة، وقد تمثلت هذه المخاطر في القضاء على بقايا الامويين وحصد شوكة العلويين. على أن هذه الاخطار على بالغ خطورتها، لم تستغرق جهود المنصور كلها، فصرف بعضاً منها لتنظيم الدولة وادارتها.

وإزاء المصاعب التي واجهته، أدرك ابو جعفر المنصور، ان رد هذه الاخطار مجتمعة لن يتسنى له اذا لم تكن جبهته الداخلية متماسكة، ونظام حكمه وطيداً، لذا نراه يسعى الى العمل على تنشيط نظام البريد والتراسل ليحفظ ملكه ويكون على بيّنة مما يجري لئلا ينسب الى الضعف والخفة فيجترىء عليه الأعداء والأخصام ولأن من اخلاق الملك السعيد اليَقِظْ ، البحث عن سرائر خاصته وعامته واذكاء العيون عليهم والبحث عن كل خفي ودفين ليعرف العدو من الولي والمسالم من المشاغب ذلك ان أول زوال الملك استار الاخبار.[١٤١]

ومما يُؤْثر عن الخليفة المنصور انه قال:« ما كان أحوجني الى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفّ منهم. قيل له من هم يا أمير المؤمنين، قال: « أركان الملك ولا يصلح الملك الا بهم، كما ان السرير لا يصلح الا بأربع قوائم. ان نقصت قائمة وَهَى، أما أحدهم فقاض لا تأخذه في اللّه لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني عن ظلمها غني، والرابع.. ثم عضّ على إصبعه، السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه. آه.، قيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة».[١٤٢]

١٤٠–المسعودي: التنبيه والاشراف، ص ٢٩٥–٢٩٦.

١٤١– الجاحظ: التاج في اخلاق الملوك، ص ١٦٧– ١٦٩.

١٤٢–الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٦٧.

–كرد، علي محمد : الاسلام والحضارة العربية، ج٢ ص ١٩٩.

– الخضري، محمد: محاضرات تاريخ الامم الاسلامية «الدولة العباسية» ، ص٩٢.

ان صدور مثل هذا القول عن رجل مسؤل كأبي جعفر المنصور يعطيه قيمة علمية خاصة جديرة بالاهتمام، فالمنصور يعترف ان ملكه لا يستقيم او تقوم له قائمة الا بنظام البريد الذي اعتبره احدى القوائم الاربع التي شيد عليها دولته ويرجع صلاحية الاركان الثلاثة الى صلاحية البريد، ذلك لان البريد حلقة الاتصال وهمزة الوصل بينه وبينها.

كما ان عامل البريد كتب مرة الى المنصور« يخبره بأن والي حضرموت يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها، فعزله وكتب اليه: ثكلتك أمك وعدمتك عشيرتك، ما هذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش! إنا إنما استكفيناك أمور المسلمين. ولم نستكفك أمور الوحش، سلم ما كنت تلم من عملنا الى فلان ابن فلان، والحق بأهلك ملوماً مدحوراً ».[١٤٣]

وهذا دليل آخر يعطينا فكرة واضحة عن سهره على عماله ومحاسبتهم على أعمالهم خيراً كانت أم شراً.

وقد ساعد عمال البريد الخليفة المنصور في احكام الرابطة بينه وبين رعيته حيث يشير الطبري الى ذلك بقوله:« ان ولاة البريد في الآفاق كلها كانوا يكتبون الى المنصور أيام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب الأدم ، وبسعر كل مأكول، وبكل ما يقضي به القاضي في نواحيهم، وبما يعمل به الوالي وبما يرد بيت المال من المال، وكل حدث ».[١٤٤]

وعلى الرغم من عناية الخليفة المنصور بنظام البريد واحكامه، فان بعض المؤرخين اعتقد خطأ ان ابنه المهدي هو أول من رتب البريد في الاسلام. ضاربين بذلك جهود الخليفة المنصور ومن سبقه من خلفاء بني أمية صفحاً في هذا الصدد، ولعل سبب وقوعهم في هذا الخطأ، ان المهدي أمر في سنة ١٦٦ هـ «باقامة البريد بين المدينة وبين مكة واليمن، واهتم ايضاً بطرقه ومنازله وأقام فيها البغال والإبل،ولم يقم

١٤٣- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٨، ص ٦٨.

- الخضري، محمد: محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، ص٩٢.

١٤٤-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٩٦.

هنالك بريد قبل ذلك».[١٤٥]

كما ان المهدي أغزى ابنه هارون الرشيد الروم، واحب ان لا يزال على علم قريب من خبره، فرتب ما بينه وبين معسكر ابنه برداً، كانت تأتيه بأخباره وتريه متجددات أيامه. ولما عادت الحملة قطع المهدي تلك البرد، فظلت كذلك حتى نهاية خلافة الهادي بعده.[١٤٦]

الا اننا نميل الى الأخذ بقطع تلك البرد في وقت كانت الدولة بحاجة اليها للوقوف على حركات الروم العسكرية على الحدود الشامية، ثم ان الوضع هناك كان يستلزم الإكثار من العيون لكتابة التقارير الى الخليفة وسرعة ايصالها اليهم والمقصود بكلمة "عيون" رجال البريد، كما استخدم البريد لدى الخلفاد كوسيلة من وسائل استتباب الأمن، وقمع الثورات والفتن. كذلك استخدام البريد لمصلحة الثوّار، في الانتقال من مكان الى مكان، والخروج على طاعة الحكام. اذ ان الرواية عن ثورة الحسين بن علي بن الحسن، الثائر على طاعة الخليفة الهادي، تشير الى هرب ابن عمه «ادريس بن عبدالله بن حسين بن علي بن ابي طالب من وقعة فخ في خلافة الهادي وفراره الى مصر، وعلى بريد مصر واضح مولى لصالح بنّ أمير المؤمنين المنصور، وكان رافضياً خبيثاً، فحمله على البريد الى أرض المغرب، فوقع بأرض طنجة بمدينة يقال لها وليلة، فاستجاب له من بها وبأغراضها من البربر، فضرب الهادي عنق واضح وصلبه».[١٤٧]

فكانت هذه الثورة ضربة في ظهر العباسيين وكان من الممكن تجنّب قيامها لولا صاحب بريد مصر.

عصر الرشيد والمأمون:

فلما آلت الخلافة الى هارون الرشيد اختار يحيى بن خالد البرمكي مشيراً ووزيراً له. فأشار عليه وزيره باجراء البريد على ما كان عليه أيام أبيه والامويين، وبيّن له

١٤٥-المصدر السابق، ج٨، ص ١٦٢.

- كرد، علي محمد: الاسلام والحضارة العربية، ج٢، ص ٢١٠.

١٤٦-العمري : التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٨٥.

١٤٧-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ١٩٨.

الفوائد التي تجنيها الدولة من العناية بترتيبه. فأمر الرشيد باقراره، فوضع يحيى نظام البريد في قالب جديد وجعل له البغال في المراكز، وكان لا يجهز عليه الا الخليفة أو صاحب الخبر.[١٤٨]

ومما يدل على ما وصل اليه البريد من تنسيق وترتيب وقوة أيام الرشيد ان رقابته على الولاة في الاقاليم لم يستثني منها أصحاب الجاه والسلطان. حتى البرامكة أنفسهم كانت أخبارهم تصل الى مسامع هارون الرشيد عن طريق عمال البريد. ومن ذلك :«ورد على الرشيد في يوم من الايام كتاب صاحب البريد بخراسان، ويحيى بن خالد بين يديه، يذكر فيه ان الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به الى يحيى وقال:« يا أبتِ، اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه كتاباً، يردعه عن مثل هذا ». فمد يحيي يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد.[١٤٩]

لقد جاء كتاب عامل بريد خراسان مصداقاً للحوادث، فانصراف الفضل عن شؤون المشرق أدى الى قيام الفتن به واستفحال خطرها، واضطر الرشيد الى مغادرة بغداد لقمعها وكان بصحبته ولده المأمون.

ولما نكب الرشيد البرامكة قال : «أريد ان استعمل قوماً لم يعملوا معهم، فقيل له : «لا تجد احداً لم يكن يخدمهم». فاختار أشف من وقع في نفسه من عيون اصحابهم.[١٥٠].

المقصود هنا بكلمة "عيون" رجال البريد نظراً لدقة الوضع بعد نكبة البرامكة حيث اختلت الامور. وقد ذكر الفضل بن مروان: ان أمور البريد والاخبار في أيام الرشيد كانت مهملة، وان مسروراً الخادم كان يتقلد البريد والخرائط! ويخلفه عليه ثابت الخادم. ولدى وفاة الرشيد وجدت أربعة آلاف خريطة لم تفض. من الواضح ان أمور البريد قد اختلّت بعد نكبة البرامكة.[١٥١]

١٤٨-العمري: التعريف ، ص ١٨٥.

١٤٩-المسعودي: مروج الذهب، ج٤، ص ٢٣٤.

١٥٠-الجهشياري: الوزراءوالكتاب، ص ٢٥٤.

١٥١-المصدرنفسه: ص ٢٦٥.

وقد وافت هارون الرشيد المنية بطوس، وفي هذه السنة بويع لمحمد الامين بن هارون بالخلافة في عسكر الرشيد، وعبدالله بن هارون المأمون يومئذ بمرو، فكتب حمويه مولى المهدي صاحب البريد بطوس الى أبي مسلم سلام، مولاه وخليفته ببغداد على البريد والاخبار يعلمه بوفاة الرشيد، فدخل على محمد فعزاه وهنّأه بالخلافة وكان أول الناس فعل ذلك.[١٥٢]

وفي هذا العصر أيضاً ظهرت أهمية البريد في الخلاف الذي نشب بين الأمين والمأمون. وكان لعمال البريد دور كبير في تلقي الاخبار وحبكها ما بين بغداد ومرو، وتفنن كل من الأخويين في معرفة أخبار الآخر وأسراره.[١٥٣]

وزاد من حدة الخلاف اعتماد الامين على الفضل بن الربيع العربي واعتماد المأمون على الفضل بن سهل زعيم العجم، الذي كان حاذقاً في سياسته.« فلما همّ الأمين بخلع أخيه المأمون من ولاية العهد بعد مشاورة الفضل بن الربيع، وزن الفضل بن سهل الموقف بميزان الحكمة والتعقّل ودسّ قوماً اختارهم ممن يثق فيهم من القواد والوجوه ببغداد ليكاتبوه بالاخبار يوماً يوماً ».[١٥٤]

وكان الفضل بن الربيع قد أخذ بالمراصد لئلا تجاوز الكتب الحد، وبالرغم من هذا احتال رسول المأمون بارسال أخباره مع امرأة جاعلا الكتاب وديعة في عود منقور من أعواد الغاب وكتب الى صاحب البريد بتعجيل الخبر، وكانت المرأة تمضي على المسالح كالمجتازة من قرية الى قرية، لا تهاج ولا تفتش، وجاء الخبر الى المأمون موافقاً لسائر ما ورد عليه من الكتب، قد شهر بعضها ببعض، فقال لذي الرياستين:« هذه أمور قد كان الرأي أخبر عن عيبها، ثم هذه طوالع تخبر عن أواخرها، وكفانا أن نكون مع الحق، ولعل كرهاً يسوق خيراً ».[١٥٥]

١٥٢- الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٨، ص ٣٦٥.

١٥٤-المصدر نفسه، ج٨، ص ٣٨٥.

١٥٥-المصدر نفسه، ج٨، ص ٣٨٦.

وقبل ان يكاشف الامين المأمون بالخلاف عليه أرسل في طلب بعض كور خراسان وان يكون له بها صاحب بريد يكاتبه بأخباره، فامتنع طبعا المأمون لأن هذا معناه الرقابة الفعلية من صاحب البريد على تصرفات المأمون وأفعاله بالمشرق. ثم كاشف الأمين أخاه بالحقيقة عندما أعاد البريد من بغداد بخلعه من ولاية العهد، وأجابه المأمون باسقاط اسم الأمين من الخطبة وقطع البريد عنه.[١٥٦]

كما ان الطبري أوضح أقصى ما اتخذه المأمون من ضروب الدقة والحذر في مراقبة الحدود بين بغداد والمشرق حيث قال:« وكان المأمون قد وجه حارسه الى الحد، فلا يجوز رسول من العراق حتى يوجهوه مع ثقات من الامناء، ولا يدعه يستعلم خبراً ولا يؤثر اثراً ولا يستتبع بالرغبة ولا بالرهبة أحداً، أو أن تودع صدورهم رهبة، أو يحملوا على منزل خلاف أو مفارقة، ثم وضع على مراصد الطرق ثقات من الحراس لا يجوز عليهم الا من لا يدخل الظنة في أمره فمن أتى بجواز في مخرجه الى دار مآبه، أو تاجر معروف مأمون في نفسه ودينه، ومنع الاشتاتات من جواز السبل والقطع بالمتاجر والوغول في البلدان في هيئة الطارئة والسابلة وفتش الكتب».[١٥٧]

ولكن تلك الاحتياطات التي اتخذها المأمون لن تسفر عن نتائج ايجابية بين الاخوين، بسبب سوء تدبير الأمين وضعف القضية العربية بعد سيطرة العنصر الفارسي على أمور الدولة وانفراده بتنظيم الادارة. حيث كان لبريد المأمون الاسبقية في الفوز والنصر، كما ان قائده طاهر بن الحسين كتب اليه، قائلاً:« كتبت اليك ورأس علي بن عيسى بين يدي، وخاتمه في اصبعي، والحمدلله رب العالمين».[١٥٨]

يفهم من ذلك ان البريد كان همزة وصل بين الخليفة وكبار قواده في ميادين القتال مهما بعدت المسافة بين الطرفين. كما تظهر دقة المأمون وعنايته بتمهيد طرق البريد وتعبيدها وتزويدها بالخيول والرجال لضمان وصول الاخبار بسرعة.

١٥٦- الجهشياري: الوزراءوالكتاب، ص ٢٨٩.

١٥٧-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٣٤٩.

١٥٨-المصدر نفسه ،ج٨، ص ٣٩٤.

- الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص ٢٤٠.

ومما يُروى عن المأمـون « انـه لما دخل بلاد الروم ونزل على نهـر البـرذون وكـان الزمان حراً والفصل صيفاً، وشرب من مائه فاستعذبه واستبرده واستطابه وقال لمن كان معه:« ما أطيب ما شرب عليه هذا الماء رطب ازاز ».[١٥٩]

وكان عليهم ان يحققوا رغبة الخليفة ولكن رطب ازاز لا يوجد الا بالعراق وهم على أطراف الشام، فقالواله : «يعيش أمير المؤمنين حتى يأتي العراق ويأكل من رطبها الإزاز، واستعانوا بصاحب ديوان البريد في بغداد فدبر لهم الحل، وأسرع في إعداد بغال البريد وحملها رطب ازاز، واجتازت الطريق الى النهر المذكور، وكانت مفاجأة سارة عندما أتى المأمون بها فأكل منها وأمعن وشرب من ذلك الماء، فكثر تعجب الحاضرين منه لسعادته في انه لم يقم من مقامه حتى بلغ أمنيته »،[١٦٠]حيث كان يظنها من المستحيلات لبعد المسافة بين النهر والعراق ويعتبر هذا العمل تطوراً ملحوظاً لنظام البريد في عهده.

وفي عصر الخليفة المعتصم قام الزط بثورة عنيفة في اقليم البصرة واستفحل خطرهم لدرجة انهم قطعوا الطرق ونهبوا المارة، ولم يتمكن المعتصم من محاصرتهم واخضاعهم الا بعد ان رتب البريد بينه وبين عجيف بن عنبسة قائد جيوشه واستعان بخيول البريد وسككه في ارسال الفرق والمؤن، «فرتب الخيل في سكة البرد تركض بالاخبار، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل من يومه الى المعتصم ببغداد».[١٦١]

عصر الخلفاء المتأخرين:

تولّى الخلافة بعد المعتصم الواثق، وكان شاباً مستنيراً، وبوفاته تنطوي صفحة العصر العباسي الاول، عصر القوة والعظمة ويبدأ عصر الخلفاء الضعاف أو العصر العباسي الثاني. وفيه كان يعني بالبريد احياناً ويهمل شأنه أحياناً أخرى. حسب شخصية الخليفة وحرصه على الاحتفاظ بسلطته كاملة غير منقوصة. ومن هؤلاء الذين

١٥٩-العمري: التعريف ، ص ١٨٥.

١٦٠-القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٣٦٩.

١٦١-الصالح، صبحي: النظم الاسلامية، ص ٣٣٣.

- الخضري، محمد: محاضرات تاريخ الامم الاسلامية، ص ٢١٩.

توفر فيهم هذا الحرص، وأشارت اليهم كتب التاريخ عن أهمية البريد في عهدهم الخليفة المتوكل على الله .

وفي هذا الصدد ذكر المسعودي:« فقد بلغ المتوكل يوماً انه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ولم ير مثله، فتاقت نفسه الى شراء هذا السيف ، فأحضر ميمون بن ابراهيم صاحب ديوان البريد، وأمره بانفاذ كتاب البريد الى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ، وورد جواب عامل البصرة بان السيف اشتراه رجل من أهل اليمن، فأمر المتوكل بالبعث الى اليمن بطلب السيف وابتياعه، فنفذت كتب البريد الى اليمن وجيءبالسيف الى بغداد ».[١٦٢]

وهذا دليل أكيد على احتفاظ نظام البريد بطابعه وقوته رغم الانحلال والضعف اللذين لحقا بالدولة في ذلك العصر.

ويوم قبضت العناصر غير العربية على أزمة الامور في بغداد وفي الولايات. فنمت في هذا الاقليم روح التمرد والانفصال، وتجلت بنوع خاص في مصر، فابن طولون أراد الافادة من مركز مصر الجغرافي وبالتالي من ادارة البريد في تحقيق أطماعه الشخصية وفي مناوأة الخلافة العباسية، وكانت الظروف مساعدة له حيث تمكن من تعيين أحد المقربين اليه عاملاً للبريد، في حاضرة الدولة العباسية ليكون عيناً له ويوافيه، بما يجري في العراق وبما يحيكه له أعداؤه من مؤامرات في هذه البلاد وذلك في عهد الخليفة المهتدي، ويراقب الكتب التي ترد من العناصر المعادية لابن طولون في مصر للايقاع به عند الخليفة فيرجعها اليه، ويعرف ابن طولون أصحابها ويراقبهم مراقبة دقيقة، ثم يفتك بهم وبقي على هذا الحال حتى طهّر مصر من أعدائه واطمأن بفضل الجاسوسية التي أقامها في بغداد لحسابه.[١٦٣]

١٦٢- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٥، ص ٣٦.

١٦٣-المقريزي: الخطط ، ج٢، ص ١٧٩.

- حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، ج٣. ص ٤٢٦.

على ان هذه الامور لم تهدأ بالنسبة لابن طولون عند هذا الحد فلما وقع الخلاف بينه وبين أبي أحمد الموفق طلحة أخي الخليفة العباسي المعتمد، وعمل الخليفة هذا على صرف أحمد بن طولون عن مصر وألّب القواد عليه. ولكن كتب القواد وقعت في يد ابن طولون وزادته تأكيداً في عداء الموفق له.

وكلاهما يتفنن في التنكيل والكيد بالآخر. واستطاع أحمد بن طولون أن يحبط هذه المؤامرة، كما ان المقريزي يحفظ الكتب المتبادلة بين الرجلين وكلها تدل على العداء الموجود بينهما. ومن ذلك ما يُحكى عن الموفق انه أراد ان يشغل قلب أحمد بن طولون فسرقت نعله من بيت حظية له لا يدخله الا ثقاته، ثم بعثها الموفق اليه فقال الرسول:«من قدر على اخذ هذا النعل من الموضع الذي تعرفه اليس هو بقادر على اخذ روحك».[١٦٤]

ويفهم من ذلك ان الموفق أراد ان يشهّر بسمعة ابن طولون لدى الخليفة، وان يشعر ابن طولون بقوته وقدرته على ابقائه في مصر أو اخراجه منها..

وقد انتهى العداء بين خمارويه بن احمد بن طولون والموفق بهزيمة الاخير وعقد الصلح بين مصر وبغداد، ومن شروطه زواج الخليفة المعتضد ٢٧٩-٢٨٩هـ،من ابنة خمارويه قطرالندى. وكان لطرق البريد أثر كبير في تسيير انتقال قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون الى العراق عند زواجها من الخليفة المعتضد. وقد أمر خمارويه عمال بريد مصر باعداد الطريق بين القطائع وبغداد فبنوا لها على رأس كل مرحلة قصراً فخماً تنزل فيه.[١٦٥]

ثم تفشّت النعرة القومية في الامبراطورية الاسلامية من أقاصي المغرب، الى أقاصي المشرق، أي من الأندلس الى خراسان وانتشرت الحركات الاستقلالية المحلية في كل مكان وكانت الغلبة في ذلك العصر العباسي الثالث لأسرة فارسية الاصل هي أسرة بني بويه التي استطاعت ان تجعل لنفسها وجوداً اساسياً على حساب الخلافة

١٦٤-المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ١٨٠ .

١٦٥-حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣، ص ٤٦٢.

العباسية، وقد سبق ذلك موجة قوية من الارهاب والاضطراب في بلاد المشرق، وقد أدى ذلك الى تقطع شرايين البريد وتمزيق طرقه ونسف سككه، وعمد البويهيون أنفسهم على عرقلة نظمه رغبة منهم في اخفاء عن الخليفة ما يكون من أخبارهم وحركاتهم عندما قصدوا بغداد، وكان الخليفة لا يزال يأخذ بهم على بغتة.[١٦٦]

عمد أوائل البويهيين لحاجتهم الماسة الى تبادل الرسائل فيما بينهم الى تنظيم وتطوير عمل السعادة حتى كانت الكتب تصل من شيراز الى بغداد في سبعة أيام. وكانت معرفة أخبار الرعية والعمال ورجال الدولة، وأحوال الدول الاخرى أحد اختصاصات صاحب البريد. وقد أولى البويهيون اهتماماً خاصاً بالجاسوسية وتوسيع نطاقها وتنظيمها. وكان الجواسيس (أصحاب الاخبار) على صلة مباشرة بالامير.[١٦٧]

ولما استقرت الامور للبويهيين بلغ البريد في عهدهم مبلغاً عظيماً من الدقة والسرعة حتى كانت بواكير الفاكهة تصل من نواحي فارس وخوزستان الى قصور السلاطين ببغداد طرية سليمة، وتوقع اشد العقوبات بكل من توانى في اداء واجبه من موظفي البريد.[١٦٨]

وهذا دليل آخر يبين مدى اهتمام وعناية البويهيين بتنظيم وترتيب البريد.

كما ان المراسلات البريدية كانت تفضي في حضرة السلطان. فيأخذ منها الرسائل الهامة، ويرسل سائر الرسائل الى ديوان البريد فيوزع على أربابها».[١٦٩]

وأخيراً جاء العصر العباسي الرابع وهو عصر السلاجقة وأتباعهم المعروفين بالاتابكة« فحاولوا اعادة تنظيم البريد لربط اجزاء دولتهم مستخدمين في ذلك الخيل والابل».[١٧٠] وحرصوا على ان ترد اليهم أخبار دولتهم بانتظام، وأشدهم حرصاً في هذه الناحية« الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وكان حازماً متيقظاً صاحب فكر صائب،

١٦٦-العمري: التعريف، ص ١٨٦.

١٦٧-منيمنة، حسن: تاريخ الدولة البويهية،ص ٢٤٢.

١٦٨-حسن، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني و الثقافي،ج٣،ص ٤٥٩.

١٦٩-المرجع نفسه ج٣، ص ٤٥٩.

١٧٠-العمري: التعريف، ص١٨٦.

ودهاء ومكر وكان ايضاً مهيباً، عين أصحاب أخبار له بالعراق وفي الاطراف يطالعونه بجزئيات الامور وكلياتها، فكان لا يخفى عليه اكثر احوال رعيته، حتى ان أهل العراق يخاف الرجل منهم ان يتحدث مع امرأته، لما يظن ان ذلك يطلع عليه الخليفة، فيعاقب عليه». وعمل شخص دعوة ببغداد، وغسل يديه قبل اضيافه، فعلم الخليفة بذلك من اصحاب أخباره فكتب في الجواب:«سوء أدب من صاحب البلد، وفضول من كاتب المطالعة».[١٧١]

وظل حال البريد كذلك حتى أتت الدولة الزنكية، فأعادت انشاءه وتنظيمه من جديد ودام الامر كذلك ايام بني أيوب.[١٧٢]

ولكن سرعان ما بوغتوا بالاغارة الصليبية، فأوقفت تيارات الاصلاح وعرقلت عجلة السير، وشغل السلاجقة بصد الصليبيين« ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدو أعمال بغداد، حتى زحف اليها الديلم وملكوها، وصار الخلائق في حكمهم ثم انقرض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم. ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة ومحوا رسم الدولة».[١٧٣]

فهذا أمر مفروغ منه ومقطوع بصحته إقره التاريخ في أكثر من موضع فنحن لسنا بحاجة الى تسفيه ما قام به التتار من أعمال التخريب والتدمير في العالم الاسلامي ولكن ابن خلدون يخالف في هذا، ينظر الى هجمات الترك والمغول على الممالك الاسلامية نظرة بسيطة وهي:« خراب بعض المدن وانتقال الحضارة من مكان الى مكان آخر»، على حين ان الاوروبيين يجعلون استيلاء المغول والترك سبباً من أسباب سقوط الحضارة الاسلامية».[١٧٤]

١٧١-المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، قسم١، ص ٢١٧-٢١٨.

١٧٢-العمري: التعريف، ص ١٨٦.

١٧٣-ابن خلدون: مقدمة ،ص ٢٧٣.

١٧٤-بارتولد: تاريخ الحضارة الاسلامية،ص ٦١.

فنظام البريد وطرقه وهو أحد عناصر هذه الحضارة لا بد وان يكون قد توقف عن العمل خاصة ان القلقشندي يشير« بنوع خاص الى بطلان البريد في سائر الممالك الشامية على أثر وصول تيمورلنك الى دمشق في سنة ٨٠٤هـ.»[١٧٥]

وكان ذلك عن قصد من التتار حتى لا تسبقهم أخبارهم الى الدول التي عارضت مجيئهم. ولم يكن ذلك عن قصد ناتج عن جهلهم بقيمة نظام البريد، وعظمة فائدته للحكومات فكتب التاريخ كثيراً ما تشير الى عناية واهتمام المغول بهذا النظام.

كما يمكن القول ان التطورات الجديدة التي أضافتها العقلية العربية على نظام البريد كانت أشبه ببوتقة صهرت فيها خلاصة عناصر نظام البريد لدى العقليات الثلاث الرومية والفارسية والعربية.

صاحب ديوان البريد وعماله:

لم تأخذ ادارة هذا الديوان مكانتها وأهميتها بين الدواوين الادارية للدولة، الا في العصر العباسي الاول، بعد ان بدأ الخلفاء يباشرون بأنفسهم النظر في جميع مشاكل الدولة. وقد أدخلت على هذا الديوان تحسينات مهمة في عهد هارون الرشيد[١٧٦]، وبلغ درجة عالية من الكفاءة في آداء المهام المنوطة به.

ومهمة صاحب ديوان البريد الاشراف من مقره في العاصمة على ديوان البريد، حيث يتولى مسؤولية ايصال ما يصدر عن الخليفة او الوزير الى ولاة الاقاليم، ويتلقى ما يرد منهم الى دار الخلافة، فيعرضها أو يعرض خلاصتها على الخليفة، كما يشرف على اعمال العمال والموظفين التابعين للديوان، سواء من كان منهم في العاصمة او الولايات، ويتجسس ايضاً على الاعداء..

وقد أورد قدامة بن جعفر اختصاصات صاحب ديوان البريد بقوله:

«يحتاج في البريد الى ديوان يكون مفرداً به، وتكون الكتب المنفذة من جميع النواحي مقصوداً بها ليكون هو المنفذ لكل شيء منها الى الموضع المرسوم بالنفوذ

١٧٥-القلقشندي: صبح الاعشى،ج١٤، ص ٣٧٠.

١٧٦-السامرائي، قوام حسام: المؤسسات الادارية في الدولة العباسية، ص ٢٦٧.

اليه، ويتولى عرض كتب اصحاب البريد والاخبار في جميع النواحي على الخليفة، أو عمل جوامع لها، ويكون اليه النظر في أمر الفروانفيين والموقعين والمرتبين في السلك، وتنجيز أرزاقهم وتقليد أصحاب الخرائط في سائر الامصار »[١٧٧].

وكانت معرفة الاخبار وابلاغها قد بلغت درجة عظيمة من الرقي في الدولة الاسلامية، فقد حكي ان الموفق في عهد الخليفة المعتمد أراد ان يشغل قلب أحمد بن طولون، فدس من سرق نعله من بيت حظية له لا يدخله الا ثقاته، ثم بعثها اليه، فقال له الرسول:« من قدر على أخذ هذه النعل من الموضع الذي تعرفه أليس هو بقادر على أخذ روحك »[١٧٨]، كما ذكر سابقاً.

ان خطورة منصب صاحب ديوان البريد وعماله في نقل الاخبار هي من جملة الامانات الداخلة في عموم قوله تعالى:

& ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها&.[١٧٩]

صاحب ديوان البريد هو صاحب الاخبار الرسمي، له عيون يوافونه بكل جديد، وهذا ميراث أخذه العرب عن البيزنطيين، ففي عهد قسطنطين الاكبر كان لصاحب ديوان البريد أعوان يسمون باسم Veredarié،«وهم نقلة الاخبار الذين يركبون الخيل» وكانوا يمدونه بالاخبار[١٨٠].

ولم يكن منصب صاحب ديوان البريد من المناصب الميسورة المنال لاي انسان في الدولة اذ لا بد من توافر صفات معينة لمن يتولى هذا المنصب، تخلق في مجموعها رجلاً فريداً في أمانته واخلاصه وتحري الصدق في أخباره، لان مهمته ليست محصورة على تصدير الرسائل الى الجهات المطلوب ارسالها اليها وتسليم الوارد منها، وانما يتناول عمله ايضاً الاشراف على جميع السلطات المختلفة في انحاء الدولة.

١٧٧- ابن جعفر: كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٧٧.

١٧٨-المقريزي: الخطط، ج٢، ص ١٨٠.

١٧٩-قرآن كريم: سورة النساء، ٤-٥٧.

١٨٠ -متز،آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤هـ ج١، ص ١٥١.

لان المراد من البريد وصاحبه في الدولة الاسلامية هو غير المراد في وقتنا الحاضر. اذ كان الغرض منه في أول وضعه سرعة ايصال الاخبار بين الخليفة وعماله، الا انهم توسعوا فيه حتى جعلوه عيناً للخليفة على عماله وسائر رجال دولته. فصاحب البريد أشبه برئيس البوليس السري، وهو عين الخليفة الساهرة، ينقل اخبار عماله ومساعي اعدائه[١٨١].

لذا تعين ان يكون له في كل مدينة من ينوب عنه ويبعث اليه بالتقارير عما يجري، وعليه هو ان يعرضها على الخليفة موجزة او بنصها، حسب مقتضى الاحوال وبما يكفل اتخاذ التدابير الآيلة الى تنفيذ سياسة الدولة والحفاظ على أمنها وضمان استمرار العمل في مختلف مؤسساتها على قاعدة الاخلاص والعدالة. كما تجدر الاشارة الى انه لم يكن هناك وسيط بين صاحب البريد وبين الخليفة نظراً للثقة التي كان يوليه الخليفة اياها[١٨٢].

وعلى ضوء ذلك، فان قدامة بن جعفر يبين جوهر الصفات التي كان على صاحب ديوان البريد ان يتحلّى بها، فعليه«ان يكون ثقة اما في نفسه، او عند الخليفة القائم بالامر في وقته، لان الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج الى الكافي المتصفح، وانما يحتاج الى الثقة المتحفظ»[١٨٣].

كما عمد صاحب ديوان البريد في عهد الخلفاء المستبدين على انتهاج الجاسوسية الخبيثة ولربما كان في بعض الاحيان مصدر خطر على الامراء أنفسهم. وكان بنو العباس أكثر خلفاء المسلمين عناية في هذا الشأن حتى نسب الى بعضهم مباشرة ذلك بنفسه للاطلاع على أحوال ولاته ورعيته.

أما فيما يختص بتعيين عمال البريد في الولايات. فكان الخلفاء العباسيون يكتبون لصاحب ديوان البريد عهداً عند توليتهم، ويرسمون له فيه الطريقة التي

١٨١-زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي، ج١، ص ٢٤٠.

١٨٢-الصابيء : تحفة الامراء، ص ١٧٧-١٧٨.

١٨٣-ابن جعفر: كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٧٧. (تدا٠ة)

– حسن ، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣، ص ٤٥٨.

يجب ان يسيروا عليها. ولقد أورد قدامة بن جعفر عن عهد بولاية البريدي، واجبات عامل البريد في الاقاليم، فعليه، ان يختار من يستعين به في عمله، ويشركه في أمانته ممن يثق بصناعته ونزاهته. وان يكون من يستعمله من اهل الكفاية، وان يعرف حال عمال الخراج والضياع، فيما يجري عليه أمرهم، ويتتبع ذلك تتبعاً شافياً، وينهيه على حقه وصدقه[١٨٤].

ومن واجبات عامل البريد ايضاً، ان يعرف حال عمارة البلاد وما هي عليه من الكمال والاختلال وما يجري في أمور الرعية، فيما يعاملون به، من الانصاف والجور والرفق والعسف، فيكتب به مشروحاً. وان يعرف ما عليه الحكام في حكمهم وسيرهم وسائر مذاهبهم وطرائقهم. وان يعرف حال دار الضرب وما يضرب فيها من العين والورق، وما يلزمه الموردون من الكلف والمؤن، ويكتب بذلك على حقه وصدقه.وان يوكل بمجلس عرض الاولياء وأعطياتهم من يراعيه ويطالع ما يجري فيه،ويكتب بما تقف عليه الحال من وقته، وان يكون ما ينهيه من الاخبار شيئاً يثق بصحته ولا يدخل بشبهة[١٨٥].

هذا في نطاق مسؤولياته العامة، ومنها يتبين لنا انه كان يتمتع بصلاحيات هامة، اذ انيط به مراقبة الادارتين المدنية والعسكرية. أما في نطاق مسؤولياته الخاصة بادارة البريد في اقليمه فقد لخصها هذا العهد، فأوجب على عامل بريد الولاية ان يعرض المرتبين لحمل الخرائط في عمله، ويكتب بعددهم وأسمائهم ومبالغ أرزاقهم وعدد السكك في جميع عمله وأميالها ومواضعها، ويوعز الى هؤلاء المرتبين بتعجيل الخرائط المنفذة على أيديهم، والى الموقعين باثبات المواقيت وضبطها حتى لا يتأخر أحد منهم عن الاوقات التي سبيله ان يرد السكة فيها، وان يفرد لكل ما يكتب فيه من أصناف الاخبار كتباً بأعيانها.فيفرد القضاة وعمال المعاون والاحداث والخراج

---

١٨٤ قدامة: الخراج وصناعة الكتابة ص ٢٠

١٨٤-متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤هـ، ج١، ص ١٥١-١٥٢.

١٨٥-المرجع نفسه، ج١، ص ١٥٢.

والضياع وأرزاق الاولياء ونحو ذلك كتباً، ليجري كل كتاب في موضعه[١٨٦]، ويكتب في بابه فيحصل العمل ويملك نظامه.

وكان على عامل البريد ان ينفذ أوامر الخليفة ليلاً أو نهاراً مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة، فمما يذكر عن محمد الامين انه أراد استدعاء أحمد بن مزيد الى حضرته فكلف عامل البريد بذلك، فقام ليلاً وأخذ يبحث عنه في القرى والمزارع حتى لقيه وأحضره لساعته، وكان أحمد بن مزيد يرغب في المبيت حتى الصباح ولكن عامل البريد أصر على الرحيل ليلاً قائلاً له:« لا ان أمير المؤمنين أمرني الا انظرك ولا أرفهك، وان أشخصك أي ساعة صادفتك فيها، من ليل او نهار »[١٨٧].

ولم يكن صاحب البريد يعني فقط بالاخبار التي تتعلق بمهام سياسة الدولة بل كان عليه ان يبلغ كل ما عدا ذلك من النوادر الطريفة والاخبار الممتعة، فقد حدث في سنة (٣٠٠هـ/٩١٥م.)، ان ورد كتاب صاحب البريد من بلدة الدينور يذكر فيه:« ان الموكل بقرماسين رفع يذكر ان بغلة لرجل يعرف بأبي بردة من أصحاب احمد بن علي المري وضعت فلوة، ويصف اجتماع الناس لذلك، وتعجبهم لما عاينوا منه، فوجهت من أحضرني البغلة والفلوة فوجدت إلبغلة كمتاء خلوقية والفلوة سوية الخلق تامة الاعضاء منسدلة الذنب. سبحان الملك القدوس لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب »[١٨٨].

الخبر يدل على دقة عمال البريد في تلقف الاخبار ووفائهم للخلفاء في تلمس الحقائق، لكونهم عقدة الاتصال بين الخلفاء وعمالهم، واذا تكدرت العلائق بين الوالي والخليفة، وأراد الاول التمرد والعصيان بقطع حلقة الاتصال وهو البريد عن الخليفة، وجب على عامل البريد وفاء لواجبه ان يحتاط للامر قبل حدوثه، وهذا ما جعل الخلفاء يتحرون الدقة في اختيار عمال البريد.

١٨٦-حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي، ج٣، ص ٤٥٨.

١٨٧-الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص ٤٢١.

١٨٨- القرطبي ، عريب بن سعد: ذيول تاريخ الطبري، ص ٤٢.

- السامرائي، قوام حسام: المؤسسات الادراية ، ص ٢٦٩-٢٧٠.

وفي الرسالة التي كتبها ابو يوسف القاضي للرشيد في الخراج نموذج من هذه العناية ومما جاء فيها:« بلغني عن ولاتك على البريد والاخبار في النواحي تخليط كثير، ومحاباة فيما يحتاج الى معرفته من أمور الولاة والرعية، وانهم ربما مالوا مع العمال على الرعية، وستروا أخبارهم وسوء معاملتهم للناس، وربما كتبوا في الولاة والعمال بما لم يفعلوا اذا لم يرضوهم، وهذا، مما ينبغي ان تتفقده، وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والاخبار، ومتى لم يكن أصحاب البرد والاخبار في النواحي ثقات عدولاً فلا ينبغي ان يقبل لهم خبر في قاض ولا وال. انما يحتاط بصاحب البريد على القاضي والوالي وغيرها فاذا لم يكن عدلا فلا يحل ولا يسع استعمال خبره ولا قبوله»[١٨٩].

بمثل هذا اللسان يتلطف ابو يوسف وينصح لخليفته في اختيار عمال الخراج والامناء على الاخبار لمراقبة العمال والولاة والقضاة[١٩٠].

وبالرغم من السلطة التي أعطاها الخلفاء لعمال البريد الا انهم لم يعطوهم الفرصة لاستغلال نفوذهم في الاثراء على حساب الغير بل كانوا يحاسبونهم حساباً عسيراً، ويتلمسون الدقة في اخبارهم، حتى كان الخلفاء احياناً يشكون في صحة اخبار عامل البريد ولا يعملون بقوله. وتشير الرواية العربية، الى ان صاحب بريد همدان كتب الى المأمون بخراسان يعلمه ان كاتب البريد المعزول أخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطآ على اخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما، فأجاب المأمون« إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية، فان السعاية دلالة والقبول اجازة، وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه، فانف الساعي عنك، فلئن كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيماً، اذا لم يحفظ الحرمة ولم يستر على أخيه»[١٩١].

١٨٩-كرد ، علي محمد: الاسلام والحضارة العربية، ج٢، ص ٢١٥.

١٩٠-المرجع نفسه، ج٢، ص ٢١٥.

١٩١-المرجع نفسه، ج٢، ص ٢٣٢.

هناك مأخذ على قول المأمون اذ المفروض على عامل البريد ان يكتب بما عنده من اخبار خيراً او شراً.

ولعل ديوان البريد كان يحتوي على جملة مجالس خاصة، الانشاء والتحرير والنسخ والاسكدار، مما يساعد على سير اعماله، وربما احتوى على مجلس مختص بأمر السكك والطرق المختلفة التي كانت منتشرة في انحاء الدولة، ذلك كي يبقى صاحب الديوان على علم تام بأحوالها وأخبارها، بحيث يجد الخليفة عنده من المعرفة: ما يحتاج اليه عند سفره، أو انفاذ جيش يهمه أمره، وغير ذلك مما تدعو الضرورة الى الطرق بسببه"[١٩٢].

أما ديوان التوقيع فاليه تنتهي رقاع من يسأل شيئاً عند الخليفة، بعد ان يراها صاحب ديوان الدار، ويقتص المسألة والرقعة، ويشرح حالها، وبعد ان يستطلع صاحب ديوان التوقيع رأي الخليفة فيها، ويرقع عليها بخطه في ديوان التوقيع يرسل الى صاحب ديوان الدار بنسختها او اقتصاص ما تضمنت.

وفي ديوان الخاتم تمر به وتثبت فيه الكتب التي يحتاج الى ختمها بخاتم الخليفة، وذلك بعد ان يمر الكتاب على دواوين عدة وبعدِ المقابلة.

وأخيراً ديوان الفض ومنزلة هذا الديوان من الخليفة منزلة مجلس الاسكدار في ديوان الخراج من المتولي له، لان سبيل الكتب التي ترد من العمال في النواحي الى الخليفة ان يكون ابتداؤها به، وخروجها الى الدواوين منه، بعد فضها وأخذ جوامعها ليقرأها الخليفة ويوقع فيها بما يراه"[١٩٣].

وكان لكل حاضرة من حواضر الاقاليم ديوان محلي للبريد، هو صورة مصغرة عن الديوان المركزي، ويشمل ذات المجالس، ويتولى شؤونه عامل بريد يعينه رئيس الديوان المركزي. ولهذا العامل عمال آخرون مرؤوسون له، يقومون بتنفيذ سياسته وتصريف شؤون البريد في ولايته.ويمكن تصنيف موظفي البريد الى ما يلي حسب

١٩٢-السامرائي ،قوام حسام: المؤسسات الادارية، ص ٢٦٨-٢٦٩.

١٩٣-متز آدم:الحضارة الاسلامية في القرن ٤هـ، ج١، ص ١٥٣-١٥٤.

مناصبهم:

١- صاحب الديوان او متولي الديوان: مقره في العاصمة.

٢- عمال البريد في الولايات: موزعون على الولايات، بحيث لكل ولاية عامل بريد، يتبعه عمال يعاونونه على تصريف شؤون البريد في مركز عمله.

٣- المرتبون: ويبدو انهم سعاة مسؤولون عن حمل الرسائل في حقائب خاصة من سكة الى اخرى وان المسافة التي تفصل بين كل سكة، والتي تليها، تقرب من فرسخين.

٤- الموقعون: يقومون بتثبيت أوقات انطلاق السعاة ووصولهم. من أجل ضبطها حتى لا يتأخر أحد عن الاوقات التي سبيله ان يرد السكة فيها ومن الطبيعي ان ضبط ذلك واثباته لم يكن الا بالكتابة، فلا بد ان كانت للموقعين سجلات خاصة لهذا الغرض.

٥- الفروانقيون: يتولون مسؤولية مراقبة سكك البريد والسعاة والخيالة، ويقدمون تقاريرهم عن كل ذلك الى صاحب الديوان في العاصمة، وكان لا بد للموقعين من عرض تقاريرهم على أحد الفروانقيين قبل ارسالها الى ديوان البريد.

٦- الوكلاء والمخبرون: يقومون بمساعدة عامل البريد عن طريق جمع المعلومات والاخبار في الولاية، مع الاشارة الى ضرورة وجود هؤلاء الوكلاء في مجالس العطاء عند توزيع الارزاق، لكي يطالع ما يجري فيه، ويكتب بما يقف عليه من الحال في وقته[١٩٤].

ومما لا شك فيه انه ليس من حق عامل بريد الولاية الزام احد موظفيها على تنفيذ عمل من الاعمال فهذا من حق المشرف.

وقد حدد الماوردي الفرق بين اختصاصات كل من المشرف وصاحب البريد في الولاية بقوله:«حكم المشرف يخالف حكم صاحب البريد في ثلاثة أوجه[١٩٥]:

١٩٤-ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة،ص ٥١-٧٧.

- السامرائي ، قوام حسام : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، ص ٢٧٣.

١٩٥-الماوردي: الاحكام السلطانية، ص ٢١٢.

- أحدها انه ليس للعامل ان ينفرد بالعمل دون المشرف وله ان ينفرد به دون صاحب البريد.
- الثاني ان للمشرف منع العامل مما أفسد فيه وليس ذلك لصاحب البريد.
- والثالث ان المشرف لا يلزمه الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد اذا انتهى اليه، ويلزم صاحب البريد الاخبار بما فعله العامل من صحيح وفاسد لان خبر المشرف استعداء وخبر صاحب البريد انهاء، والفرق بين خبر الانهاء وخبر الاستعداء من وجهين:
- أحدهما ان خبر الانهاء يشتمل على الفاسد والصحيح وخبر الاستعداء مختص بالفاسد دون الصحيح. والثاني ان خبر الانهاء فيما رجع عنه العامل وفيما لم يرجع عنه وخبر الاستعداء مختص بما لم يرجع عنه دون ما رجع عنه، واذا انكر العامل استعداء المشرف او انهاء صاحب البريد لم يكن قول واحد منهما مقبولاً عليه حتى يبرهن عنه، فان اجمعا على الانهاء والاستعداء صارا شاهدين عليه فيقبل قولهما عليه اذا كانا مأمونين[١٩٦].

يتبين من ذلك ان الماوردي جعل منزلة صاحب البريد منزلة السمع والبصر، فهو منوط بحمل صورة واقعية وطبق الاصل لما عليه حال الولاية من صلاح وفساد وعمار وخراب. وهي امور مبنية على الاخلال والشك بروايتها اختلال التوازن بين السلطة الحاكمة وولاياتها.

ومن الامور التي كانت تحدث احياناً ، قطع البريد عن الخليفة فاذا تكدرت العلاقة بين العامل«الوالي» والخليفة، وأراد العامل ان يستقل او يتمرد، قطع البريد عن الخليفة، كما فعل المأمون لما سمع وهو والٍ في خراسان ان أخاه الامين نقض بيعته وبايع ابنه موسى بولاية العهد بعده، فانه اسقط اسم الامين من الطراز وقطع البريد عنه[١٩٧].

١٩٦- المصدر السابق ، ص٢١٢.

١٩٧-زيدان ،جرجي : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ١، ص ٢٤٠.

وبالرغم من السرية التامة التي كانت منوطة بأعمال صاحب ديوان البريد. فقد جعل الخليفة بينه وبين صاحب بريده علامة اتفقا عليها سراً، فلا يعتمد الخليفة كتاب صاحب بريده الا اذا كانت فيه تلك العلامة، ولو كان الكتاب بخط صاحب البريد نفسه وخاتمه، اذ قد يفعل ذلك بالرغم عنه، نحو ما فعل ابو مسلم الخراساني لما دعاه المنصور اليه من خراسان الى بغداد، وخاف ابو مسلم عاقبة تلك الدعوة فاستخلف ابا نصر مالك بن الهيثم على عسكره وقال له:« اقم حتى يأتيك كتابي، فان أتاك مختوماً بنصف خاتم فأنا ختمته، وان أتاك بالخاتم كله فلم أختمه»[198].

فلما جاء ابو مسلم الى المنصور في المدائن وكان ما كان من قتله، كتب المنصور الى ابي نصر عن لسان ابي مسلم يأمره بحمل ما خلف عنده، وان يقدم وختم الكتاب بخاتم ابي مسلم، فلما رأى ابا نصر الخاتم تاماً علم ان ابا مسلم لم يكتبه[199].

وتسهيلاً لمهمة عمال البريد، وحتى تصل الاخبار بأقصى سرعة الى الخلفاء فقد ربط العباسيون بين سائر الولايات العباسية الاسلامية والعاصمة بغداد شبكة من الطرقات، وأنشأوا عليها المحطات للاستراحة، ومن أهم المسالك في الدولة العباسية.

أ- طريق المغرب: بغداد- الشام- مصر- القيروان في المغرب.

ب- طريق الشام: بغداد- الأنبار- الشام.

ج- طريق المشرق: بغداد- مرو- بخارى- جيحون- فرغانة[200].

وكان صاحب ديوان البريد يشرف على البريدين والبراجين وشؤون أرزاقهم ومراقبة المراسلات الصادرة والواردة في جميع الاقاليم ثم فرزها لتصل الى أصحابها. تولى عرض كتب أصحاب البريد في جميع النواحي على الخليفة. ولم يكن للخليفة العباسي، في دولة اتسعت رقعتها الى ما وصلت اليه في أيام الخليفة الرشيد، وان تستقر البلاد وتستقيم الامور بعد ان ازدادت سلطاته وتنوعت أعماله

١٩٨- ١٩٩-المرجع السابق،ج١ ، ص ٢٤٠.

٢٠٠-ايوب، ابراهيم: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص ٢٢٣.

وكثرت مشاكله الداخلية والخارجية، من ان يوزع الاعمال ومن هنا جاءت الحاجة الى انشاء عدد من الدواوين ومن بينها ديوان البريد[٢٠١].

ولا بد اخيراً من الاشارة الى ان صاحب ديوان البريد كان يبقى في منصبه بالرغم من تبدل الوزير وقد يرجع السبب في ذلك الى ان تعيينه كان يجري من قبل الخليفة، كما ان من المحتمل ان يكون بقاؤه في المنصب نتيجة للثقة التي كانت تتكون لدى الخليفة عنه.

٢٠١-المرجع السابق، ص ٢٢١- ٢٢٤.

الباب الثالث

البريد في العصر المملوكي

الفصل الأول:

نشأة البريد المملوكي ودور بيبرس فيها

الفصل الثاني :

مؤسسة البريد المملوكية

يأخذ البريد في العصر المملوكي أهمية كبرى نظراً لتطويره في الوسائل والأساليب، لذلك سنقصر جهدنا على البحث والتنقيب فيه، وجعله باباً واحداً وذلك بسبب كثرة المعارف والمعلومات التي تضمنته من جهة،ولمراعاة التوازن بين أبواب وفصول الرسالة من جهة ثانية.

أنشأة البريد المملوكي:

قبل الحديث عن البريد المصري في العهد المملوكي، لا سيما في عصر السلطان الظاهر بيبرس، لا بد من اعطاء فكرة واضحة عن البريد السابق.

عرف المصريون البريد في عهد الفراعنة وذلك لتسهيل حاجات المواطنين، بالاضافة الى ذلك خضعت مصر للرومان مدة تزيد على الستة قرون، شاهدت خلالها تشكيلات حكومية متباينة تخضع كلها في جوهرها لقواعد الحضارة الرومانية، فلا غرابة اذن، ان نجد معظم هذه القواعد معمولاً بها حتى بعد الفتح العربي، حيث ان العرب قد أدركوا منذ أول الامر انه يوجد بمصر نظام اداري مستقر من قديم الزمان وادارة مالية محكمة. وقد احتفظ المصريون بهذه النظم الادارية والمالية مع تغيير بسيط في بعض الاحوال ويفهم من الوثائق، ان نظام البريد كان من أهم تلك النظم الرومانية الموروثة بفسطاط مصر وكثيراً ما كانت تعتمد حكومة الفسطاط على عمال البريد في الاخبار التي ترد اليها من المديريات عن تحصيل الضرائب الاميرية هناك[٢٠٢].

واستمرت مصر من الفتح العربي حتى سنة ٢٥٤ هـ ولاية عربية خالصة حيث كان يحكمها والٍ من قبل الخليفة، وبعد ذلك تمتعت مصر بصفة الدولة المستقلة استقلالاً يكاد يكون تاماً. ولم يكن يربطها بالخلافة الاسلامية الا السيادة الاسمية. ومظاهر هذه السيادة كانت ممثلة في ذكر اسم الخليفة في الخطبة وعلى السكة وفي دفع الجزية سنوياً لدار الخلافة[٢٠٣].

وفي أيام الطولونيين والاخشيديين،وأخيراً الايوبيين وكانت الغلبة في هذه المرحلة للعنصر التركي بطبيعة الحال. ولكن قبل الايوبيين، سيطر الفاطميون على الحكم

٢٠٢- Lammens Henri: Etudes sur le siècle des Omayyades, P:. 314.

٢٠٣- Ibid, P: 314.

وفيها تمتعت مصر بالاستقلال التام.

وفي عهد الفتح العربي، ذكر التاريخ في سياق حديثه عن سياسة الولاء ازاء أهل الذمة من القبط واليهود والاغريق. الى حذرهم في تأمين أهل الذمة على تنفيذ سياسة جمع الجزية بالعدل والطمأنينة، مستعينين في ذلك بصاحب البريد الذي عهد الى عماله في الاقاليم بمراقبة جهاز الضرائب للحيلولة دون تعسفهم مع أهل الذمة[٢٠٤].

وفي نهاية المرحلة نرى تطوراً في سياسة عامل البريد في مصر، اذ نجده فجأة يزج بنفسه في تيار النزاع الذي قام بين العلويين والعباسيين. فعلى الرغم من تبعية «واضح» عامل بريد مصر لصاحب البريد في بغداد وكونه مسؤولاً أمامه، الا انه يقدم أدوات البريد من دواب ورجال لاحد الخارجين على طاعة الخليفة الهادي وهو ادريس بن عبد الله بن ابي طالب، عند مروره بمصر في طريقه الى بلاد المغرب. يضع واضح أدوات البريد تحت تصرف ادريس فيستخدمها ليحارب الدولة في بلاد المغرب، فينجو بنفسه ويؤسس حكماً مناوئاً للعباسيين هناك، فلما استخلف الرشيد علم بذلك فضرب عنق واضح وصلبه، ودس الى ادريس الشماخ اليمامي مولى المهدي، ثم ولى الرشيد الشماخ بريد مصر حيث دفع واضح ثمن الخيانة غالياً[٢٠٥]، كما بينّا سابقاً .

وبعد ذلك، يلبس البريد المصري لباس القومية ويتوق الى الانفصال عن الادارة المركزية في بغداد، فيعمد ابن طولون الّى الافادة من مركز مصر الجغرافي، وبالتالي من ادارة البريد في تحقيق أطماعه الشخصية، فيعين أحد الاشخاص المقربين اليه عاملاً على البريد في حاضرة الدولة العباسية، ليوافيه بما يجري في العراق. واستغل بذلك البريد ، لمآربه السياسية وكان بمثابة جهاز مخابرات[٢٠٦].

وفي عهد الاخشيديين والفاطميين، كان الحمام الزاجل رائجاً حتى أفرد له ديوان وجرائد بأنسابه، وفي عهد بني بويه تطور نظام البريد فاتصف بالدقة والسرعة. فقد كانت الدولة تنقل البريد في اثناء الحرب بالجمازات وهي أشبه ما تكون بالعربات

٢٠٤- P: 314

٢٠٥-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٨ ، ص ١٩٨.

- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢٤٤.

٢٠٦-حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، ج٣، ص ٤٦٢.

التي تجرها الخيل السريعة، وكان يركبها عمال البريد ورجال الحرب ومن كان عمله يتطلب السرعة.

فلما عزم الفاطميون على غزو مصر استعمل علي بن عيسى وزير الخليفة المقتدر العباسي الجمازات من بغداد الى مصر ليقف على حقيقة الحال في كل يوم[٢٠٧].

وكان لبني بويه أثر كبير في اعلاء شأن البريد، فقد أدخل نظام الدولة السعاة لأول مرة في الشرق، وكان يقال لهم الفيوج، وهم طائفة من موظفي البريد تخصصوا في نقل البريد من مكان الى آخر[٢٠٨].

لكن بدأ معهم انهيار مؤسسة البريد التي جهد العباسيون الاوَل في وضعها[٢٠٩].

أما في عهد السلاجقة، فكان الخلاف على أشده بين الدويلات الاسلامية. فلم يكن بينهم الا الرسل على الخيل والابل وفي كل أرض بحسبها[٢١٠].

مما أدى الى الغاء البريد حوالي سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٣م. في عهد الب ارسلان، أما في حالات الضرورة القصوى فقد بقي هناك رسل فوق العادة[٢١١].

وعمل الزنكيون مثل السلاجقة، فجمعوا الابل الاصيلة من أجل استخدامها في البريد، وظلت الحال هكذا حتى زمن الايوبيين والمماليك الاول. ولم يكن يعرف في زمن الزنكيين والايوبيين الا الحمام الزاجل، والسعاة المشاة والابل في الضرورات التي تستلزم سرعة نقل الرسالة[٢١٢].

كما أشار Sauvaget في كتابه "بريد الخيل" في العصر المملوكي انه لو وجد البريد في أيام الصليبيين، لقام بذكره مؤرخو تلك الفترة، لانهم كانوا حريصين على ذكر اية وسيلة يمكن ان تساعد الامراء المسلمين في حربهم ضد الصليبيين، فلا تخفى أهمية البريد في مثل هذه الظروف[٢١٣].

٢٠٧-المرجع السابق، ج٣، ص ٤٦١.

٢٠٨-المرجع نفسه، ج٣ ، ص٤٦١.

٢٠٩- Sauvaget: La Poste aux chevaux dans l'empire des Mamlouks, P: 11.

٢١٠-العمري: التعريف ، ص ١٨٦.

- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٣٦٩.

٢١١- Sauvaget: Poste, P: 11.

٢١٢- ٢١٣- Ibid, P:11.

وكانت نواة الدولة المملوكية قد بدأت بالبروز في مصر، منذ عهد الايوبيين الى ان استطاعوا ان يستولوا على الحكم، وكانت بداية حكمهم فترة مضطربة تميزت بتهديدات المغول والوجود الفرنجي الصليبي. الى ان تمكن الظاهر بيبرس ان يستولي على حكم مصر سنة ١٢٦٠ م. فوطد أركان الدولة على أسس جديدة. كما أدرك عظم الفائدة التي يجنيها من اعادة تنظيم البريد، فتوسل به في ربط أجزاء دولته المترامية الاطراف عندما بدأ في توحيد قوى الاسلام في المشرق عقب الحروب الصليبية، فارتبطت بمقتضاه جميع أنحاء المملكة بشبكة من البريد البري والجوي"[٢١٤].

ب- دور السلطان بيبرس في وضع البريد:

عندما وصل الى مصر نبأ اغارة المغول على بغداد وقتلهم الخليفة العباسي المعتصم سنة ١٢٥٨م. عزم المماليك على صدّهم عن أملاكهم في الشام، وهزموا زعيمهم هولاكو المغولي في موقعة عين جالوت المشهورة سنة ١٢٦٠ م. ويرجع الفضل في هذا الانتصار الى بيبرس أحد قواد المماليك الذي نصب نفسه سلطاناً على مصر وجعل حكمه شرعياً في البلاد..

كما أورد ابن فضل الله العمري في كتابه "التعريف" ان الظاهر بيبرس لما أراد تجهيز دولة الى دمشق عين لها نائباً وقاضياً وكاتباً للانشاء وكان الصاحب شرف الدين[٢١٥]ابو محمد عبد الوهاب رحمه الله هو كاتب الانشاء. فلما مثل الى الظاهر ليودعه أوصاه وصايا كثيرة، أكد مواصلته بالاخبار وما يتجدد من أخبار التتار والفرنج، وقال له:

«إن قدرت ان لا تبيتني كل ليلة الا على خبر، ولا تصبحني الا على خبر فافعل»، فعرض له بما كان عليه البريد في الزمان الاول، وأيام الخلفاء، وعرضه عليه فحسن موقعه منه وأمر به. قال عمي:«فكنت انا المقرر له قدامه وبين يديه، وحدثني بذلك مفصلاً مطولاً عن عمي جمال الدين عبد الله الدواداري البريدي المعروف بابن شديد،

٢١٤-دائرة المعارف الاسلامية، ج٣ ص ٦١٠.

٢١٥-الصاحب، شرف الدين: هو عم ابن فضل الله العمري، وقد ورد ذلك في التعريف، ص ١٨٧.

وها هو الآن على ذلك وهو جناح الاسلام الذي لا يحصى، وطرف قامته التي لا تقص»[٢١٦].

يتضح من ذلك مدى اهتمام الظاهر بيبرس بنظام البريد منذ توليه الحكم، والجهود التي بذلها لتركيز نظامه وتثبيته حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل بالقاهرة الى دمشق (وهما المركزان الاساسيان في عهده للبريد)، في أربعة أيام ويعود في مثلها، كما ترد اليه أخبار الممالك في كل أسبوع مرتين[٢١٧].

ومما يدل على ان نظام البريد قد بلغ في عهده مبلغاً من الدقة يستوجب الاعجاب ان السلطان نفسه كان يعلق أهمية كبرى على سفر البريد في مواعيده المقررة.

ولم يتأت ذلك كله للظاهر بيبرس الا بعد ان أنفق أموالاً ضخمة في سبيل ترتيبه[٢١٨] وكان قصده من وراء قصر استعماله لصالح الحكومة فقط ولحمل العمال وناقل البريد[٢١٩].

وقد أشار Sauvaget الى ان انجاز بيبرس كان أكثر بكثير من اعادة العمل الى مؤسسة باءت بالفشل، وطواها النسيان، فقد أعطى للبريد صفته كادارة رسمية في خدمة الدولة التي كان قد فقدها منذ ثلاثمائة عام. لذا عمل على تركيب هذا النظام قطعة قطعة بطريقة جديدة وليس تحسين ما قد ورثه عن الذين سبقوه فيعتبر انجازه تجديداً لا بل خلقاً[٢٢٠].

ومنذ ان عاد السلطان بيبرس تنظيم البريد اكتسب صفة الادارة السلطانية، وبقي على هذه الصفة وظل هناك جهاز اداري يسيره حتى نهايته. لكن هذا الجهاز كان يتغير كلما تغيرت الظروف[٢٢١].

لكن من ناحية أخرى، لم يكن هذا الامر بتلك السهولة، ولا يمكن ان يتم دون تأثيرات خارجية. ففي تلك الفترة، وكما ذكرنا، كان التتار على احتكاك دائم بالمماليك ومن جهة عرف التتار البريد بشكل منظم. فقد وجد البريد المغولي حوالي سنة

٢١٦- المصدر السابق ص ١٨٧.

٢١٧- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٣٧٠.

٢١٨-المقريزي: السلوك ، ج١ ، القسم ٢، ص ٤٤٦.

٢١٩-دائرة المعارف الاسلامية، ج٣، ص ٦١٠.

٢٢٠- Sauvaget: Poste, P: 12.

٢٢١- Ibid, P:12.

١٢٣٤/م. خلال فترة ôgadai وبدورهم، استقى المغول بريدهم من البريد الصيني القريب منهم من جهة، وبفعل تواجدهم في الصين بعد احتلالها من جهة أخرى [٢٢٢].

وقد ذكر القلقشندي ان هناك طرقاً بريدية تخترق المناطق المتاخمة لحدود الدولة المملوكية وتتجه الى عاصمة ابن هولاكو، وتتخلل هذه الطرق مراكز تسمى خيالة الـ Quiak والـ Yam . والـ Quiak هي التسمية التركية للرسائل والبريد والكلمة من أصل صيني استعملها المغول للدلالة على خيل البريد وقد بقيت هذه الكلمة في اللغة التركية والفارسية والرومية[٢٢٣].

والواضح انه لا يمكن انكار دور المغول في تطوير البريد المملوكي، ولا سيما ان المماليك لا بد ان يكونوا قد اطلعوا عليه، وعرفوه جيداً، وكان البريد يسير بانتظام عندما قرر بيبرس وضع نظام جديد للبريد.

ويضيف Sauvaget انه من الممكن الاعتقاد ان البريد المملوكي قد وضع حسب شبكة البريد المغولي المعاصر، وهو في أوج تطبيقه اكثر منه حسب بريد الخلفاء الذي انتهى امره منذ ثلاثة قرون[٢٢٤].

وقد أشارت المصادر المملوكية التي تناولت فترة حكم السلطان بيبرس ان الخطر الاكبر الداهم للدولة المملوكية هو الخطر المغولي وليس الخطر الافرنجي.

كما ذكر Sauvaget انه من الطبيعي جداً ان يستعين المماليك باحدى الوسائل الاساسية التي يستخدمها المغول للارتداد بها عليهم وقهرهم[٢٢٥].

والمعروف ايضاً ان البريد المملوكي يكون قد أخذ منه الكثير فيما يتعلق بالمحطات والاشارات، فالالواح المستعملة في البريد المملوكي والتي يضعها عامل البريد في عنقه لها مرادفها في البريد المغولي[٢٢٦] وتسمى Paiza وهذه الاشارات لم تكن موجودة في بريد الخلفاء المتأخر ولا حتى في العهود الاسلامية الاولى.

٢٢٢- Ibid, P: 13 , No 43.

٢٢٣-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ١٤، ص ٣٨٥.

٢٢٤- Sauvaget: Poste, P: 13.

٢٢٥- Ibid, P: 13, No 45.

٢٢٦- Ibid, P: 12 - 13, No 45.

كما ان المصادر التي تناولت الفترة المملوكية كانت قد ذكرت ان السلطان الظاهر بيبرس قد نشأ في بلاد الفيجاق، وهي منطقة كانت خاضعة لسيطرة خانات القبيلة الذهبية. ويمكن ان يكون قبل قيامه بمحاربة قبائل هولاكو التترية قد عرف بعض المؤسسات المغولية بصفته قائد عسكري مصري[٢٢٧].

ومن جملة العادات والتقاليد التي كان يتبعها البدو الرحل الذين يربون الخيول في السهوب الآسيوية عادة دمغ الخيول بالحديد الاحمر ولم تكن هذه العادة معروفة عند العرب بل دخلت مصر مع المماليك، وقد يكون هذا مجرد افتراض[٢٢٨].

ويعود سبب نشأة البريد المملوكي زمن السلطان الظاهر بيبرس الى أساسين، الأول هو، وجود بريد الخلفاء المسلمين، والثاني، هو وجود البريد المغولي ولا يمكن ان نجزم في الامر، أيهما الاصل أو الاصح، كما لا يمكن لبيبرس ان يتجاهل البريد المغولي ذي الاثر الكبير في تلك الفترة وعدم الاخذ به.

٢٢٧–ابن تغرى، بردى: النجوم الزاهرة، ج ٧ ، ص ٩٤-٩٦.

٢٢٨– Sauvaget: Poste, P: 13. No, 45.

مؤسسة البريد المملوكية

أ- مؤسسة تابعة للسلطان وفي خدمته:

قد يتبادر الى الذهن عن الاطار العام للبريد مع العلم ان البريد كان يعتبر بصورة أساسية جزءاً مهماً من أجهزة الدولة وبالتحديد مؤسسة سلطانية وامتيازاً ملكياً في خدمة صاحب السلطة الاكبر[٢٢٩].

ويمكننا القول ان البريد جهاز يرتبط مباشرة بممارسة السلطة الملكية التي تنبع من شخص السلطان، فمنذ ان شقت طرق البريد دعيت بالدرب السلطاني لتحديد هويتها على الا يختلط هذا المفهوم مع مفهوم درب المسلمين كما ورد عند ابن أياس[٢٣٠].

أما ابن أياس، فقد أشار الى ذلك بقوله:« فلما كانت دولة الملك الظاهر بيبرس البندقداري، ورتب خيل البريد، وجعل لها مراكز ما بين مصر الى دمشق، وذلك سنة ٦٥٩هـ فتح هذا الدرب، وكثر السلوك به، فتلاشى أمر الدرب القديم وسار العمل على هذا الدرب[٢٣١].

وقد اعتبر Sauvaget ان البريد المملوكي ليس بمؤسسة ذات طابع عام او ذات صنعة اقتصادية فالمكان الذي أعد لتبديل الخيول كان خاصاً في عهد بيبرس أكثر من العهود اللاحقة غير صالح لايواء القوافل محملة بأحمال ثقيلة، هذا دون الكلام عن مجاورة الفرنجة الذين كانوا لا يزالون في المنطقة خصوصاً بالنسبة الى فلسطين والساحل السوري[٢٣٢].

وهذا ما يؤكد ان البريد في العهد المملوكي استعمل لخدمة السلطان فقط دون ان يخدم مصالح المواطنين ويفي بحاجاتهم.

أما البريد في العهود الاسلامية فكان يستخدم لمصلحة الخليفة ومصلحة الافراد على السواء، وكان الخليفة متيقظاً لأي خبر وعلى صلة وثيقة برجال البريد حتى انهم كانوا مميزين عن غيرهم من العمال، فاذا كان لديهم خبر دخلوا ليلاً أو نهاراً على

٢٢٩- Sauvaget: Poste, P: 14.

٢٣٠- Ibid, P: 15, No 53.

٢٣١- ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ١ ، قسم ١، ص ٢٨.

٢٣٢- Sauvaget: Poste ,P:14, No 48.

الخليفة لإبلاعه الخبر.

وقد اختلف البريد المملوكي عن البريد الاسلامي اختلافاً كبيراً، حيث اعتبر البريد المملوكي اداة تعمل لمصلحة السلطان وهو ناقل لأسرار الدولة لذا كان يعهد بالرسائل السلطانية الى رسل من ذوي الرصانة والتجربة في مجال كتم الاسرار وكان هؤلاء الاشخاص في العهد المملوكي من الذين يوثق بهم وقد شكلوا قواته الخاصة[٢٣٣].

ب- وجهة استعمال البريد:

اذا كان البريد يعتبر اداة للخدمات السلطانية في العهد المملوكي يطرح السؤال نفسه ما هي وجهة استعماله؟.

كان استعمال البريد للمهمات الشريفة، والتبادل في المعلومات، واعطاء الاوامر ذات الصفة العسكرية.

وقد برزت وجهة استعمال البريد على هذا الشكل كون السلطان هو القائد الاعلى الفعلي للجيش وهو كبير الامراء ومن أولى واجباته الحفاظ على حدود دولته، وهو أيضاً المسؤول الاداري الاول وأمامه تطرح القضايا المتعلقة بالسلطنة، وهو وحده الذي يعلم بخفايا الامور الدبلوماسية[٢٣٤]، كما ان المهمات الشريفة قد لا تتفق مع مهمات الدولة اذ ان النصوص قد فصلت في معنى كل واحدة منها[٢٣٥].

يتضح من ذلك ان البريد كان محصوراً بالسلطان المملوكي، كونه المسؤول السياسي والاداري الاول في البلاد.

كما يضيف Sauvaget اذا كان البريد المملوكي مقتصراً على قضايا السلطان بالدرجة الاولى، وهو أيضاً الأداة لتنفيذ مآربه الخاصة ومؤسسة وضعت في تصرفه الخاص، فلا يمكن لأحد ان يمتطي خيل البريد دون اذن خاص، وهو كناية عن مرسوم صادر عن السلطان[٢٣٦].

وهذا دليل آخر على اعتبار البريد مؤسسة تابعة للسلطان ولخدمته.

٢٣٣- Ibid,P: 18.

٢٣٤- Ibid, P: 15.

٢٣٥- Ibid, P:15, No 54.

٢٣٦- Ibid,P: 16.

وكانت استخدامات السلطان الظاهر بيبرس للبريد غريبة، وقد اختلف عن غيره من السلاطين المماليك. فهو الذي كان يشرف على وضع مؤسسة البريد وهو الذي يتولى ادارتها. حتى انه تنكّر في ثيابه للتأكّد من سلامة سير البريد، وهذا ما أشار اليه المقريزي: فقد كان بيبرس في صفد وأراد الذهاب الى مصر، فكتب الى أعوانه بمكاتبة الملك السعيد ولي العهد، واعتماد أجوبته ورتب الامور وادعى المرض وكتب الى دمشق لاحضار الادوية اللازمة وطلب السلطان من الامير بدر الدين والامير سيف الدين بكنوت جرمك الناصري[٢٣٧]، بالتوجه الى حلب على خيل البريد على ان يصحبهما بريدي، فتوجهوا ليلة السبت ١٦ من شعبان، وكان السلطان قد أوصاهم انهم اذا ركبوا يأتون خلف الدهليز، حتى يتحدث معهم مشافهة، وجهز السلطان الامير آقسنقر الساق على البريد الى مصر، وأعطاه تركاشه، وأمره ان يقف خلف الخيمة من وراء الدهليز، فوفق حيث أمر ولبس السلطان جوخة مقطعة، وتعمم بشاش دخاني عتيق، وقصد ان يخرج ولا يعلم به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض المماليك، فاستدعى خادماً من خواصه، وطلب منه ان يغطي خروجه، فنجح في ذلك، ولم يشعر احد بغيابه الا الامير شمس الدين الفارقاني انه يغيب عدة أيام عينها. وفي مكان يسمى القصر العيني دخل السلطان الى الوالي ليأخذ فرسه فقام اليه بنحو خمسين رجلاً ليقاومه وقال: «الضيعة ملك السلّطان ما يقدر أحد يأخذ منها فرساً، تروحوا والا قتلناكم» فتركوه وساقوا الى بيسان وأتوا دار الوالي وقالوا: « نريد خيلاً للبريد » فأنزلهم وقعد السلطان عند رجل الوالي وهو نائم ثم التفت الى أحد الامراء وقال: «الخلائق على بابي وأنا على باب هذا الوالي لا يلتفت اليّ ولكن الدنيا نوبات» وطلب السلطان من الوالي كوزاً فقال« ما عندنا كوز، ان كنت عطشاناً اخرج واشرب من برا » فأحضر اليه أحد الامراء كوزاً شرب منه وركبوا وصبحوا جنيين فوجدوا بها خيلاً للبريد عرجاء معقرة فركب السلطان منها فرساً ، ولم يكد يثب عليه من رائحة عقوره[٢٣٨].

٢٣٧–المقريزي: السلوك ، ج١، قسم ٢ ، ص ٥٧٥.

٢٣٨–المصدر نفسه، ج١، قسم ٢، ص ٥٧٥–٥٧٨.

الامر واضح يبين حسن اختيار السلطان بيبرس لعمال البريد من الثقات الامناء الذين ينتخبون من أعوانه وخدمه ومن ذوي الكفاءة والذكاء لابلاغ الرسائل الشفوية عند الاقتضاء.

ادارة البريد المملوكي:

تولى ادارة البريد في العهد المملوكي في بداية تأسيسه رجل قوي قادر على احكامه والسيطرة التامة على جميع شؤونه. وقد أشار Sauvaget ان الصفة التي أعطاها السلطان بيبرس لادارة البريد نابعة عن رغبته في متابعة النشاط الايوبي والسلجوقي[٢٣٩].

ويمكن القول في هذا المجال ان السلطان بيبرس مهما يكن رجل دولة كبير وقوي، لا يمكن ان تكون فكرة وضع البريد قد نبعت من ذاته دون ان يكون هناك اية رجعة الى الماضي[٢٤٠].

وهنا لا بد من الاعتراف بان السلطان بيبرس أعاد تنظيم ادارة البريد وقد أدخل عليه تحسينات سيمر ذكرها فيما بعد. كما اعتبر بيبرس المسؤول الاول والاخير عن البريد وذلك عن الاعمال التي مارسها اثناء حكمه.

وقد بلغ نظام البريد في عهد المماليك عامة وعصر بيبرس والناصر خاصة مبلغاً عظيماً من الدقة حتى ان السلطان كان يشترف بنفسه على سفر البريد في مواعيده المحددة. وكان لهذا النظام وما وصل اليه من دقة وإحكام ، اثر كبير في صد غارات التتار التي طالما هددت مصر وما فيها من البلاد، كما ساعد على تفقد الاحوال في مختلف انحاء السلطنة والالمام بكل كبيرة وصغيرة من أعمال الولاة والنواب[٢٤١].

كان السلطان بيبرس لا يطلب مساعدة أحد ولا حتى من وزيره. فكانت تقرأ أمامه كل الرسائل التي تصل بالبريد ومن ثم تقدم له أوراق بيضاء تكتب عليها الاجوبة فوراً، اذا كانت لا تتحمل أي تأخير، فاذا حضر البريدي عند مطلع الفجر يعطي له الجواب ويرسل من جديد منذ الساعة الثالثة من النهار واذا وصل في الساعة الثالثة

٢٣٩-٢٤٠- Sauvaget: Poste, P:12.

٢٤١-حسن، علي ابراهيم: تاريخ دولة المماليك، ص ٢٥٢.

من النهار يرسل مع الجواب عند الظهر. هكذا كان النظام الذي اتبعه السلطان في كل العصور دون ان يبدل فيه. ولم يكن يوجد مراسيم فيما يختص باستلام الرسائل فاذا كان يستخدم في خيمته ووصل البريد من دمشق فان السلطان يطلب الرسالة ويقرأها حتى قبل ان يستر عورته"[٢٤٢].

والجدير بالذكر ان البريد ظل يستعمل في هذا العصر لصالح الحكومة فقط"[٢٤٣].

ولكن الحال في القرن الرابع عشر والخامس عشر/م. كان يجري على غير هذا النحو، فقد أدى تطور البيروقراطية، وكثرة رجال الحاشية الى سحب كل دور فعال للسلطان في ادارة شؤون المملكة"[٢٤٤].

مما يؤكد ان الوضع قد اختلف في الفترة اللاحقة من العهد المملوكي.

لم يسمح السلطان بيبرس في بداية حكمه لمساعديه في الادارة المملوكية مثل صاحب ديوان الانشاء والدوادار في ان يتدخلا بشكل قوي في نظام البريد. لكن الوضع قد اختلف فيما بعد، فقد أصبح يدير أعمال البريد، ديوان الانشاء الذي يتولاه الدوادار ويلقب كذلك باسم أمير البريد، ومن واجبه السهر على سرعة ارسال بريد السلطان واذاعة أوامره. ومن خصائصه ان يقدم السلطان التقارير الخاصة بالاعمال الادارية والاوراق التي يراد توقيعها والالتماسات التي يرجو أصحابها مقابلة السلطان"[٢٤٥].

وللدوادار مساعد يقال له «كاتب السر» يتولى بنفسه تصدير البريد واعطاء قوائم السفر التي تجيز لحاملها الحصول من المحطات المختلفة على جياد بالعدد الذي يلائم مكانته وأهمية مأموريته"[٢٤٦].

ولعل السبب في اسناد ادارة البريد الى ديوان الانشاء وعدم انشاء ديوان خاص لها كما كان الحال أيام الخلفاء، يعود الى طبيعة عمل كل من ديواني البريد والانشاء،

٢٤٢- Sauvaget: Poste,P: 17.

٢٤٣-دائرة المعارف الاسلامية، ج٣ ، ص ٦١١.

٢٤٤- Sauvaget: Poste, P: 17.

٢٤٥-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤ ، ص ٣٧١.

- حسن ، علي ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص ٢٥٨.

٢٤٦- Sauvaget: Poste,P: 28.

فكلاهما جزء مكمل للآخر حسب مفهوم النظم الديوانية المملوكية.

وقد جرت العادة، انه اذا ورد بريد من بلد من بلاد المملكة أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السر بين يدي السلطان، فيقبل الارض، ثم يأخذ الدوادار الكتاب فيمسحه بوجه البريدي، ثم يناوله للسلطان فيفضّه، ويجلس كاتب السر فيقرأه عليه ويأمر فيه بأمره"[٢٤٧].

واذا أمر السلطان بكتابة شيء على لسان أحد من الدوادارية حمل بريدي من البريدية الرسالة، من ذلك الدوادار الى كاتب السر فيسمع كلام البريدي، ويكتب على القصة ان كانت أو ورقة مفردة ما مثاله:« حضرت رسالة على لسان فلان البريدي بكذا وكذا » ويعنيه على من يكتبه من كتاب الانشاء"[٢٤٨].

وهذا يؤكد ما كان يتمتع به البريدي من ثقة غالية أكثر من كاتب الانشاء فكأن كلامه حجة بعد السلطان مباشرة.

وكان كاتب الانشاء يحصل ايضاً على علاوة، لانه موظف في خدمة الادارة السلطانية لذا لم يكن اية حاجة لدفع الاموال لاي موظف من موظفي البريد، وأما المصروف الحقيقي الذي يعقد للبريد فقد اقتصر على المباني وعلى الخيل"[٢٤٩].

لكن هذه المصاريف كانت قليلة، مع توفير كبير في المصاريف على الخزينة السلطانية التي كان عليها تقديم الاموال اللازمة للحرب ضد المغول والفرنجة ذلك باستثمار هذا الجهاز الجديد الى أقصى درجة ممكنة وبالامكانيات المتوفرة سابقاً الواردة من التنظيم التقليدي للسلطنة"[٢٥٠].

وقد اختلف الامر في العهد المملوكي عن العهود السابقة فيما يخص عمال البريد فقد كان السلطان يختار رسل البريد من الخاصكية وهم يؤلفون حاشية السلطان القريبة ويمتازون بالصفات الحسنة والاخلاص. وكان هؤلاء الخاصكيون يخدمون السلطان في جميع مراحل حياته الخاصة ويشكلون في نفس الوقت الخدم المخلصين

٢٤٧-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٥٩.

٢٤٨-المصدر نفسه، ج٦، ص ١٩٤.

٢٤٩- Sauvaget: Poste, P: 21-22.

٢٥٠- Ibid, P:23.

لبيت السلطان وهم عمال أصحاب كفاءة وذكاء ، يعهد اليهم بمهمات خاصة تتطلب ثقة كبيرة بهم خارج حدود العاصمة"[٢٥١].

كذلك كانت الاموال الوفيرة تصرف في الهبات التي كان يجود بها السلطان على الامراء المقربين. فقد كان لخاصة الامراء المقدمين أنواع من الانعامات كالعقارات والابنية الضخمة. وفي أسفارهم وفي وقت خروجهم للصيد، وتصرف الاموال الطائلة ايضاً على شراء الخيول التي كان السلطان يخلع بعضها على الافراد الذين يأنس فيهم الولاء لشخصه والاخلاص لعرشه وعلى أفراد حاشيته وخاصة طائفة الخاصكية"[٢٥٢].

وكان الرسل يوفدون عندما تكون مهمة تخص السلطان بشكل خاص ومن بين هده المهام ما حصل سنة ٦٩١ هـ حين تولى السلطان مع الخاصكية مطاردة أحد الامراء الهاربين وقد أدرك السلطان بانه يحاول التعرض لحياته، وبمبادرة الخاصكية تمكن السلطان من قتل لاجين في بيته"[٢٥٣].

وقد جرت العادة ايضاً بان تكون رتبة الرسول متدرجة مع رتبة المرسل اليه"[٢٥٤]. فاذا كان المرسل اليه موظفاً عادياً، أرسل بريدي برتبة صغيرة، وبالعكس اذا كان الموظف المرسل اليه رتبته عالية، أرسل اليه بريدي برتبة عالية ايضاً. وهكذا كان يتم تداول الرسائل والاخبار بصورة مغايرة للماضي.

كانت الخاصكية لا تترك قلعة الجبل ابّداً حيث تضم القلعة ايضاً مكاتب الادارة المركزية، لهذا كان المماليك الملحقون بالبريد على أتم الاستعداد لتلبية النداء عند الاقتضاء.

أما مهمة مقدم البريدية فكانت تقتضي توزيع العمل على البريدية بطريقة الادوار والتأكد من انهم يقومون بالعمل الموكول اليهم على أحسن حال ورتبته أمير لكنه ليس من الامراء الكبار"[٢٥٥].

٢٥١- Ibid, P: 19.

٢٥٢- حسن ، علي ابراهيم: تاريخ المماليك البحرية ، ص ٣١٦.

٢٥٣- Sauvaget: Poste, P:19, No 80.

٢٥٤- Ibid, P: 20, No 83.

٢٥٥- Ibid, P: 20.

وكان مقدم البريدية يقوم بعمل صاحب البريد عند الامويين والعباسيين وهذا دليل على الثقة الكبيرة التي يمنحها السلطان لجماعة الخاصكية الذين لا يديرون البريد. كما يليه في الرتبة سبعة من الموظفين أطلق عليهم اسم «المقدمون» يتولى كل منهم أعمال البريد يوماً في الاسبوع ويعرض أعماله في نهاية كل يوم على مقدم البريدية[٢٥٦].

ونلاحظ انه كان على البريدي ان يجمع في ذاته أشياء عديدة من الكفاءة والذكاء والمقدرة الواعية على أداء الوظيفة الى السرية التامة والمعرفة الشاملة بكل مستجدات الامور بالاضافة الى معرفة المرسل اليه من وصفه فقط.

والجدير بالذكر، ان البريديين في هذا العصر لم يكونوا طبقة واحدة، فمنهم من يحمل البريد العادي الى الولاية والنواب، فاذا أحسنوا القيام بواجباتهم وأصبحوا موضع ثقة السلطان ومحل سره، عهد اليهم بحمل الرسائل الهامة الى الملوك لهذا لا يعجب اذا أصبح للبريديين في عصر المماليك مكانة كبرى حتى كانوا يمنحون الاوراق السنية والخلع الثمينة اسوة بكبار رجال الدولة[٢٥٧].

ومن أجل ضمان سلامة وصول البريد بالسرعة المطلوبة فقد وجد في كل مركز من المراكز الموزعة على طرقات البريد سائس مهمته الاعتناء بالخيل ويساعده سائق مهمته دفع المطية الى الامام والاشراف على خدمة الذين سمح لهم بركوب البريد بناء على مرسوم سلطاني، وهؤلاء هم قطعاً الامراء والاشخاص ذوو المكانة، فكان السائق بالنسبة اليهم دليل الطريق[٢٥٨].

وتجدر الاشارة الى ان السياس والسائقين، هم من مماليك السلطان الخاصة، ويدعى أحد السائقين تمربغا Tamurbogha. ومن الاسم نستدل انه تركي، وقد اضطر احد السائقين ان يأتي على خيل البريد من أجل ايصال خبر سياسي وهذه دلائل تشير الى ان هؤلاء هم من المماليك لان الامانة والسرية في العمل عند موظفي البريد قد

٢٥٦-حسن ، علي ابراهيم : تاريخ المماليك البحرية ، ص ٢٥٢.

٢٥٧-المرجع نفسه، ص ٢٥٠.

٢٥٨- Sauvaget: Poste, P: 21, No 90.

فرضت عدم استخدام أشخاص غرباء عن حاشية السلطان[٢٥٩].

ولم يقتصر هذا التنظيم الاداري على الاراضي المصرية فقط، وهي التي كانت تحت ادارة السلطان مباشرة، ففي دمشق كان على رأس البريد وال للبريد، وهو من رتبة الامراء ونظراً الى مكانته وعظمة منصبه نستدل انه يمثل السلطان[٢٦٠].

مما يؤكد ان شبكة خطوط البريد في العهد المملوكي قد اتسعت وانتظمت بما فيه وضع سياسة جديدة من أجل احكام ادارة البريد وجعلها قادرة على إداء المهام الموكولة اليها.

فمن الوظائف الديوانية في دمشق نظر مراكز البريد ويكون صاحبها رفيقاً لأمير اخور البريد ويتولى هذا المنصب بناء على مرسوم من نائب دمشق. أما الامير اخور فهي كلمة من لفظتين "أمير" و " آخور" وهذه كلمة فارسية تعني علف فيصبح الامير اخور أمير العلف، كأنه كان في الاصل متولي علف الخيل ثم ارتفعت وظيفته حتى صار من كبار الامراء المقدمين ويكون مسؤولاً عن الاصطبلات السلطانية وما تحوي من خيل ودواب وجمال وأثاث وغير ذلك[٢٦١].

وقال القلقشندي عن هذه الوظيفة ،أي أميراخورية البريد في مدينة دمشق ونواحيها «واخبرني بعض أهل هذه المملكة انه لم يزل بها أمير عشرة من الايام الناصرية ابن قلاوون الى الآن»[٢٦٢].

وفي نيابة طرابلس، هناك شد مراكز البريد، وفي نيابة حماة هناك شد مراكز البريد وبه جندي وأميراخورية البريد ويتولى هذا المنصب جندي[٢٦٣].

ومن وظائف أرباب السيوف بدمشق:« تقدمة البريد وعلى متوليها التحدث عن جماعة البريدية بدمشق. وكانت أيام الناصرية منحصرة في واحد من جملة البريدية، ثم استقر بها الآن اثنان، أما مرة عشرة واما مرة خمسة وجندي ويكتب لكل منهما

٢٥٩- Sauvaget: Poste , P: 21.

٢٦٠- Ibid, P: 21, No 91.

٢٦١-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج٤ ، ص ١٩١.

٢٦٢-المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٧.

٢٦٣-المصدر نفسه، ج٤، ص ١٩١.

توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته[٢٦٤].

كان يتوجب على البريدي قبل انطلاقه في مهمته ان يأخذ جراباً من الجلد حيث توضع الرسائل وعلامة مميزة يستطيع بها المرء ان يعرف موظفي بريد السلطان من النظرة الاولى وهذه الاشارة هي عبارة عن شرابة من الحرير الاصفر تربط حول عنق البريدي بطريقة تجعلها تتطاير في الهواء أثناء سيره[٢٦٥].

واعتبر اللون الاصفر هو اللون السلطاني، وقد طليت به كل العلامات السلطانية ومن عدة البريد ايضاً الخرج الذي يوضع على ظهر الحصان. وكذلك السيف للدفاع عن النفس لانه معروف عن الخاصكية انها تلعب دور الحرس الخاص ولا تترك السلاح حتى داخل القصر الملكي. لذا لا بد لها من ابقائه على الطرقات العامة حيث من الممكن ان تحدث سرقات ومحاولات قتل[٢٦٦].

ومن أدوات البريد ايضاً الالواح البريدية التي تحفظ في ديوان الانشاء تحت أمر كاتب السر في الابواب السلطانية، وقد عبر عنها القلقشندي، بأنها ألواح من فضة وقد نقش على وجهي اللوح كتابة تذكارية، فعلى الوجه الاول كتب:

« لا اله الا الله، محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ». ضرب بالقاهرة المحروسة، وعلى الوجه الآخر كتب العز لمولانا السلطان الملك الفلاني فلان الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين فلان ابن مولانا السلطان الشهيد الملك الفلاني فلان خلد الله ملكه »[٢٦٧].

وفي ذلك اللوح ثقب معلق به شرابة من حرير أصفر ذات بندين يجعلها البريدي في عنقه، بادخال رأسه بين البندين. مع الاشارة الى ان ذلك قد ذكر سابقاً ويصير اللوح أمامه تحت ثيابه والشرابة خلفه من فوق ثيابه، فاذا خرج بريدي الى جهة من الجهات أعطي لوحاً من تلك الالواح يعلقه في عنقه ويذهب الى جهة قصده، فكل من رأى تلك الشرابة خلف ظهره علم انه بريدي، وبواسطة ذلك تذعن له أرباب المراكز

٢٦٤-المصدر السابق ، ج ٤، ص ١٨٧-١٨٨.

٢٦٥- Sauvaget: Poste, P: 20.

٢٦٦- Ibid, P: 20, No 87.

٢٦٧-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٣٧١.

بتسليم خيل البريد، ولا يزال كذلك حتى يذهب ويعود فيعيد ذلك اللوح الى ديوان الانشاء[٢٦٨]

مما يؤكد هنا ان عامل البريد كان مميزاً عن غيره من العمال نظراً لأهمية الوظيفة التي يقوم بها.

وكذلك كان الحكم في دواوين الانشاء بدمشق وحلب وغيرهما من الممالك الشامية لا يختلف في الحكم في ذلك الا في اسم المكان الذي ضربت فيه القطعة، فاذا كان بدمشق كتب:« ضرب بالشام، وان كان بحلب كتب: ضرب بحلب المحروسة وهكذا بالنسبة لباقي الممالك »[٢٦٩].

ان طريقة استخدام الالواح البريدية في الممالك الاسلامية كانت هي نفسها ولا تختلف عن بعضها الا في ذكر اسم المكان.

كما ان صاحب ديوان الانشاء بالابواب السلطانية هو المتولي لأمر البريد وتنفيذ أموره في الايراد والاصدار[٢٧٠].

حيث تقع على صاحب ديوان الانشاء مسؤولية ارسال البريد وتلقي الاجوبة لان العادة جرت ان يطلع السلطان على كل ما يجري ويتجدد من أمور في أنحاء مملكته ويقوم بهذه المهمة النواب وأفراد الحاشية بواسطة ديوان الانشاء ويكون ذلك اما عن طريق الخيل او عن طريق الحمام[٢٧١].

<u>تطور البريد المملوكي:</u>

تميز تاريخ البريد بعد وفاة بيبرس بانقسامه الى مرحلتين هما:

المرحلة الاولى: لم تحدث فيها تغييرات أساسية فيما يختص بالبريد وانما تم فيها بعض الترتيبات الملائمة مع الظروف الجديدة الناجمة عن التغيير في حدود المملكة.

أما في المرحلة الثانية، فقد تم فيها ادخال عناصر جديدة في الجهاز البريدي أدت الى

٢٦٨- المصدر السابق ، ج١٤، ٣٧١.

- Demombynes: <u>La syrie à l'époque des Mamlouks</u>, P: 240.

٢٦٩-القلقشندي: <u>صبح الاعشى</u> ، ج١٤، ص ٣٧٢.

_ Demobynes: <u>La syrie à l'époque des M.</u> P: 241.

٢٧٠-القلقشندي: <u>صبح الاعشى</u> ، ج١٤، ص ٣٧١.

٢٧١-المصدر نفسه، ج٤، ص ٥٩.

اكتسابه فعالية أكبر وجهّزته لغاية جديدة، وهذا ما عجل في انحداره نحو الهاوية[٢٧٢].

من جهة أخرى، يصعب علينا ان نحدد زمنياً كلا من المرحلتين لان تطور النظام التقني وتطوره الاداري لم يكونا متلازمين، وقد تحدد هذا التطور من خلال بعض الرغبات التي ظهرت في البيئة الحاكمة وتمكنت من تثبيت أقدامها دون ان يكون ممكناً تحديد الفترة التي أصبحت فيها تقليداً مكرساً. كما أشار Sauvaget الى انه يمكن اعتبار بداية فترة حكم الناصر محمد الثالثة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. حداً زمنياً فاصلاً بين كل من المرحلتين، وهو الزمان الذي حدد البريد لنفسه طرقاً جديدة[٢٧٣].

أكمل خلفاء بيبرس ما بدأه من مهمات، فطردوا الصليبيين من الاراضي وردوا المغول وحافظوا على العرش داخل العائلة، فوطدوا بهذه الاعمال دعائم الدولة المملوكية على الاسس التي وضعها بيبرس. واتبع التقليد الذي كان بيبرس قد استخدمه على صعيد التنظيم الاداري وذلك دون تغييرات جذرية[٢٧٤].

لكن خلال القرن الثالث عشر م. تسلم الحكم سلاطين صغار السن تركوا المجال لاطماع الامراء الكبار. حيث اصبحنا نرى العديد من المكائد والدسائس تحاك في البلاط الملكي. ومنذ ذلك الحين أضحت ممارسة السلطة امتيازاً ضعيفاً حسب رغبة بعض الامراء الكبار[٢٧٥].

وقد وجد الناصر محمد بن قلاوون نفسه في وسط تلك الدسائس، وعزم على الوقوف بوجهها، وعندما وصل الى العرش في المرة الثالثة، سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. أراد اعادة سلطته والعز الذي مضى، فاتخذ سلسلة من الاجراءات أثرت بشكل غير مباشر على نظام البريد.

أهم هذه الاجراءات الغاء منصب الوزير، فتوزعت وظائفه بين ثلاثة موظفين اداريين، وحصل صاحب ديوان الانشاء على النصيب الاوفر وأصبح رجل الثقة بالنسبة للسلطان. كما حصل على امتياز جعله حامي الاختام، أي ان يجعل المراسيم الصادرة عن السلطان والحاملة توقيعه قابلة للتنفيذ، بذلك أصبح الشخص الاكثر

٢٧٢- Sauvaget: Poste, P: 42.

٢٧٣ - ٢٧٤- Ibid, P: 42.

٢٧٥- Ibid, P: 43.

أهمية في المملكة[٢٧٦].

وقد أدت هذه الاجراءات التي جعلت شخص كاتب الانشاء أهم شخصية في المملكة الى تغيير في الجهاز الاداري. فلم يعد القيم عليه أحد المماليك من رجال السيف الذين لا خبرة لهم في المجال الاداري ، بل رجل ديوان من أهل القلم. وبما انهم قد أعطوا صلاحيات واسعة فقد دأب كتاب الانشاء على ادخال التنظيم في الادارات العامة، وقد نجحوا في ذلك بعد ان جعلوا الشكل الاداري يطغى على بقية الاشكال[٢٧٧].

وكان لاطلاق يد كاتب السر واعطائه كامل الحرية في التصرف تأثير مباشر على تنظيم البريد. فكونه كاتب سر السلطان ومستشاره وصاحب ديوان الانشاء كان عليه ان يشرف على جهاز يمس أمن الدولة بما فيه من أسرار ولاته الاداة التي يمارس بها السلطان سلطته ولان هذا الجهاز يوزع في كل الممالك البيانات التي كتبت باشرافه والتي أصبحت نافذة بفضل توجيهاته[٢٧٨].

وكان عنصر الفطنة والذكاء من العناصر الضرورية عند اختيار رسل البريد وقد أشار الى ذلك القلقشندي بقوله:« اذا كان الرسول متمكناً من عقله، عالماً بما يأتي وما يذر، كفى ملكه مؤونة غيبته وأجاب عن كل ما يسأل عنه، واذا كان بخلاف ذلك انعكست القضية، ورجع على مرسله بالوبال». ويستشهد بحكاية دحية الكلبي حين دخل على قيصر بكتاب النبي (ص)، قال له دحية:« هل تعلم أكان المسيح يصلي، قال، نعم، قال فاني أدعوك الى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك الى من دبر خلق السموات والارض والمسيح في بطن أمه، فألزمه من صلاة المسيح انه عبد الله تعالى»[٢٧٩].

وقد اختلف الامر بالنسبة للدوادار الذي لم يكن الا أميراً من الدرجة السفلى وجندياً في تصرف ديوان الانشاء وكاتب السر. وكان الامير الدوادار يسلم الرسائل الى كاتب الانشاء الذي يكتب في الحاشية التعليق على الرسالة، أي تحديد الجهة التي صدرت عنها الرسالة ويتخذ التدابير اللازمة بشأنها. وعندما يتلقى كاتب السر احدى

٢٧٦–القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١، ص ١٠٤.

٢٧٧– Sauvaget: Poste, P: 43.

٢٧٨– Ibid, P: 43.

٢٧٩–القلقشندي: صبح الاعشى ، ج٦، ص ٣٥٩–٣٦٠.

هذه الرسائل كان يسلم اشارة الى البريدي، ويكتب له بخط يده قسيمة لأمير الخيل في الاسطبل السلطاني، وعلى هذه القسيمة، يحدد كاتب السر عدد الخيول التي قرر السلطان الحاقها بالبريد. وهذه القسيمة تحمل في أسفلها اسم البريدي وطريقة تنفيذها، وتختم ثم تعطى للبريدي. وفي نفس الوقت يعطي البريدي جواز مرور يخوله الذهاب الى المكان المقصود والتنقل على عدد محدد من الخيول. ويحتفظ كاتب السر باسم البريدي على دليل عنده ويسجل تاريخ الذهاب والوجهة وغاية السفر[٢٨٠].

وكانت وظيفة كاتب السر أساسية في هذه المرحلة، أما بالنسبة لدادودار فهي عبارة عن نقل الرسائل الى أصحابها، وقد أصبح جواز المرور مهماً بوجود مكتب للتدقيق على الحدود وأصبح من المتعذّر على غير حامله اجتياز الحدود المصرية ذهاباً واياباً. ومن جهة أخرى حرص الناصر محمد على احاطة نفسه بنوع من الابهة والعظمة وتجديد البلاط لاعلاء مركز السلطان[٢٨١].

وعمد الى تبديل في الاشارات التي يحملها البريدي من أجل اعطاء صفة الابداع في كل ما له علاقة بخدمة السلطان، فأصبحت تتصف بالغنى وصارت أكثر دلالة على دور ونوعية حاملها[٢٨٢].

وبعد وفاة الناصر محمد، وصل الى الحكم رجال السيف فبقي بنو فضل الله في الظل ومعهم ايضاً كل رجال القلم. ومنذ سنة ١٣٤٧م. درجت العادة في اختيار كبير امراء الداودار من بين الامراء الكبار اي مقدمي الالوف، وبما ان صلاحياته كانت ضئيلة فقد أعطاه البريد فرصة تولي ادارة البريد عوضاً عن صاحب ديوان الانشاء[٢٨٣].

وصحيح انه بقي بامكان صاحب ديوان الانشاء ان يعطي الاوامر في بعض المهمات لكنه فقد معظم سلطته على الموظفين، وفقد كل قدرة على اتخاذ القرارات نتيجة المركز الذي وصل اليه[٢٨٤].

٢٨٠–المصدر السابق، ج١، ص ١١٤–١١٥.

– حسن ، علي ابراهيم: تاريخ المماليك البحرية ، ص ٢٤٧–٢٤٨.

٢٨١– Sauvaget: Poste, P: 44.

٢٨٢–القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١ ، ص ١١٤.

٢٨٣– Sauvaget: Poste, P: 51.

٢٨٤– Ibid, P: 52 .

وبقيت الامور كذلك طيلة ثلاثين سنة، الى ان وصل السلطان برقوق الى الحكم سنة ١٣٨٢ م. حيث تمكن كاتب السر من الايعاز للسلطان بان الصلاحيات المعطاة الى الداودار قد تشكل خطراً على أمن الدولة لانه من كبار الامراء العسكريين، فتقبل السلطان هذه النصائح وأعيدت سلطة أصحاب ديوان الانشاء على جهاز البريد، ولم يتمكنوا من أن يعيدوا الدور السابق الذي لعبه بنو فضل الله نظراً الى وجود مبادىء جديدة ونظراً الى شخصيتهم الضعيفة[٢٨٥].

ومن جملة الاصلاحات التي أدخلها بنو فضل الله، الاصلاحات المالية، فقد أشاروا الى اللامركزية المالية التي ترفع المصاريف عن كاهل بيت المال، وذلك بان تقع مسؤولية تغطية نفقات البريد في سوريا من أموال النواب الخاصة بدوائرهم. ولم يعد السلطان مسؤولاً عن الناحية المادية الا عن المراكز والموظفين داخل الاراضي المصرية[٢٨٦].

ثم أصبحت مسؤولية السلطان عن المراكز المصرية شيئاً فشيئاً بفضل عبقرية بني فضل الله، فأمر السلطان بتحسين الطرقات البريدية المؤدية الى المرافىء السورية والى أهم المراكز التجارية بحيث أصبحت صالحة للقوافل. وبدلت بعض المراكز لتصبح ابنية على شكل خانات تستطيع ايواء القوافل ولها مدخول مستمر ولا ينقطع ولا يورث وهو ناجم عن مدخول بعضّ المباني التي أوقفت لهذه الغاية. وكانت هذه المصاريف باهظة في أول الامر لكنها في الحقيقة كانت أموالاً موظفة في مشاريع ذات عائدات هائلة لان حق الجمارك المستوفى من التجارة مع الخارج، كان يرسل الى خزينة السلطان الخاصة، وكانت عائدات لا بأس بها تغطي كامل النفقات التي تكبدها السلطان في انشاء هذه الخانات[٢٨٧].

وبناء على اقتراح من أحد أبناء فضل الله انشىء خان على طريق بيروت دمشق[٢٨٨].

وان كل التجديدات والتغييرات التي أحدثت في البريد خلال القرن الرابع عشر والتي أدت الى تغيير طابعه هي من فعل بني فضل الله.

٢٨٥- Ibid, P: 54.

٢٨٦ - ٢٨٧- Ibid, P: 54.

٢٨٨-العمري: التعريف ، ص ١٩٤.

انهيار البريد المملوكي

رافق عدم استقرار السلاطين والطابع المؤقت لسلطتهم ونزعات المصالح والاطماع بين كبار المماليك، انفلات في اخلاقية القياديين وهو أمر طبيعي في ذلك العصر، بحيث لم يعد أمام رجال السيف الا غاية واحدة، هي الوصول الى الحكم. فكانت أولى اهتمامات السلطان اشباع نهم منافسيه، وأصبحت هذه الفوضى دائمة بعد وصول المماليك البرجية الى الحكم عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢م. وتفشي الفساد[٢٨٩].وبعد هذا يمكن فهم كيف ان البريد قد أصابه بعض الانحطاط بعد قليل من الفترة التي تلت موت الناصر محمد.

تعتبر غزوة تيمورلنك صاحب ما وراء النهر الى البلاد الشامية في سنة ٨٠٤ هـ. الضربة القاضية بالنسبة الى مؤسسة البريد، فقد أفرغت المراكز السورية من الموظفين والخيول، فكان ذلك سبباً الى تقليص جناح البريد وبطلانه من سائر الممالك الشامية، ثم سرى هذا السم الى الديار المصرية فألحق بها الاهمال ورماها بعد الحلى بالعطل، فذهبت معالم البريد من مصروالشام، وعفت آثاره وصار اذا عرض أمر من الامور السلطانية في بعض نواحي الديار المصرية أو الممالك الشامية، ركب البريدي على فرس له، يسير سير المسافر الى المكان الذي يريده ثم يعود على هذه الصورة، فيحصل بواسطة ذلك الابطاء في الذهاب والاياب[٢٩٠].

ولم تعد للبريد نفس الاهمية التي كانت له في السابق.

والمعروف ان البريد ظل موجوداً بصورة رسمية على الاقل فقد بقي هناك بريديون وظل هؤلاء مؤتمنين على أسرار السلطان، وازدادت المناصب الادارية المتعلقة بالبريد نتيجة للتناقض الذي يمكن ملاحظته في الوضع السياسي في مصر، ذلك لوجود العديد من الامراء الذين يجب التفتيش لهم عن مناصب[٢٩١].

فقد ذكر القلقشندي ان وظيفة مقدم البريدية كان يشغلها شخصان أحدهما أمير عشرة والآخر أمير خمسة، وكذلك في طرابلس فقد كان هناك شد مركز ومقدم بريد.

٢٨٩- Sauvaget: Poste, P: 80.

٢٩٠-القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٢٧٠.

٢٩١- Sauvaget: Poste, P: 83, No 326.

وكانت هذه الازدواجية في الوظائف ظاهرة عامة في تلك الفترة[٢٩٢].

وتحت هذا الغطاء القانوني كان النواب ينهبون من الذين يقعون تحت أمرتهم وكانوا يفرضون الخيول عليهم بحجة انها للبريد وقد أوصلتهم السلطة التي منحت لهم الى هذه الدرجة من الاحتيال، واذا بقي البريد موجوداً من الناحية الادارية، فالواقع كان غير ذلك فاذا برزت قضية ما تهم السلطان بشكل خاص، ان في المناطق السورية، أو في الاراضي المصرية، وتطلب ذلك معاونة البريد ركب البريدي حصاناً يكون ملكاً له وذهب كالمسافر العادي قاصداً غايته، ثم عاد بنفس الطريقة. وقد أدى ذلك الى بطء في الحركة في الذهاب والاياب[٢٩٣].

اذاً فقد تغيّر حال البريديين ولم يعودوا الا رسلاً عند الحاجة، وقد يكلف هؤلاء عند الحاجة في مهمات رسمية خارج العاصمة. لكن بصورة اجمالية كان الحجان او السعاة يحلون محلهم لان هؤلاء لم يكونوا ليتضايقوا من الحالة التي كانت عليها المراكز، اذا كانت خالية من الرجال، ومن الدواب ولا تنفع الا لتحديد المسافة[٢٩٤].

يعتبر الحجان من عرب الشرقية الذين يقودون الابل السلطانية وعلى رأسهم مقدم لينظم أمورهم ودورات خدمتهم. ومن ناحية العمل كان عطاء الحجان أكثر مردوداً من عطاء السعاة وكانت تصرف لهم نفقات خدمة من الخزينة السلطانية الخاصة، وقد التقى أحد الرجالة واحداً من هؤلاء الحّجان وكان يسير خارج خط البريد العادي راكباً جملاً وهذا دليل على التخلي حتى عن طرق البريد[٢٩٥].

أما السعاة فكانوا يطلبون للخدمة عندما لم يكن بالامكان ارسال البريدية، ويظل هؤلاء متحضرين للخدمة، وينتظمون في أعداد معينة داخل مصر وفي المناطق السورية. يكون على رأسهم نقيب لينظم خدمتهم، ومنه يطلب الاذن لاحد السعاة للقيام بالخدمة وتصرف لهم ايضاً تعويضات خاصة محددة من الخزينة السلطانية الخاصة مرتبطة بالمسافة التي يكونوا قد قطعوها يدفعها لهم النقيب، وبهذه التدابير

٢٩٢–القلقشندي: صبح الاعشى ، ج٤، ص ٦٣.

٢٩٣– Sauvaget: Poste, P: 83.

٢٩٤– Ibid, P: 83, No 326.

٢٩٥– Ibid, P: 84, No 331.

يسير السعاة بسرعة حالما يحصلون على الرسالة ودون اي تأخير"[٢٩٦].

وفي سنة ٨٥٤هـ، وصلت رسالة من حلب الى السلطان وقد أحضرها أحد السعاة فأرسل السلطان أمراً بواسطة الحمام يطلب فيه من الحجان الذين كان قد أرسلهم في الماء الى سوريا بالعودة"[٢٩٧].

وهذا الوضع يدل عما كان عليه الاتصال البريدي في أواخر عهد المماليك، اذاً فقد انتقال الاخبار، ونقل الرسائل الرسمية الترتيب الذي كان يسير عليه، ولم يعد يتم الا بواسطة أساليب أولية، مثلما كان يتم في الماضي عندما كان لا يشد له سرج ولا تلجم له دابة"[٢٩٨].

واعتبر ذلك نهاية البريد المملوكي بعد عمل دام حوالي قرن ونصف.

٢٩٦- Ibid, P: 84, No 332.

٢٩٧- Ibid, P: 84. No 334.

٢٩٨-العمري: التعريف، ص ١٨٥.

الباب الرابع

الوسائل والطرق المستخدمة في نقل البريد

الفصل الأول :

الوسائل المستخدمة في نقل البريد

وميزانية البريد

الفصل الثاني :

- طرق وسكك البريد

- المحطات والاربطة

بريد الخيل

ويسمى بريد الخيل« الولاق » وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال[٢٩٩].

والخيل هي الحيوان الشائع الاستخدام من أقدم العصور في نقل البريد.« وكان أول من استخدم الحصان والعربة بصفة منظمة لنقل البريد هم، على ما يبدو، الرومان. فكان البريد الرسمي المسمى« البريد الامبراطوري» يستخدم عامة مركبات ضخمة الحجم بأربع عجلات مغطاة، يجرها اثنان أو ثلاثة، أو أربعة، وأحياناً عشرة من الخيول او البغال، عندما تشتد حدة الانحدارات.»[٣٠٠]

« أما العرب فلهم في نظام البريد فضل مثل ما لهم في غيره، ولذلك شرح المؤرخون عن أحواله عندهم وأول ما استعمل العرب لنقل البريد الابل ثم استبدلوها بالبغال ثم بالخيل لسرعتها »[٣٠١]. كما ان العرب قالوا:« انه ليروح فلان إبلان اذا راحت ابل مع راع وإبل مع راع آخر، وأقل ما يقع عليه اسم الإبل الصرمة، وهي التي جاوزت الذود الى الثلاثين » وتأبل إبلاً اتخذها. كما ردد رجل من بني كلاب، تأبل فلان إبلاً ونغَم غنماً اذا اتخذ إبلاً وغنماً واقتناها.وأشار ابو عمرو بن العلاء الى الابل، قائلاً:« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت، بالتخفيف يعني البعير لانه من ذوات الاربع يبرك فيحمل عليه الحمولة وغيره من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قائم»[٣٠٢].

فالقرآن الكريم وهو مصدر تاريخي لا يحتمل الشك، يؤكد معرفتهم للخيل ولجميع دواب البريد والنقل بدليل قوله تعالى:

&والفيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون& [٣٠٣]ولتتزينوا بها زينة من أنواع الحيوانات وغيرها أو مما أعد في الجنة أو النار.

٢٩٩-ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ج٢، ص ٢ .

٣٠٠-ريدج: البريد ، ص ٤٧.

٣٠١-الكتاني: التراتيب الادارية، ج١، ص١٩٢.

٣٠٢-ابن منظور: لسان العرب، ج١١،ص ٣-٦ .

٣٠٣-قرآن كريم، سورة النحل، ١٦-٨.

وفي الحديث: يا خيل الله اركبي، قال ابن الاثير: هذا على حذف المضاف، أراد يا فرسان خيل الله اركبي، وهذا من أحسن المجازات وألطفها[٣٠٤].

أما الجمل فورد في آية أخرى&أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت& وإلى السماء كيف رفعت& [٣٠٥]، تستطيع تحمل الاثقال وتقطع القفار وتتحمل الجوع والعطش وتقنع بأقل علف وتبرك للحمل وتنهض بالثقل وتنقاد للصبي وينتفع بدورها ووبرها وسائر أجزائها فجعلت بما فيها سبباً للنظام.

فصحيح قد يكون الجمل أول حيوان استخدمه العرب في نقل بريدهم، ولكن ليس معناه ان الجمل ظل محتكراً لنقل رسائل البريد فحركات التقدم والتطور التاريخي استبدلته بالخيل والبغال، وشاع استخدام البغال بنوع خاص في نقل البريد بمملكة تونس، حيث كان من حق عامل البريد ان يركب على بغل إما ملكٌ له أو مستعار ويسافر عليه الى تلك الجهة. وكان على الولاة الذين يمر بأرضهم ان يقدموا له البدل إما من جهتهم او عن طريق السخرة من الرعايا ويتبع العامل نفس الطريقة عند عودته الي المكان الذي بدأ منه[٣٠٦].

وفي الغالب كان قطار البريد يتألف من دابة فأكثر، حتى تبلغ أربعين أو خمسين دابة. وكثيراً ما كانوا يستخدمون خيل البريد لحمل بعض الناس الى الخليفة او الامير، التماساً لسرعة قدومهم. وكانوا يعلقون في أعناق الدواب جلاجل أو سلاسل، اذا تحركت سمعت لها قرقعة تعرف عندهم بقرقعة البريد. أما المراسلات فكانت تجعل ضمن أكياس من الجلد وتوضع على ظهور الدواب، ثم تقطر الدواب بعضها ببعض ويركب على كل دابة رجل. وتختلف سرعة البريد باختلاف الطرق ونوع المراكب، بين ان تكون إبلاً او خيلاً[٣٠٧].

٣٠٤-ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص ٢٣١.

٣٠٥-قرآن كريم، سورة الغاشية، ٨٨-١٧-١٨.

٣٠٦-القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص ١٤٨.

٣٠٧-زيدان ،جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي، ج١، ص ٢٣٢.

ومن الراجح ان حكام المسلمين في أوائل القرن الرابع الهجري عدلوا عن استعمال الخيل في البريد الى اتخاذ الجمازات فمن ذلك انه لما استطال صاحب القيروان على أرض مصر، وكل المقتدر أمر صدهم الى مؤنس الخادم، وندب معه العساكر لمحاربة صاحب القيروان وذلك عام ٣٠٢هـ/٩١٤م. ولكي تصله أخبار مؤنس كل يوم تقدم علي بن عيسى بترتيب الجمازات من مصر الى بغداد[٣٠٨].

وذلك لما امتازت به الجمازات من سرعة نقل الأخبار، أما في العهد المملوكي، فان بريد الخيل له طرقات أول ما بدأت تعمل في مصر وعلى طريق القاهرة -دمشق، زمن السلطان بيبرس ومن ثم امتدت خدمات البريد حتى شملت مدن الساحل السوري والقلاع التي تقع في آخر حدود السلطنة المملوكية في جبال طوروس[٣٠٩].

وكانت تقوم على هذه الطرقات مبانٍ لخدمة البريد تسمى المراكز البريدية يقف عندها البريدي من أجل تغيير الخيول. ولم تكن المسافة بين المركز والآخر واحدة دائماً، انما تفاوتت المسافات حسب الضرورة،وتارة لبعد ماء وتارة للانس بقرية[٣١٠]. وقد اختلفت المسافة بين المراكز البريدية في العهد المملوكي من ١٦ كلم الى ٣٥ كلم[٣١١].

وأشار Sauvaget الى وصف بقايا مركزين من هذه المراكز ذات الطابع الاولي للبريد المملوكي: وهذان المركزان هما على طريق الرحبة، الاول على بعد ثلاثين كلم الى الجنوب الغربي من القريتين، وهو مغزول في الصحراء الى جانب الطريق ويدعى خان الابيض، والثاني في قصر الحير على بعد ستين كلم الى الجنوب الغربي من تدمر، وهو قائم على بقايا قصر اموي ، ومن المؤكد انهما من العصر الاموي. ولما كانت طريق الرحبة قد نظمت منذ بداية عهد البريد، ولم يعد تنظيمها فيما بعد ذلك يمكن اعتبار هذين المركزين من عهد بيبرس[٣١٢].

٣٠٨-متز،آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص ٤٢٠.

٣٠٩- Ency De L"Islam: art Barid E. 2 , T1, P: 1077 .

٣١٠-القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، ص ٣٧٢ .

٣١١- Sauvaget: Poste,P: 28, No123.

٣١٢- Ibid,P:31.

وبصورة اجمالية كانت هذه المباني ضعيفة والدليل على ضعفها من حيث الصلابة في البناء، فلا يوجد اي أثر حيث كان من المفروض ان يكون هناك مركز، لان المباني التي أقيمت لمبيت الخيل لم تكن تلك المباني التي تترك وراءها اطلالاً . ومن المؤكد انه كلما تهدم مركز من هذه المراكز كان الفلاحون والبدو والقاطنون في الاماكن المجاورة ينقلون حجارتها لاستعمالها في مجالات عديدة"[٣١٣].

أما بالنسبة لعدد الخيول فلا يمكن التكهّن بعدد الخيول الموجودة في كل مركز فلقد اختلف العدد من مكان الى آخر"[٣١٤].

لكن يبدو ان هذه المباني قد تطورت ليكون الواحد منها بناء ذا هدف محدد، وعلى نفس النمط تقريباً، مع بعض التغييرات الهندسية. وكان الهدف من هذا التطور ملاءمة ضروريات مبيت الخيول البريدية والرجال الذين يقومون بحراسة هذه المباني. على ان تكون كل اللوازم موجودة ومؤمنة في الداخل، مثل الطعام والشراب والعلف ولوازم الخيل"[٣١٥].

ويلحق بهذا المركز ايضاً البريديين حملة الرسائل، وفي كل مركز يغير البريدي حصانه بآخر مرتاح حتى نهاية مهمته"[٣١٦]. -

وقد ذكر Sauvaget الى وجود خانات للقوافل، وهذه الخانات ليست مستقلة عن جهاز البريد. فقد استعملت كمراكز بريد في نفس الوقت التي بقيت تستقبل القوافل لانها وردت في لوائح المراكز وهذه اللوائح قد حددت حسب الحالات ان هذه المحطة هي مركز او خان للقوافل"[٣١٧].

٣١٣- Ibid, P:34.

٣١٤- Ibid, P : 34,NO 146.

٣١٥- Demombynes ,Gaudefroy: La Syrie à l'épogue des Mamlouks, P: 241.

٣١٦- Sauvaget:Poste, P:27.

٣١٧- Ibid, P:63, NO 261.

وينتهي تأسيس الخانات بتأمين المياه، ويكون ذلك اما من خزانات للماء او من نبع أو بحفر بئر ويكون هناك جامع ملاصق لهذا الخان. وقد يتطلب الامر بناء جسر على نهر، مثل جسر نهر الاردن، وجسر القمر قرب طرابلس، وعلى الطريق المجاورة هناك مخازن يمكن شراء المأكولات والحاجات الاولية الضرورية منها. ولما كان في كل مركز عدد من العساكر يؤلفون فرقة بوليس دائمة، لذلك كانت درب السلطان آمنة اجمالاً، فتكونت قرى على جوانب هذه الخانات ، وقد افادت من الحماية المؤمنة عليها ومن وجود الماء بجانبها والزبائن والمسافرين الذين ساعدوا على نموها اقتصادياً. حتى امكن لاي امرأة ان تسير وحدها من القاهرة الى دمشق، راكبة او حتى راجلة دون ان تأخذ معها لا طعاماً ولا شراباً[٢١٨].

بريد الرجالة - الرجال العدّاؤون:

أطلق ابن بطوطة هذه التسمية في حديث عن البريد ببلاد الهند، وقصد بها جماعة السعاة وهم رجال خفاف الحركة، يفتكون بالعدو ولا يخشون بأساً ولا دركاً حتى في الاراضي الوعرة[٢١٩].

ويرجع تاريخ استخدام السعاة في نقل الرسائل بالدولة الاسلامية الى أيام بني بويه. وكانت أولى نشأتهم في بغداد على يد معز الدولة الذي أراد اعلام أخيه ركن الدولة بالاحوال سريعاً[٢٢٠].

أعطى معز الدولة السعاة الجرايات الكثيرة، وقد تهافت شبان بغداد على هذه الحرفة الجديدة، وأقبل فقراء الناس على تسليم ابنائهم للسلطان معز الدولة لتدريبهم على ذلك[٢٢١].

٢١٨- Demombynes, Gaudefroy:<u>La syrie à l'époque des Mamlouks</u>, P: 242.

- Sauvget: <u>Poste</u>, P: 66-67.

٣١٩-ابن بطوطة:<u>تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار</u>، ج٢،ص٢.

٣٢٠- زيدان ، جرجي : :<u>تاريخ التمدن الاسلامي</u>، ج١،ص٢٤١.

٣٢١-متز،آدم: <u>الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري</u>، ج٢، ص ٤٢٠.

وقد امتاز من هؤلاء السعاة اثنان، كان منهما يقطع ما يزيد علي الاربعين فرسخاً(حوالي ١٨٠ كلم) من مشرق الشمس الى مغربها، وكانا مكرمين عند عامة الناس، وقد أورد المؤرخون ذكرهما، وهما: فضل ومرعوش، وكان أحدهما ساعي السُّنة والثاني ساعي الشيعة[٣٢٢].

وتحدث ابن بطوطة عن ترتيب هذا النوع من البريد بان يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب يقعد فيها الرجال مستعدين للحركة قد شدوا أوساطهم وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين باعلاها جلاجل نحاس فاذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الاخرى وخرج يشتد بمنتهى جهده فاذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له فاذا أوصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده، ومر بأقصى جهده وهو يحرك المقرعة حتى يصل الى الدواة الاخرى. ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب الى حيث يراد منه وهذا البريد أسرع من بريد الخيل، وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند وخراسان يجعلونها في الاطباق ويشتدون لها حتى تصل الى السلطان او الحاكم[٣٢٣].

وكان يوجد الى جانب ذلك في بعض النواحي رسل خاصة، وذلك في المسافات القصيرة وقد اشتهر بها المصريون كسعاة منذ القرن الخامس الميلادي، اذ استخدموا في جماعات منظمة اطلق عليهم اسم«سيماكوي»في مصر السفلى، وكانوا لا يزالون موجودين في القرن الثامن الميلادي، بدليل ما نجده في إحدى ورقات رينر البردية. حيث يقول ڤانسلب Wansleb أحد المؤلفين المحدثين:

« من أراد ان يكون ساعياً في الاسكندرية فلا بد ان يحمل شعلة في سلة على هيئة موقد مثبت في عمود، طوله قامة رجل، وله حلقات من حديد، وان يقطع المسافة التي بين الاسكندرية ورشيد وطولها سبعة وعشرون ميلاً، ويعود في يومه، قبل مغيب الشمس[٣٢٤].

٣٢٢-المرجع السابق ، ج٢، ص ٤٢٠.

٣٢٣-ابن بطوطة:تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار،ج٢،ص٣.

٣٢٤-متز،آدم: تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢،ص٤٢١.

يتبين من ذلك ان وظيفة الساعي في ذلك الوقت اعتبرت من الوظائف الحكومية الهامة لا يلتحق بها الرجل الا بعد ان يثبت كفاءته بامتحان يجري له. واستعداده الطبيعي لتلك الوظيفة لما يكتنفها من أهوال وأخطار.

كما يعتقد ان مملكة الهند قد فاقت الممالك الاسلامية الاخرى في تنظيم جماعات السعاة، حيث ان القلقشندي روى،انها رتبت لهم أماكن متقاربة، مشبهة بمراكز البريد بمصر والشام الا ان هذه الاماكن قريبة المدى بعضها من بعض، بين كل مكانين نحو أربع غلوات سهم أو دونها، وفي كل مكان من هذه الامكنة مسجد وسوق وبركة ماء وعشرة سعاة ممن اتصف بالخفة والقوة. وجرت العادة كما هو متبع اليوم ان يحمل السعاة المراسلات داخل كيس او جراب من الجلد معلق باحدى كتفي الساعي ويحمل بعضهم اجراساً[٣٢٥].

والجدير بالملاحظة ان حياة هؤلاء السعاة محفوفة بالمخاطر، فكثيراً ما يتوهون عن الطريق او تصادفهم وحوش كاسرة تضطرهم الى المرور في أرض غير مطروقة وتفتقر الى الامن والماء.«ومن عمال البريد، ما عدا السعاة-الشعوذي وهو رسول الامراء على البريد، والكوهبانية وهم أصحاب الاخبار الذين يرسلون للاستطلاع، ورجال يتولون فض الخرائط بين الخليفة، وللخرائط أجربة أو أكياس من جلد توضع الكتب فيها وتختم بختم المرسل وتحمل الى المرسل اليه، فيفض ختمها بيده او بيد من يتولى ذلك عنه»[٣٢٦].

والراجح ان الحكام في ذلك العصر عدلوا عن استعمال الخيل في البريد الى اتخاذ الجمازات، فمثلا نجد ابن العميد لما أراد اللحاق بأميره في فارس عام ٣٦٤هـ/٩٧٥م. بغاية السرعة، اتخذ الجمازات[٣٢٧].

٣٢٥-القلقشندي:صبح الاعشى،ج٥، ص ٩٨.

٣٢٦- زيدان ، جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي، ج١،ص ٢٤٣.

٣٢٧ -متز،آدم:الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ، ج٢، ص ٤٢١.

كما كانت تنظم اثناء الحروب برد حربية لشؤون الحكومة، حيث ان الحكومة العباسية تستعمل الجمازات لنقل البريد في اثناء الحروب، والجمازة شبه محفة على عجلة تجرها الخيول السريعة[٢٢٨].

البريد الجوي- أو البريد المجنح:

المقصود بتسمية البريد الجوي الحمام الزاجل المعروف بحمام الرسائل، وليس البريد الجوي الصناعي، أي طائرات نقل البريد.

الحمامة، طائر تطلق على الذكر والانثى، والجمع حمام، فكل ما كان ذا طوق مثل القمري والفاختة، وأشباهها حمامة سواء كانت مطوقة او غير مطوقة، أليفة أو وحشية، وتدخل فيه الورق الاهلية والمطوقة الوحشية والهديل صوت الحمام كله، وربما قالوا حمام للواحد.

أما الحمام عند العرب ذوات الاطواق من نحو الفواخت والقماري وساق حر والقطا والوارشين وأشباه ذلك، فيقع على الذكر والانثى، لان الهاء انما دخلته على انه واحد من جنس لا للتأنيث وعند العامة انها الدواجن فقط، فالواحدة حمامة.

فالدواجن التي تستفرخ في البيوت هي حمام ايضاً، فأما اليمام فهو الحمام الوحشي، وهو ضرب من طير الصحراء، حسب ما قاله الاصمعي، أما الكسائي فأشار، ان الحمام هو البري، واليمام هو الذي يألف البيوت، أما ابن الاثير، وفي حديث مرفوع، أنه كان يعجبه النظر الى الاترج والحمام الاحمر[٢٢٩].

ويعرف الحمام ايضاً بحمام البطاقة «فبطق» والمقصود ان العاذل أرسل بطاقة، اي رسالة الى الامراء. فتلفظ بطاقة، والجمع بطائق، وهذه اللفظة مأخوذة من يناكيون باليونانية ومعناها رقعة وهي القطعة الصغيرة من الورق،وان اسم ورقاء بالعربية اطلق في الاصل على هذا النوع من الحمام لحمله ورق الرسائل وهو مشهور بسرعة طيرانه[٢٣٠].

٣٢٨-حسن، حسن ابراهيم :تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج٣، ،ص ٤٦٠.

٣٢٩- ابن عبد ربه:العقد الفريد، ج٥، ص ٤١٤.

-ابن منظور:لسان العرب،ج١٢،ص ١٥٨-١٥٩.

٣٣٠-المقريزي:السلوك لمعرفة دول الملوك،ج١، قسم ٢، ص ٢٨٢.

فالمعروف ان استخدام الطيور في حمل الرسائل قديم جداً في التاريخ، وفي التوراة ان نوح أرسل حمامة من الفلك اثناء الطوفان فعادت اليه بغصن من شجرة الزيتون في منقارها[٣٣١].

واعتبرها المؤرخون أول حمامة أطلقت من السفينة الى البر، بل أول رسالة بريد أتت بخبر الى نوح تعلمه ان المياه قد جفت عن الارض اثناء الطوفان.

وبعد ذلك جاء النبي سليمان بن داود (عليه السلام) وقد منحه الله سبحانه وتعالى من قوة السيطرة والاستعلاء على مخلوقاته ما ورد في القرآن الكريم عن قوله تعالى:& **وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون**&[٣٣٢].

وكان الهدهد أحد تلك الطيور التي جنّدت وجيشت، ولعبت دوراً خطيراً في صراعه العنيف مع بلقيس ملكة سبأ.

فالقرآن الكريم هو أقدم كتاب عربي اسلامي،وهو كتاب تاريخ كما هو كتاب دين وتشريع قد نطق بما أداه الهدهد من الجاسوسية والاستطلاع ما لم يستطع عامل البريد ان يؤديه في عصر من العصور التاريخية.

وعندما كان النبي سليمان يتفقد الطير، طلب الهدهد فلم يره، وانما طلبه لان الهدهد يرى الماء من تحت الارض فيعلم هل في تلك الارض ماء أم لا، فبينما سليمان في بعض مغازيه احتاج الي الماء فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره، فغضب وتوعد الهدهد ومما قاله:[٣٣٣]

&**وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين** && **فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** &: فقال له سليمان: سننظر في أمرك.& **قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين** &[٣٣٤].

٣٣١- غنّام، عبد الغني: الحمام وتربيته، ص ٧ .
- الكتاب المقدس العهد العتيق، الفصل الثامن، ٧.٨.١١.

٣٣٢- قرآن كريم: سورة النمل، ٢٧-١٧.

٣٣٣-ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص ٢٣٤.

٣٣٤-قرآن كريم، سورة النمل، ٢٧-٢٠-٢١-٢٢.

وكان الهدهد قد مرّ علي قصر بلقيس فرأى بستاناً لها خلف قصرها، فمال الى الخضرة، فرأى فيه هدهداً فقال له: أين أنت عن سليمان وما تصنع ها هنا؟ فقال له وَمَن سليمان؟ فذكر له حاله وما سخِّر له من الطير وغيره.

ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فأخبره بعذره في تأخيره فقال له سليمان:&**اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون**& فلما قرأته قالت:& **يا ايها الملؤاني القي الي كتاب كريم**&. وكان النبي سليمان يعتقد ان ليس في الارض أحداً له مملكة معه، فلما دله الهدهد على ملك هو لغيره وقوم كفرة يعبدون غير الله رأى في غزوهم الثواب العظيم.

فحقت للهدهد المعذرة، وصحت له الحجة في مغيبه، أسفرت دبلوماسية الهدهد هذه العبارة الخالدة على لسان بلقيس: & **قالت ربي اني ظلمت نفسي وأسلمت لله رب العالمين**&[٣٣٥].

وقد حصلت هذه المعجزة بمقدرة الطائر على نقل الاخبار.

والاهتمام بالحمام الزاجل عادة شائعة منذ القدم، فبنو نوح كما يقول المؤرخون، كانوا يكرمون الحمام، لانه بشّرهم بوجود اليابسة، عندما حصل الطوفان، واركبهم نوح سفينة لينجّيهم من الغرق. ويهتم المسيحيون بالحمام ايضاً ومنهم من ينزله منزلة رفيعة لانه يمثل عندهم روح القدس ولذلك لا يفكر احد في ايقاع الاذى به على أية حال[٣٣٦].

أما الصينيون فقد ذكرت كتبهم، انهم استخدموا الحمام الزاجل في أواخر القرن السابع الميلادي، والفضل في ذلك يرجع الى تجار العرب والهنود، الذين جلبوه معهم الي هناك[٣٣٧].

٣٣٥-المصدر السابق، سورة النمل ، ٢٧- ٢٨-٢٩-٤٤.

٣٣٦-غنّام، عبد الغني:الحمام وتربيته، ص ٧.

٣٣٧ -متز،آدم:الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ، ج٢، ص ٤٢٢.

وما زال الصينيون يكرمون الحمام الى اليوم، كما هو شأن اليونانيين باعتباره وسيلة لقياس حظوظهم. ولهم في ذلك طرق مختلفة منها كثرة التوالد او العلم، ومنها التوالف او البغضاء ومنها اختيار نوع خاص من الورق، يكتبون عليه ما يشاؤون من العبارات المنوهة بحسن الخط او بسوئه. ثم يضعون هذه الاوراق وسط عدد منها لتنقرها الحمامة وتستخرج منها واحدة، يكون ما فيها من الكتابة قارئاً للحظ الذي يبحث عنه الانسان"[٣٣٨].

فالحمام الزاجل مقدس عند الكثير من الامم الغابرة، لا سيما السامية منها باعتباره الطائر المقدس للآلهة عشتروت، واستخدم الحمام الزاجل بعد الانبياء الفرس الذين نقل عنهم الاغريق طريقة تدريبه على حمل الرسائل فاستخدموه في نقل الالعاب الاولمبية وجاء بعدهم الرومان فاستخدموه في سباق العجلات"[٣٣٩].

وأول ما جاء عنه ان مصارعاً من جزيرة أوجين أخذ معه حمامة الى ميدان الالعاب الاولمبية. فاذا تغلب على خصمه علّق في عنقها قطعة من الارجوان واطلقها فتبلغ بيته في ذلك اليوم ويعرف أهله نبأ فوزه"[٣٤٠].

فأحدثت هذه الرسالة، فكرة استخدام الحمام في المواصلات البريدية ثم انتشرت هذه الفكرة في أكثر بلاد العالم حتى لم تبق أمة لم تستخدم الحمام في نقل مراسلاتها الخاصة والعامة.

لقد تباينت الآراء في تاريخ استعمال الزاجل فالمؤرخون وعلماء الحيوان يرد ذلك إلى نحو الفي سنة. فكان بحارة مصر وقبرص، يتناقلون اخبارهم على جناح الزاجل ويبعثون بها الى البر. وكذلك المصارعون في الالعاب الاولمبية. وشاع ايضاً استعماله عند الرومان، حتى ان القائد مايور المشهور، كان يرسل اخباره الى أصحابه بواسطة الحمام الزاجل، لما كان محصوراً في موتينا احدى مدن ايطاليا سنة ٤٤ ق. م."[٣٤١]

٣٣٨-غنام، عبد الغني: الحمام وتربيته ، ص ٧-٨ .

٣٣٩- ٣٤٠- المرجع نفسه، ص، ٨.

٣٤١ - المقتطف ، مجلد٢٧، ج١٢، ص ١١٥٥، ديسمبر ١٩٠٢.

أما في مكة فان الحمام يرمز الى الطمأنينة والسلام قبل ظهور الاسلام، والسبب في ذلك يعود، الى انه من نسل الحمامة، التي عششت على باب الغار الذي لجأ اليه النبي محمداً (ص) حينما ائتمرت به قريش وبطون العرب الاخرى. واعتزموا الفتك به جميعاً فأوحى الله اليه، بالخروج من مكة. فهرب منهم مع أبي بكر الصديق. والتجأ الى الغار« غار حراء » فجاءت حمامة على أثر دخولهما اليه، وعششت على بابه، وكان ذلك سبباً في نجاته. إذ مرّ فتعقبوه بالغار، فوجدوا عش الحمامة، فأيقنوا انه قديم وقالوا:« لو ان محمداً(ص) دخل هذا الغار لما بقي عش الحمامة قائماً في فجوته ».[٣٤٢]

وقد أحدث ظهور الاسلام انقلاباً خطيراً اهتزّت له عروش القياصرة والاكاسرة وأدخل تغييرات جديدة على نظام البريد.حيث تفوّق المسلمون على سائر شعوب العالم في استخدام الحمام الزاجل، فانشأوا بريداً رسمياً ومنظماً لهذا الحمام، وراحوا يجمعون صنوفه اللائقة ويدربونها ويقيمون لها البيوت المناسبة، وينشئون المحطات ضمن شبكات بريدية خاصة غطوا بها شتى أرجاء الدولة الاسلامية.

ومن المعتقد ان علماء التاريخ الطبيعي لم يجزموا بأن أصناف الحمام الحالي أصلها من نوع واحد، أو عدة أنواع مختلفة، ويزعم بعضهم ان جميع انواع الحمام التي نراها اصلها الحمام البري اي الجبلي الازرق، وبعضهم يشك في صحة هذا الزعم[٣٤٣].

أما داروين، فيرى ان جميع أنواع الحمام، التي استؤنست تنتسب الى الحمام الجبلي الازرق المسمى علمياً كولومبا ليفيا« Columba Livia »ويبرهن على صحة رأيه بقوله:« انه اذا ترك اي نوع من الحمام المستأنس وشأنه، ليتناسل بدون ان يعمد مربيه الى طريقة الانتخاب والعناية به حتى يمنع التقهقر والارتداد، فان صفات النوع البري تسوده وتعود للظهور »[٣٤٤].

٣٤٢- المرجع السابق ، ص ١١٥٥.

- غنام، عبد الغني: الحمام وتربيته، ص ٦ .

٣٤٣-غنام،عبد الغني:الحمام وتربيته،ص ١٠.

٣٤٤-المرجع نفسه، ص ١٠-١١.

وقد جاء في حياة الحيوان للجاحظ« انه قد أجمع كثير من المؤرخين على ان العرب كانوا أول من استخدم الزاجل في الرسائل في القرن الثاني للهجرة. والزاجل من الاكتشافات الشرقية عرف في بلادنا منذ نحو الفي سنة»[٣٤٥].

كما قسم الجاحظ في كتابه« الحيوان » أنواع الحمام الى حمام عادي، وحمام رسائلي(الزاجل) أما بالنسبة للحمام الزاجل فيختار حسب أسس وأوصاف معروفة، ويراعي في تدريبه أساليب مقررة، فكان يشترط في ذلك النوع من الحمام اعتدال العنق واستدارة الرأس من غير عظم ولا صغر وقصر في المنقار في غير ورقة ثم اتساع الصدر ،وطول القوادم في غير افراط، ولحوق بعض الخوافي ببعض، وصلابة العصب في غير انتفاخ، وعظم الفخذين، وقصر الساقين والوظيفين، وافتراق الاصابع، وقصر الذنب وخفته»[٣٤٦].

كذلك كان يراعي في الحمام الزاجل، صفاء البصر وثبات النظر، وشدة الحذر وحسن التلفت، وخفة النهوض اذا طار والعلو في الجو مع مد العنق في سمو، وقلة الاضطراب في جو السماء وضم الجناحين في الهواء، وتدافع الركض في غير اختلاط، وحسن القصد في غير دوران، وأتقن معرفة ذلك كله أناس في العراق لانتقاء أجود انواع الحمام الزاجل وأحسنها اصولاً وأنساباً»[٣٤٧].

وأما مراكز البطائق التي هي الابراج فأول ما نشأ ذلك في الموصل، ثم في مصر على عهد الفاطميين فالعباسيين، وكانت تقام بين الاسكندرونة في سوريا وبين مدينة بغداد مخابرات متواصلة بحمام يسمونه حمام حلب»[٣٤٨].

وكان بالقلعة أبراج خاصة بحمام البريد الذي كان يقوم، بتوصيل البريد بين مصر

٣٤٥- المقتطف، مجلد ٢٧، ج ١٢، ص ١١٥٣.

٣٤٦-الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص ٢٧٠-٢٧١.

- كحالة ، عمر رضا: دراسات اجتماعية، ص ١٥١.

٣٤٧-الجاحظ: الحيوان، ج٣، ص ٢٧١-٢٧٢ .

٣٤٨-الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص ١١٧.

- زيدان، جرجي : تاريخ التمدن الاسلامي ج١، ص ٢٤٣.

والبلدان الاخرى التابعة لها«وبلغت عدتها على ما ذكره ابن عبدالظاهر في كتاب«تمائم الحمائم» سنة سبع وثمانين وستماية الف وتسعماية طائر، وكان بها عدة من المقدمين، لكل مقدم منهم جزءمعلوم، وكانت الطيور المذكورة، لا تبرح الابراج بالقلعة ما عدا طائفة منها، فانها في برج بالبرقية خارج القاهرة، يعرف ببرج الفيوم، رتبه الامير فخرالدين عثمان بن قزل أستادار الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر بن أيوب، وقيل له برج الفيوم، فان جميع الفيوم، كانت في اقطاع ابن قزل، وكانت البطائق ترد اليه من الفيوم، ويبعثها من القاهرة الى الفيوم من هذا البرج فاستمر هذا البرج يعرف بذلك الاسم"[٣٤٩].

وان اول وثيقة جاءت مصداقاً لهذا الموضوع، وجدت في حكم المعتصم عندما أرسلت اليه، وهو بمدينة سامراء، أنباء القبض على بابك الخرمي بواسطة الحمام الزاجل حيث ورد هذا في قول المسعودي أحد مؤرخي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

وأطلقت الطيور الى المعتصم وكتب اليه بالفتح، فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح، وأظهروا السرور، وكتبت الكتب الى الامصار بالفتح"[٣٥٠].

وفي« أوائل القرن الرابع الهجري شاعت اخبار كثيرة عن استعمال الحمام بالعراق، فمن ذلك انه لما تقلد حامد بن العباس الوزارة عام ٣٠٤هـ-٩١٦م. وروسل بالقدوم على الخليفة كتب على عدة أطيار بخروجه في يومه"[٣٥١].

وذكر عريب في حوادث عام ٣١١هـ- ٩٢٣م. ان القرامطة لما دخلوا البصرة أخبروا الناس بعزل ابن الفرات وولاية حامد بن العباس قبل ان يجيء الخبر الى البصرة بأربعة أيام ولما جاء الخبر بعد ذلك لأهل البصرة علموا ما أرادت القرامطة بذلك، وان الخبر أتاهم من وقته في جناح طائر"[٣٥٢].

٣٤٩-المقريزي: الخطط ج٢، ص ٢٣١.

- غنام عبد الغني: الحمام وتربيته ، ص ١٠١.

٣٥٠-المسعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ٥٦.

٣٥١-متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ ج ٢، ص ٤٢٢.

٣٥٢ - القرطبي ، عريب بن سعد : ذيول تاريخ الطبري، ص٩٧.

وعندما اقترب القرمطي من الانبار تشوق المقتدر الى معرفة أخبار القرمطي وقتاً بعد وقت"[٣٥٣].

ولما اشتد خطر القرامطة في هذه السنة نفسها ٣١١هـ/٩٢٣م. رتب الوزير علي بن عيسى بين بغداد وبين مقرهم المرتبين، وسلم اليهم مئة طائر الى مئة رجل، ليكتبوا له على أجنحتها كتباً بخبر العدو في كل ساعة"[٣٥٤].

واستطاع ابن قرابة في سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م. ان يحمل الى الوزير ابن مقلة أخبار سلامة الكوفة من القرمطي، لان أطيار جاره، وهو من أهل الكوفة، حملت اليه انباء أصدق مما حملته أطيار صاحب المعونة المعين في الكوفة من قبل الوزير، فتعجب ابن مقلة من ان يكون قرابة أعرف بأخبار الكوفة من صاحب المعونة"[٣٥٥].

ومن أخبار سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م. ايضاً«ان طائر وقع لغلمان بجكم، فوجدوا على ذنبه كتاباً من بجكم، بخط كاتبه الى أخيه، يعرفه فيه أخبار بجكم وأسراره"[٣٥٦].

وكانت رسائل ذلك العصر تصل من الرقة والموصل الى بغداد وواسط والبصرة والكوفة بواسطة الاطيار في يوم وليلة. وفي النصف الثاني من القرن الرابع كان عند محمد بن عمر ابي الحسن الشريف، وكان علوياً وجيهاً متمولاً ببغداد طيور كوفية- وبالكوفة طيور بغدادية، وكان يكتب على الطير الى الكوفة فيأتيه الخبر في ساعة او نحوها»[٣٥٧].

وجلس هذا الشريف عند الوزير مرة، فوصل الى الوزير خبر وصول رسول القرامطة الى الكوفة، وانه لا بد من الكتابة الى الكوفة بالقيام بالواجب مع الرسول، فأرسل الشريف الى الكوفة بالخبر، وجاءه الرد بوصول الكتاب، وامتثال الاشارة،

---

٣٥٣ - ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٨٤.

٣٥٤-متز آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ ج٢، ص ٤٢٣.

٣٥٥- ابن مسكويه: تجارب الامم، ج١،ص ٢٦٢.

٣٥٦-المصدر نفسه، ج١،ص ٤١٤.

٣٥٧- متز آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ ،ج ٢، ص ٤٢٤.

وهو جالس مع الوزير، وكان هذا يحسبه متهاوناً في الامر[٣٥٨].

ويغلب الظن ان مؤسس فرقة القرامطة في القرن الثالث الهجري قد عول كثيراً على البريد الجوي في انجاح حركته واحداث الارتباكات في جنوب العراق. وهذا من غير شك عمل كبير قامت به الحمامة، ذلك الطائر الوديع.

على ان استخدام الحمام الزاجل لم يقتصر على العراق فحسب، بل اشتهر في الشام في نقل الرسائل في القرن الثالث الهجري، وان العناية بالحمام الزاجل بشمال الشام ،أقدم كثيراً من زمن نور الدين والقرن السادس الهجري، فكان حصن الحجر الذي يقع في جبل اللكام قرب انطاكية واقليم الثغور الشامية حيث تقع المصيصة وطرطوس واذنة تحفل برجال مهروا في تدريب الحمام في الانتقال من مكان الى أخر[٣٥٩].

وقد بلغ استخدام هذا الحمام في مصر درجة كبيرة من التقدم والرقي. وذكر في "التعريف" ان الحمام أول ما نشأ بالديار المصرية والبلاد الشامية من الموصل، وان أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل الشهيد نور الدين زنكي صاحب الشام في سنة ٥٦٥هـ[٣٦٠].

ولكن عرف الحمام الزاجل قبل نور الدين في عهد الفاطميين بمصر حيث حافظوا عليه، وبالغوا فيه حتى أفردوا له« ديواناً وجرائد بأنساب الحمام » وصنف فيه الفاضل محي الدين بن عبد الظاهر كتاباً سماه«تمائم الحمائم»[٣٦١].

واستخدم الفاطميون الحمام الزاجل في نقل الاخبار من سفن الاستطلاع التي كان يوكل اليها مراقبة حركات الاساطيل المعادية النورمانية التي دأبت على الاغارة على شواطيء افريقيا في أواخر العهد الفاطمي[٣٦٢].

٣٥٨- المرجع السابق ، ج٢، ص ٤٢٤.

٣٥٩-كحالة ، عمر رضا: دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية، ص ١٥١.

٣٦١- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج ١٤، ص ٣٩٠.

٣٦٢-كحالة، عمر رضا: دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية،ص ١٥٢ .

وقد قطعت البحرية الفاطمية شوطاً كبيراً في استخدام الحمام لربط الاسطول بقواعده البرية، والحصول على معلومات من أجل الدفاع والاستعداد للعدو، واستخدمه الفاطميون في نقل الاخبار بين اجزاء امبراطوريتهم في المشرق والمغرب[٣٦٣].

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م. استخدم السلطان نور الدين الشهيد، الحمام الزاجل وذلك لامتداد مملكته واتساعها اذ كانت من حد النوبة الى بلاد همذان. ثم جاورت بلاد الفرنج. وخوف ان ينازل هؤلاء حصناً من الثغور لا يصل خبره حتى يكونوا قد بلغوا منه غرضهم، أمر بالحمام ليصل الخبر اليه في يومه، فاتخذ له قلعة وحبسه بها. فكانت تأتيهم بالاخبار في وقتها. لانه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم[٣٦٤].

فاذا رأوا ،أو سمعوا أمراً كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التي هو منها في سلعة، فتنقل الرقعة من طائر الى طائر آخر، من البلد الذي يجاورهم حتى الجهة التي فيها نور الدين وهكذا، الى أن تصل الاخبار اليه، فحفظت الثغور بذلك، حتى ان طائفة من الافرنج نازلوا ثغراً له، فأتاه الخبر ليومه: فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسيرة بسرعة وكبس العدو. ففعلوا ذلك فظفروا، وكان الافرنج قد أمنوا ببعد نور الدين عنهم. وكان نور الدين متشوقاً جداً الى اخبار مصر وأحوالها، فكانت تأتيه أخبارها بواسطة الحمام الزاجل[٣٦٥].

أما في حوادث سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م. عندما حاصر السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عكا، ولما انقطعت أخبار البلد عن السلطان انتدب العوام للسباحة حيث صاروا يحملون نفقات الاخبارعلى أوساطهم. ويخاطرون بأنفسهم مع احتياطهم، ويحملون كتباً وطيوراً تكتب اليهم ويكتبون الينا على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها.

٣٦٣- المرجع السابق، ص ١٥٢.

٣٦٤- المقتطف، مجلد ٢٧، ج١٢، ص ١١٥٣.

- غنام عبد الغني: الحمام وتربيته ص ٩٩.

٣٦٥- غنام، عبد الغني:الحمام وتربيته، ص ٩٩.

- المقتطف، مجلد٢٧، ج١٢، ص ١١٥٣.

«وكان في العسكر من اتخذ حماماً يطوف علي خيمته، وينزل في منزلته وعمل بها برجاً من خشب وهوادي من قصب، ودرج الحمام على الطيران من بعد، ولقد قيل:« ما لهذا الولع بما لا ينفع حتي جاءت نوبة عكا فنفعت وأتت بالكتب سارحة شارحة. وكنا نطلبها ليلاً ونهاراً حتى قل وجودها لكثرة الارسال»[٢٦٦].

كما اعتنى الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م. اعتناءاً زائداً بالحمام، حتى صار يكتب المحاضر بأنساب الطير كما فعل الفاطميون من قبل[٢٦٧].

كما ان بعض المولعين من الافرنج اهتموا به، حتى أن العرب ايضاً كانوا يتخابرون بالزاجل في جزيرتهم فلما استولوا على الاندلس نقلوا اليها كيفية استخدام الزاجل على النحو الذي كانوا يستعملونه في بلادهم الاصلية وأدخلوا الى الاندلس نوعاً من الزاجل غاية في القوة فزاوجه الاسبان مع حمامها الفلمنك عندما استولوا عليها[٢٦٨].

ومن طريف ما يذكر عن الحمام الزاجل ان الخليفة العزيز، ثاني خلفاء الفاطميين بمصر، ذكر لوزيره يعقوب بن كلس انه لم يأكل القراصية البعلبكية، وانه يحب ان يراها ويأكلها، وكان بدمشق حمام من مصر وبمصر حمام من دمشق، فكتب الوزير لنائبه بطاقة يأمر فيها من هو تحت أمره بدميشق ان يجمع ما بها من الحمام المصري[٢٦٩]

وعرفه أسماء أصحابها، وأمره باحضارها اليه جميعها، وان يضع واحدة من القراصية في كاغدة ويشدها على كل طائر منها. ويسرحها في يوم واحد. فلم يمض الا ثلاثة أيام أو أربعة أيام، حتى وصلت الحمائم كلها، وعلى جناحها القراصيا. ولم يتأخر منها الا نحو عشر. فاستخرج القراصيا من الكواغد وجعلها في طبق من ذهب، وغطاها وقدمها الى الخليفة وقال له:«لقد أحضرنا أمامك القراصيا، فان لم يغني هذا

٣٦٧- ٢٦٦-المرجع السابق، ص ٩٩.

٣٦٨- المقتطف، مجلد ٢٧ ج١٢، ص ١٥٥.

٣٦٩- القلقشندي:صبح الاعشى،ج ١٤، ص ٣٩١.

القدر احضرنا غيره »[٣٧٠].

وعرف أيضاً انه كان للوزير يعقوب بن كلس حمام يسابق به. فاتفق انه سابق بها طيور الخليفة العزيز بالله. ففاز حمامه، فعظم ذلك على الخليفة، ووجد أعداء الوزير من ذلك سبيلاً للطعن والغدر به. بانه يختار الجيد لنفسه من كل شيء، وبلغ ذلك العزيز فكتب الى الخليفة:

«قل لأمير المؤمنين الذي　　له العلا والكوكب الثاقب

طائرك السابق لكنــــه　　جاء وفي خدمته حاجب[٣٧١].

كما ان الوزير البازوري المغربي، وزير المستنصر بالله الفاطمي وجه الحمام من تونس ، من افريقيا من بلاد المغرب فجاء الى مصر، والعهدة عليه في ذلك[٣٧٢].

وفي مقدرة الحمام الزاجل ان يطير مسافات بعيدة جداً دون ان يتعب، ويتعرف على مأواه الاصلي في وطنه بسهولة بمجرد اطلاقه في الغربة، وينطلق برسالة صاحبه ويطير حتى يصل بها.وقد أشار الجاحظ في كتابه"الحيوان" الى ذلك« وللحمام من حسن الاهتداء وجودة الاستدلال، وثبات الحفظ والذكر، وقوة النزاع الى أربابه، والالف لوطنه »[٣٧٣].

أما كيفية التراسل بالحمام الزاجل، فكانت الرسالة تشد تحت جناح الحمامة او الى ذيلها، وجرت العادة لزيادة الاطمئنان والثقة ان تكتب الرسالة من صورتين، ترسلان مع حمامتين، تطلق احداها بعد ساعتين من اطلاق الاخرى حتى اذا ضلت احداهما او قتلت وافترسها الجوارح، أمكن الاعتماد على الاخرى وجرت العادة كذلك الا يطلق الحمام في الجو الماطر ولا يطلق قبل تغذيته الغذاء الكافي[٣٧٤].

٣٧٠- غنام، عبد الغني: الحمام وتربيته، ص ٩٨.

- مجلة الكويت العدد ٥٩، ذي القعدة ١٤٠٧هـ/يوليو ١٩٨٧م.

٣٧١- غنام، عبد الغني: الحمام وترتيبه، ص ٩٧.

٣٧٢- القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٢٩١..

٣٧٣-الجاحظ: الحيوان، ج ٣، ص ٢١٤.

٣٧٤-المقريزي: الخطط ، ج ٢، ص ٢٣١.

أما اثناء الحرب فقد اتبع الاقدمون طريقة وضع الرسالة ضمن كيس من الجلد الرقيق او ضمن قارورة من الورق الذهبي، لحفظ الرسالة من العوارض الجوية وتعلق بعنق الحمامة او رجلها. فعند حدوث أمر ذي أهمية يعلق السلطان الخبر بعنق الحمامة. ويضع ضمن القارورة رسالة أخرى من الورق الرقيق اسماها «ورق البطاق» ثم يوضع على ظهرها وقت سفر الحمامة بالتدقيق التام، ويقيد حارس كل مركز عند وصول الحمامة الى البرج ساعة وصولها اليه وذهابها منه، على ظهرالرسالة التي تحملها الحمامة[٣٧٥]

وقد ميّز حمام البريد السلطاني بعلامات خاصة كبصم منقاره ببصمات خاصة، أو قص ريشه بطرق معروفة، فاذا وصل الى قلعة الجبل، ببطاقة تولى السلطان قطعها بنفسه[٣٧٦].

وامتازت رسائل الحمام بالايجاز فيستغنى فيها عن البسملة والمقدمات الطويلة والالقاب الكثيرة مما كانت تحفل به الرسائل في ذلك العصر. ويكتفي فقط بذكر التاريخ والساعة وايراد المطلوب صيغة مقتضبة. ولا بد ان يكتب سرح الطائر، ورفيقه، حتى ان تأخر الواحد ترقب حضوره او يطلب، ولا يعمل للبطائق هامش ولا تجمل ولا تعنون الا اذا كانت منقولة، مثل ان تسمع الى السلطان من مكان بعيد فيكتب لها عنوان لطيف حتى لا يفتحها احد[٣٧٧]..

وكانت الطريقة المتبعة اذا انطلق الطائر من مركز قلعة الجبل بمصر الى مركز الاسكندرية، فلا يسرح الا من منية عقبة بالجيزة وهي أول المراكز، واذا سرح الى الشرقية لا يطلق الا من مسجد تبر خارج القاهرة واذا سرح الى دمياط لا يسرح الا من ناحية يسوس وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من موظفي ادارة الحمام بالقاهرة وكذلك كانت العادة في كل مملكة ان يتوخى الابعاد في التسريح عن مستقر الحمام والقصد بذلك انها لا ترجع الى أبراجها من قريب[٣٧٨].

٣٧٥- غنام، عبد الغني: الحمام وتربيته، ص ١٠٠.

٣٧٦-المقريزي: الخطط ج ٢، ص ٢٣١.

٣٧٧- المصدرنفسه ، ص ٢٣١.

- غنام عبد الغني: الحمام وتربيته، ص ١٠٠.

٣٧٨-المقريزي:الخطط، ج٢، ص ٢٣١.

ونستطيع القول بلا شك ان مصر كانت سباقة الى استخدامه بنظام متقطع النظير من حيث الدقة والاحكام. خصوصاً بعد ان آلت اليها زعامة الامم الشرقية عقب وفاة نور الدين الذي يعود اليه الفضل الاكبر في تنسيق وتنظيم هذا النوع من البريد. اذ وصل التراسل بالحمام الزاجل في عهده الى مرتبة البريد الاعتيادي بنوع مستوفي النظام من مراكز ومستخدمين. حتى قيل انه نظم خطاً لنقل البريد بين مصر والشام واعدّ له أبراجاً بالقلعة وأقام لها مراقبين وحراساً يراقبون وصول الحمام نهاراً وليلاً خوفا من ان يمر عليهم وهم عنه غافلون[٣٧٩].

وفي الفترة التي سيطر فيها الصليبيون على تلك المنطقة كانت عادة استعمال الحمام الزاجل في ارسال الأخبار مستعملة انذاك.

وخلافاً لما حصل لبريد الخيل نرى ان بريد الحمام لم ينقطع الا فترة قصيرة عند دخول المغول وقبل سنتين من وصول بيبرس الى الحكم. وهناك كتابات من فترات مختلفة ما بين الخلافة العباسية وبداية عهد بيبرس تشهد باستعمال الحمام الزاجل[٣٨٠].

ولا بد من الاعتراف ان بيبرس استطاع تحويل طريقة اتصال بقيت الى عهده، تعتمد المصادفة والبساطة الى جهاز منظم للاخبار في خدمة السلطان. وبفضل توجيهاته، أقيمت في قلعة الجبل بالقاهرة، ابراج للحمام تتصل بالابراج الموجودة خارج العاصمة لكي توصل الاخبار الى الجهة المقصودة الى مصر العليا التي لا يذكرها "التعريف" و"الصبح"، لكن ترد في "زبدة كشف الممالك"، الى الاسكندرية، الى دمياط، والى مراكز النيابات الشامية. وتشكل هذه الشبكة في مبدئها كما في توزيعها الجغرافي استلحاقاً لنظام البريد لكنها كانت أكمل من بريد الخيل لانها كانت تصل الى مناطق لم يصلها البريد البري[٣٨١].

٣٧٩-الظاهري: زبدة كشف الممالك ، ص ١١٧.

٣٨٠- Sauvaget: Poste, P:36, NO 155.

٣٨١- Ibid, p:37.

وقد اتصف بريد الحمام بكونه مؤسسة سلطانية كما كانت الحال بالنسبة الى البريد، فقد كان على علاقة وثيقة لحماية الحدود ومرتبطاً بشخص السلطان لكونه القائد الاعلى للجيش. وقد اقتصر استعمال بريد الحمام على ارسال الانباء ذات الصفة العسكرية وعلى الانباء السياسية الهامة[٣٨٢].

وقد كان لرسالة الحمام طابعاً خاصاً فلا حاشية ولا بسملة للبركة، لانه من الممكن ان تقع في ايدي اعداء الاسلام، ولا تؤرخ بالنسبة الى السنة الجارية بل فقط باليوم والشهر. وينبغي ان يكثر من نعوت المخاطب فيها. وان يقتصر الكلام فلا يكتب الا الجوهر، وجرت العادة ان يكتب وصف الطائر في الرسالة وتختم الرسالة حسبنا الله ونعم الوكيل. وذلك حفظاً لها[٣٨٣].

ويذكر ان Sauvaget انه لا "التعريف" ولا "صبح الاعشى" يذكر ان اللائحة الكاملة لمراكز الحمام. فبعد ذكر بعض المراكز في فلسطين يتجه الكاتبان الى ذكر خطين رئيسين مهمين بالنسبة الى سلامة الدولة المملوكية[٣٨٤].

خط القاهرة الرحبة، وخط القاهرة البيرة، وهذان الخطان كانا مسؤولين عن ايفاد اخبار تحركات المغول، واما المراكز الموجودة في فلسطين فكانت اهميتها في كونها مراكز تجمع لفرق الإشراف المسؤولة عن حماية الشاطيء اكثر من كونها مراكز ادارية[٣٨٥].

وقد كانت المسافة بين مراكز الحمائم اكبر من المسافة بين مراكز بريد الخيل. فالمسافة بين مركزين او ثلاثة من بريد الخيل تؤلف مرحلة من مراحل بريد الحمام. وجرت العادة ان تتبع رسائل الحمام رسائل على بريد الخيل لتأكيد ما كتب تحت أجنحة الطير[٣٨٦].

٣٨٢- Ibid, P:39.

٣٨٣- Ibid,P: 37, NO163.

٣٨٤- Ibid, P:35, NO 163.

٣٨٥- Ibid, P: 37 ,NO 163.

٣٨٦- Ibid, P: 37, NO 165-166.

وسنة ٦٨٩هـ/ وصلت انباء استسلام عكا الى دمشق بواسطة الحمام الزاجل[٢٨٧].

وكما كانت الحال بالنسبة الى بريد الخيل فقد تطور بريد الحمام لنفس الاسباب ونتيجة لطابعه العسكري، فكلما اتسعت الحدود وتغيرت الوضعية السياسية اتسعت شبكة بريد الحمام ووصلت الى جبال طوروس والمناطق السورية اللبنانية التي كانت في أيدي الصليبيين[٢٨٨].

ولا يذكر "التعريف" و "صبح الاعشى" المراكز السورية اللبنانية، دمشق،صيدا، دمشق بيروت، دمشق طرابلس، وقد ظل البريد الجوي يعمل حتى ما بعد ٧٥٣هـ/١٣٥٢م.، ففي تلك السنة جرى التفتيش عن احد الامراء الهاربين وقد أبلغ نواب المناطق والسكان بذلك بواسطة رسائل الحمام[٢٨٩].

وعند كتابة "القلقشندي" "لصبح الاعشى" كان بريد الحمام قد زال[٢٩٠].

وقد تأخر احتضار البريد كنظام كلي بعض الشيء عن بريد الحمام[٢٩١].

وأخيراً نستطيع الاعتراف بان الحمام الزاجل هو ضرب من الحمام استخدمه الانسان منذ أقدم الازمنة في نقل الرسائل وقضاء بعض الحاجات في الحروب والاخطار الكبيرة. وهو أشد أنواع الحمام ودلعة واكثره اخلاصاً في خدمة الانسان وكثيراً ما بذل حياته في اثناء القيام بتلك الخدمة.

ولهذا اعترفت له بعض الدول بالفضل ومنحته بعض الحكومات أوسمة الفخر.

٣٨٧- Ibid, Chronique de Damas, P: 6.

٣٨٨- Ibid, P: 77.

٣٨٩- Ibid, P: 77, NO 302.

٣٩٠-القلقشندي:صبح الاعشى، ج١٤، ص ٢٩٤.

٣٩١- Demombynes , Caudeferoy: La syrie à l'époque des Mamlouks,P: 254,.NO 3.

وسائل المخابرة بالمشاعل والطبول والماء:

أ- المشاعل:

ان استخدام النار في التخاطب ليس من الامور المستحدثة من قبل الدولة الاسلامية بل هو قديم ومعروف من غابر العصور.

وفي القرآن الكريم رواية تاريخية تشير الى ان الله أراد ان يخاطب موسى عن طريق النار، فتجلى نوره على الجبل.. فلما رأى موسى النار على بعد ، توقع الخبر من ورائها وتلمس أسباب النجاة. فلما آتاها خاطبه الله عز وجل وطمأنه بالسلامة والخلاص كما ورد في القرآن الكريم:

& وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً، لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى&.[٢٩٢]

وقد زاد تعظيم النار عند العرب ايضاً، فالنار عند العرب تعددت لهجاتها وتباينت مصطلحاتها ورموزها. من ذلك نار الاستمطار حيث كانوا يوقدونها، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيبها السلع والعشر ثم صعدوا بها جبل وعر وأشعلوا فيها النيران وضجوا بالدعاء والتضرع[٢٩٣].

أما نار التحالف والحلف فهي التي توقد عند التحالف، فلا يعقدون حلفهم الا عندها، فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الى الله عز وجل بالحرمان والمنع من منافعها، على الذي ينقض عهد الحلف، ويخيس بالعهد، وكل قوم يذكرون جبلهم، والمشهور من جبالهم، وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم. ويهولون على من يخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها، والتخويف من حرمان منفعتها[٢٩٤].

وفي حالة الحرب هناك نار أخرى اذا أرادوا حرباً، وتوقعوا جيشاً عظيماً، واذا

٣٩٢-قرآن كريم: سورة طه، ٢٠-٩-١٠.

٣٩٣- الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص ٤٦٦.

٣٩٤-المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٧٠-٤٧١ .

أرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم ناراً، ليبلغ الخبر أصحابهم[٣٩٥] .

كما أشار الطبري الى ان الحارث بن عمرو الكندي ملك الحيرة ، خرج بصحبة تبع ملك اليمن لفتح فارس ووصلا حتي الصين وجعلا النار فيما بينهما، فاذا حدَثَ حدثٌ أوقد أحدهما النار بالليل، فأتى الخبر في ليلة وآية ما كان بينهما، ان اشعال نار واحدة يخالف المعنى في حالة اشعال نارين أو ثلاثة، وهكذا تغلباً على البعد المكاني فيما بينهما، وكانا على اتصال دائم بواسطة النار[٣٩٦].

وما زال الناس كافة والأمم قاطبة- حتى جاد الله بالحق. مولعين بتعظيم النار حتى ضل كثير من الناس لافراطهم فيها. انهم يعبدونها في صورة الشمس وقال الله تعالي في ذلك:

& وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله &.[٣٩٧]

ويزعم أهل الكتاب ان الله تعالى أوصاهم بها وقال لا تطفئوا النيران من بيوتي فلذلك، لا تجد الكنائس والبيع وبيوت العبادات الا وهي لا تخلو من نار أبداً ليلاً ولا نهاراً، حتي اتخذت للنيران البيوت والسدنة ووقفوا عليها الغلات الكثيرة، وانتشرت هذه البيوت على وجه الخصوص في دولة فارس[٣٩٨] .

ثم يتقدم الزمن بالنار فتحظى بنصيب وافر من العناية في ظل الدولة الاسلامية. فيوضع نظام لاشعالها ويخصّص عمال لمراقبتها وترصد لها الاموال في بيت المال، وعرف المؤرخون الاماكن التي تشعل فيها النار بالمناور، وهي كما ذكرت الرواية العربية مواضع رفع النار في الليل والدخان في النهار[٣٩٩].

٣٩٥-المصدر السابق ، ج٤، ص ٤٧٤.

٣٩٦-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ٩٧.

٣٩٧-قرآن كريم:سورة النمل، ٢٧-٢٤.

٣٩٨-الجاحظ:الحيوان، ج٤، ص ٤٧٨-٤٧٩.

٣٩٩-المقدسي:احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٤٤٤.

وذلك ان مملكة ايران لما أصبحت بيد هولاكو من التتار ووقعت الحروب بينهم وبين أهل هذه المملكة صار من جملة احتياط أهل هذه المملكة ان جعلوا أماكن مرتفعة من رؤوس الجبال توقد فيها النار ليلاً ويثار الدخان نهاراً للاعلام بحركة التتار إذا قصدوا دخول البلاد لحرب أو إغارة.وهذه المناور تارة تكون على رؤوس الجبال وتارة تكون في أبنية عالية ومواضعها معروفة"[٤٠٠].

وتحدث ايضاً المقدسي عن مناور الساحل الشامي،واتخاذها وسيلة للتفاهم، بين الروم والمسلمين عند افتداء أسرى الآخرين، حيث وجدت على هذا الساحل رباطات على البحر يقع بها النفير، وتقلع اليها شلنديات الروم وشوانيهم، معهم اسارى المسلمين للبيع كل ثلاثة بمائة دينار، وفي كل رباط قوم يعرفون لسانهم، ويذهبون اليهم في الرسالات، ويحمل اليهم أصناف الاطعمة وقد ضج بالنفير لما ظهرت مراكبهم، فان كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط، وان كان نهار دخنوا. ومن كل رباط الى القصبة هذه عدة منابر شاهقة قد رتب فيها اقوام فتوقد المنارة التي للرباط ثم التي تليها، ثم الأخرى فلا يكون ساعة الا وقد انقر بالقصبة وضرب الطبل على المنارة ونودي الى ذلك الرباط"[٤٠١].

وخرج الناس بالسلاح والقوة واجتمع احداث الرساتيق ثم يكون الفداء فرجل يشتري رجلا، وآخر يطرح درهماً أو خاتماً حتى يشتري ما معهم. ورباطات هذه الكورة التي يقع بهن الفداء غزة ميماس عسقلان أزدود يبنا يافة أرسوف"[٤٠٢].

أما القلقشندي فيرجع هذه المناور الى ملوك الهند، حيث ان بعض الكتب ذكرت ان ببلادهم مناور على جبال مرتفعة، ترى النار فيها على بعد أكثر من هذه. على ان مرتبها بهذه المملكة أولاً أتى بحكمة ملوكية لا تساوي مقداراً، اذ قد ترقى في سرعة بلوغ الاخبار الى الغاية القصوى، وذلك ان البريد يأتي من سرعة الخبر بما لم يأت به

٤٠٠- العمري : التعريف، ص ٢٠٠.

- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤ ، ص ٣٩٨.

٤٠١-٤٠٢-المقدسي:احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم،ص ١٧٧.

غيره، والحمام يأتي من الخبر بما هو أسرع في البريد، والمناورة تأتي من الخبر بما هو أسرع من الحمام. وناهيك ان يظهر عنوان الخبر في الفرات بمصر في مسافة يوم وليلة[٤٠٣].

كما ان استعمال النار في الاشارة كوسيلة من وسائل المراسلة، لم يكن معروفاً عند المسلمين الا في البلاد التي كانت تابعة للدولة البيزنطية التي كانت تستعملها من قبل. وأما في سائر بلاد الاسلام فانها لم تستعمل[٤٠٤].

ولذلك نرى حصوناً كثيرة على قنن الجبال باسبانيا هي من بناء العرب الاندلسيين وانه كانت لهم أبراج كثيرة منتظمة بليلة الساحل الافرنسي والايطالي اختاروا لها تلال الجبال لتوقد بها النيران ليلاً علي حسب عادة العرب الذين كانوا يشبون هذه النيران ويتبادلون منها الاشارات النارية لأجل توحيد حركتهم إيذاناً بوقوع الحرب وطلباً للمدد وجمعاً للقوة[٤٠٥].

ونستطيع القول ان عادة ايقاد النيران في الابراج ليست رومية او تترية كما يتوهم البعض، وانما هي في الغالب عادة عربية تتفق مع ما كان عليه حال العرب في جاهليتهم الاولى، وان كل ما حدث في العصر الاسلامي انما هو ادخال كثير من التحسينات على نظام المشاعل وغدت تستخدم استخداماً حسناً في القرن الثالث الهجري على الساحل الافريقي الشمالي، حيث كان العرب في أوائل الفتح الاسلامي قد نشروا هذا النمط من الابراج النارية من الاسكندرية الى طنجة، فكانت اذا وقعت واقعة ذات بال، أوقدت النيران من طنجة ولا تزال من برج الى برج حتي يبلغ ذلك الاسكندرية في الليلة الواحدة[٤٠٦].

٤٠٣-العمري: التعريف،ص ٢٠١.

- القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، ص ٤٠٠.

٤٠٤ -متز،آدم: الحضارة الاسلامية فيالقرن الرابع هـ ج ٢، ص ٤٢٢.

٤٠٥-ارسلان، شكيب : :تاريخ غزوات العرب، ص ٢٣٧.

٤٠٦-المرجع نفسه، ص ٢٣٧-٢٣٨.

وكثيراً ما لعبت النار دورها في الحروب بين الجيوش المتقاتلة، فكان اشعال إحداها لها علامة عن تحرك قواته نحو الاخير فيعد الآخر عدته للقائه. من ذلك ، ان يزيد بن المهلب عندما سيّره سليمان بن عبد الملك لمقاتلة الاتراك بطبرستان، أحرق يزيد كل حطب عنده حتى اضطرمت النيران، ونظر العدو الى النار فهالهم وحاملوا للقتال آمنين خلفهم، فناشبهم يزيد الي العصر، واذا بالتكبير من ورائهم فهربوا الي حصنهم واتبعهم المسلمون فأعطوا ما بأيديهم ونزلوا على حكم يزيد[٤٠٧].

فالنار في تلك الحالة كانت كالعيون التي تبث في صفوف الاعداء وتوهمهم ان خصمهم ضعيف في ناحية معينة، وهو في الواقع قوي فيها، فيقل اهتمامهم بها وتدور عليهم دائرة السوء منها وتحل بهم الهزيمة.

ومن طرق المخابرة بناء المناظر أو المنائر كالابراج العالية على المرتفعات ونقل الاشارات عليها باشعال النار أو نحوه، فينتقل الخبر من منظرة الى منظرة حتى تبلغ المكان المطلوب[٤٠٨].

وكان ذلك معروفاً عند اليونان وغيرهم، واستخدمه الحجاج بن يوسف في الاسلام فاتخذ المناظر بينه وبين قزوين. وكان اذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر ان كان نهاراً، وان كان ليلاً اشعلوا ناراً، وكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط فيصل الخبر في وقت قصير[٤٠٩].

وفي العهد الصليبي بقيت معظم قلاع الامراء الصليبيين على مراكز عالية تشرف على مسافات بعيدة من السهول والاودية المحيطة بها. إذا أشعلت النار على أحد الابراج كان بالامكان ايفاد الاخبار عن طريق النيران، الى مسافات بعيدة. ففي سنة ١١٨٣م. تمكنت قلعة الكرك الموجودة على بعد ٨٠ كلم من القدس ان ترسل الاشارات بأنها محاصرة وقد أجيب عليها بواسطة نار مشتعلة في أعلى قلعة المدينة ثم أرسل الملك

٤٠٧-ابن خلدون:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٣، ص ١٦٠.

٤٠٨-زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي، ج١، ص ٢٤٢.

٤٠٩- المرجع نفسه، ج١، ص ٢٤٢.

اليها النجدة. وفي نفس الفترة كان العرب يستعملون نفس الطريقة وقد استولى نورالدين على حارم، وأخذها فأشعلت المناور طوال الليل لتكون الدليل للمساجين المسلمين الهاربين من الاراضي الصليبية[٤١٠]

أما في عهد المماليك فقد كانت هذه الوسيلة مستعملة لارسال الاخبار، كما بريد الخيل وبريد الحمام، من أجل غاية عسكرية وهي مراقبة في البلاد للاخبار عنها. لكن كان هذا الجهاز أقل انتشاراً من بريد الخيل ومن بريد الحمام. أما الطريقة التي كانت مستعملة في المناور فكانت جهازاً تقنياً مماثلاً لجهاز بريد الخيل وبريد الحمام. وقد كان يكفي لتسيير المناور بضع رجال يجلسون في ظل صخرة أو قرب كومة شوك[٤١١].

واذا لم تكن المناور ترسل الاخبار بالسرعة التي وصفها الكتاب فاقل ما يمكن قوله هو اتصافها بالبساطة.

وقد كانت مراكز النيران معروفة حتى ان المسافرين كانوا يستدلون بها في اثناء سفرهم، وقد انتشرت من أقاصي المملكة في الرحبة والبيرة والى قلعة القاهرة. وكانت النيران المشتعلة تكوّن اشارات تعرف بواسطتها كافة تحركات العدو وأعدادهم[٤١٢].

وقد تطور جهازالمناور مع تطور الدولة المملوكية عسكرياً وادارياً ووجه كما وجه بريد الحمام الى المناطق الاكثر احتكاكاً مع العدو، جبال طوروس والشواطىء السورية اللبنانية، لكن العمل به كان بصورة موسعة على الشواطىء اكثر من الداخل اي منطقة الفرات الاوسط ، لكون المغول قد خففوا من تحركاتهم في حين بقي الصليبيون يهددون من قبرص[٤١٣]

٤١٠- Des Champs Paul P:97.

٤١١- Sauvaget: Poste, P: 39-40.

٤١٢- Demombynes, Gaudefroy, : La syrie à l'époque des Mamlouks, P: 258.

- القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، ص ٣٩٨.

٤١٣- Sauvaget: Poste, P: 77.

لكن هذه المناور اندثرت، بزوال المسبب لوجودها، فعندما تم الصلح بين المغول والمماليك وأمنت الحدود بين الفريقين لم يعد أحد يهتم بهذه الوسائل فأصبحت المناور اثاراً ورسوم قد عفت وجسوم أكلت شعل النار أرواحها فانطفأت[٤١٤].

ولا نعرف شيئاً عن امتداد المناور نحو الشواطىء السورية عبر المؤلفات التقنية لكن صالح بن يحيى يذكر ذلك ويعدد ايضاً اسماء المراكز بين دمشق وبيروت. وقد أرسل بواسطة المناور في ساعات قليلة خبر الهجوم الفرنجي على بيروت.

وقد فقد نظام المناور أهميته بين غزة والرحبة، ذلك لانه لم يتكيف مع التغييرات المستمرة لمراكز بريد الخيل. فقد بقيت بعض المناور تعمل مع مراكز لبريد الخيل مهجورة تماما[٤١٥].

٤١٤- القلقشندي: صبح الاعشى ، ج١٤، ص ٣٩٩.

- Demombynes, Gaudefroy: La syrie à l'époque des Mamlouks, P: 261.

٤١٥- Sauvaget: Poste, P: 77, No 303.

ب- <u>الطبول:</u>

المعروف ان الملوك والأمراء كانوا يتخذون من قرع الطبول والنفخ في الأبواق دليلاً على ما ينتحلونه من مذاهب البذخ والترف، وتنويهاً بالملك وأهله. فلا تعقد الالوية الا ويتقدمها الطبول والابواق وعلل ابن خلدون السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب، فان الاصوات الهائلة تحدث روعة وتأثيراً في النفوس"[٤١٦].

قد يكون كلام المؤرخ ابن خلدون صحيحاً لبعض الاعتبارات لان النفس يدركها الفرح والطرب عند سماع النغم والاصوات الجميلة، كما يدركها الفزع والرعب عند سماع الاصوات المزعجة المحطِّمة للاعصاب . وقد ورد في القرآن الكريم ، في الآية الكريمة& **واذا نقرفي الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**&"[٤١٧] .

ولكن ليس من المعروف تماماً ان الطبول اتخذت في العصور الاسلامية السابقة كوسيلة من وسائل المراسلة ونقل الاخبار. ففي الجهات النائية عن عواصم الخلافة الاسلامية، حيث يتعذر انشاء نظام البريد العادي، لوحشة في الطريق، او لاقتصاد في النفقات، أو لكثرة في الدروب والجبال ووعورتها، فيستعاض عن ذلك بنقل الخبر عن طريق دق الطبول، كما كان الحال قديماً في مملكة الهند، فبين دلى وقبة الاسلام اللتين هما قاعدتا المملكة، طبول مرتبة في أمكنة خاصة، فحيثما كان في مدينة وفتح باب الاخرى أو أغلق، يدق الطبل فاذا سمعه ما يجاوره دق فيعلم خبر فتح المدينة وفتح باب الاخرى وغلقه"[٤١٨].

واستخدمت الطبول ايضاً في العمليات العسكرية، حيث ان الافشين قائد الخليفة المعتصم تعذر عليه الاتصال بجنده في ميدان القتال عند محاربته بابك، وذلك لكثرة الدروب وتشعّب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع والكثيرة الالتواء، فاستعان الافشين بالطبول لاعلان قواته بحركات سيره ووقوفه. وقد شغلت ثورة

٤١٦-ابن خلدون: <u>مقدمة</u>، ص ٢٥٨.

٤١٧-قرآن كريمسورة المدثر، ٧٤-٨-٩-١٠.

٤١٨-القلقشندي، <u>صبح الاعشى</u>»، ج ٥، ص ٩٨.

بابك الخرمي دولة بني العباس زمن المأمون لانصراف حكومته الى المسائل الدينية والحركات الفكرية، وزمن المعتصم لانشغال رجاله بحرب الروم[٤١٩] .

ولكن المعتصم كان أقدر على المكائد العسكرية والعمليات الحربية مما تصوره بابك، اذ سرعان ما أوقف حملاته نحو بيزنطة، وسرعان ما وزع نظام البريد بأنواعه المختلفة من بري وجوي ومشاعل وطبول، وسخّره في تنسيق عملياته الاستراتيجية وتجييش جنوده من عرب وعجم وترك في الاحاطة بهذا الثائر المتحصّن بالجبال والوهاد. والمعروف ان عمال البريد على اختلاف رتبهم وتنوّع أعمالهم في كل تلك المناورات العسكرية هم حلقة الاتصال بين المعتصم في مدينة سامراء، وبين رئيس هيئة أركان حربه في ميدان القتال وهو الافشين، الذي تقدم قليلاً قليلاً الى حصن البذ، وهناك أحكم خططه ودبّر أمره وأمر رجاله بضرب الطبل نصف الليل، ويخرج بالشمع والنفاطات الى باب الخندق وبالركوب ليلاً للحراسة خوف البيات، وقد عرف كل انسان منهم كردوسه، من كان في الميمنة ومن كان في الميسرة، فيخرج الناس فيقفون في مواقفهم ومواضعهم، والافشين يحمل أعلاماً سوداء كباراً عددها اثني عشر علماً، يحملها على البغال، ولم يكنِ يحملها على الخيل لئلا تزعزع، يحملها على اثني عشر بغلاً، وبلغ عدد طبوله الكبار واحداً وعشرين طبلاً ، وكانت الاعلام الصغار نحواً من خمسماية علم، فيقف أصحابه كل فرق على مرتبتهم من ربع الليل حتي اذا طلع الفجر ركب الافشين من مضربه، ثم يأمر بضرب الطبول، ويسير زحفاً. وكانت علامة السير ضرب الطبل، فاذا أراد ان يقف أمسك عن ضرب الطبل[٤٢٠]

ولما أدرك بابك انه واقع لا محالة في شرك الافشين، هرب الى الغرب صوب حلفائه من البيزنطيين والارمنيين فتبعه افشين بعيونه وجواسيسه فألقوه عند ملوك أرمينية وقبض عليه. وطار خبر القبض عليه الى المعتصم على جناح الحمام كما ورد في السابق.

٤١٩-ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٣ ، ص ٥٤٣-٥٤٤.

٤٢٠-الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩، ص ٣١-٣٢.

وبذلك تكون أدوات البريد من خيول وحمام وطبول ومشاعل وسكك وخرائط وعمال قد ساعدت الدولة العباسية على التخلص من أخطر حركة تعرضت لها الدولة منذ قيامها فشغلتها زهاء العشرين عاماً.

ج- البريد المائي:

ان استخدام الماء في التراسل نادراً. حتى ان المصادر العربية التي أشارت اليه نسبت استخدامه الى بعض الامم القديمة. وطريقته ان تكتب ورقة تعلق بقصبة وتغرس القصبة في باقة حشيش وتلقى في الماء، فيعوم الحشيش ولا يزال جارياً بمجرى النهر حتى يراه المرسل اليه"[421].

ويغلب على الظن ان الدولة الاسلامية لم تهمل هذا النوع من التراسل خصوصاً البحري. فالتاريخ ينبىء بأن العرب أمة بدوية لا عهد لها بالبحر، وان الخليفة عمر كان يخشى عليها غائلة البحر. فلما تجلت الحاجة الى اسطول في بحر الشرق، أذن عثمان لمعاوية بانشائه على ان تكون الخدمة فيه اختيارية بحتة، وبذلك تكوّنت نواة الاسطول العربي في المياه الشامية والمصرية، وبفضله فتح معاوية رودس وغزا كريت وقبرص وجزيرة أرواد، وكان أول من غزا صقلية ولم تزل تغزى بعد ذلك حتى فتحها بنو الاغلب"[422].

وكانت الغزوات الاسلامية البحرية في صدر الاسلام موجهة أكثرها الى مملكة الروم. وان العرب في غرب البحر الابيض المتوسط بعد استيلائهم على مدينة قرطاجنة. لم يفكروا في أول الامر ان يجاهدوا فيما وراء البحر، ولذلك بنوا مدينة القيروان على مسافة بعيدة من الشاطىء. فلما غزا موسى بن نصير الاندلس وهو لا يملك الا أربع سفن لا غير، أحسّ بضرورة بناء الاساطيل، فأنشأ دور الصناعة في كثير من مرافىء الاندلس، كطرطوشة وأشبيلية، وكذلك كانت للعرب مرافىء كثيرة ممتدة من جبل طارق الى طرابلس الغرب. وكان لهم في الاندلس قائد للبحر اسمه أمير الماء. ويظن أن لفظة أميرال محرّفة عنها"[423].

٤٢١-زيدان، جرجي:تاريخ التمدن الاسلامي، ج١، ص ٢٤٣-٢٤٤.

٤٢٢- ارسلان، شكيب، : :تاريخ غزوات العرب، ص ١٥١.

٤٢٣- المرجع نفسه، ص ١٠٩.

ومن هذه الموانىء تحركت غزوات المسلمين لجزر البحر الابيض المتوسط أي مينورقة وسردينيا وكورسكا، حيث لم تنقطع المعارك البحرية بين أساطيل الاسلام وأساطيل النصارى، سواء التابع منها لشرلمان فرنسا، أو لامبراطور بيزنطة وكانت الغلبة من غير شك لأساطيل العرب"[٤٢٤].

أما امارة الأغالبة في افريقيا التي كانت تابعة للخلافة العباسية في بغداد، فكان أمير القيروان مدة خلافة هارون الرشيد يتحامى سواحل مملكة شارلمان حرمة للعهد الذي كان بين هارون الرشيد والامبراطور، ولكن بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد وانقضاء عهد تبادل السفارات السياسية بين الشرق والغرب، تحولت مراسيهم، في تونس وسوسة وغيرها بؤرة قرصان تنبت منها الغارات البحرية وتجبى الاتاوات من أعداء المسلمين"[٤٢٥].

ونستطيع القول ان قوة بحرية كهذه على الصورة الخاطفة لا يمكنها ان تبسط جناحها في ربوع البحار بهذه السرعة المدهشة الا اذا كانت متكئة على بريد بحري محكم الادارة والتنظيم حتى يضمن لها سلامة خطوط تموينها الخلفية وخطوط دفاعها وتقهقرها.

٤٢٤- المرجع السابق، ص ١٣٩.

٤٢٥-المرجع نفسه، ص ١٤١.

البريد وحمل الثلج

ان الحديث عن البريد وحمل الثلج قد يدعو الى التساؤل، ما علاقة حمل الثلج بالبريد؟ وهل كان للثلج دوراً هاماً في نقل البريد؟ الى غير ذلك من التساؤلات.

ان ادارة البريد المملوكي قد وضعت ترتيبات لحمل الثلج من دمشق الى القاهرة لتبريد الماء في زمن الحر. وذلك من أجل ترف السلطان بصورة أساسية، وقد ألحقها بالبريد الناصر محمد منذ سنة ١٣١٠م. وقد وضعت هذه المؤسسة في خدمة شخص السلطان مثلها مثل مؤسسة البريد[٤٢٦].

ومهنة خزن الثلج مهنة قديمة ومعروفة في دمشق. ولغاية الان لم تتغير طريقة حفظه والتي كانت مستعملة أيام المماليك. فقد كان رجال من حلبون في سوريا يدكون الثلج في مغاور طبيعية ويبدأ ببيعه منذ أيار. أما في لبنان فقد وجد لهذه الغاية مبانٍ متينة مقبّبة ومطمورة جزئياً في منحدرات الجبال. ومن فتحات في سقف هذه المباني يقوم العمال بدك الثلج فيه، وعندما يمتلىء هذا المخزن تغلق الفتحة ولا تفتح قبل شهر أيار[٤٢٧].

وعندما أوجد بيبرس جهاز البريد لم يكن لنقل الثلج أية علاقة به، وقد كان جهازاً مستقلاً غايته نقل الثلج من دمشق الى القاهرة من أجل تبريد شرابات السلطان. وكان نقله يتم بواسطة المراكب البحرية. لكن ما ان تم بناء خانات القوافل على طول طرقات البريد حتي أصبحت هذه صالحة لسير القوافل عليها. فأقيمت محطات للابل على طول الطريق داخل خانات البريد. وكان كل اسطبل يستطيع استيعاب ستة جمال، خمسة لنقل الثلج وواحد للجمال. وكانت المسافات بين هذه المحطات أطول من مسافات البريد. فكل مرحلة من مراحل نقل الثلج تساوي مرحلتين من مراحل بريد الخيل. وقد أقيمت هذه المحطات داخل الخانات لان المراكز البريدية كانت عاجزة عن احتمال هذا العدد من الابل مع حمولتها. وكانت هذه الابل مرتبطة

٤٢٦- Sauvaget: Poste, P: 78.

٤٢٧- Ibid, P: 78, NO 306.

بنيابة الشام داخل المراكز الشامية الممتدة حتى العريش ، ما عدا جينين المتعلقة بصفد ومن الورّادة الى قلعة القاهرة تقع مسؤولية العناية بالابل وشرائها على عاتق الخزينة السلطانية[٤٢٨].

ولا تبقى الابل في المراكز الا في الفترة التي يتم فيها نقل الثلج من حزيران الى تشرين الثاني . وعدد النقلات الموزعة على تلك الفترة تصل الى ٧١ نقلة، وقد ازداد العدد لاحقاً[٤٢٩].

وقد ذكر في "التعريف" وفي" الصبح" ان عدد المراكب المعدة لنقل الثلج كان ثلاثة في عهد السلطان بيبرس، وازداد هذا العدد في أيام الناصر محمد خلال سلطته الثالثة حتى أصبح أحد عشر مركباً. ثم خفّ تدريجياً هذا العدد الى سبعة وكانت المراكب تفرض على دمشق ولا يطلب من طرابلس الا المساعدة عند الضرورة. وقد جرت العادة ان يسافر مع المراكب ثلاجين لمداراتها، ثم يعود هؤلاء الى نيابة الشام بواسطة بريد الخيل[٤٣٠].

وعندما يصل الثلج الى القلعة المنصورة ، ان على طريق البر أو عن طريق البحر يقومون بخزنه في الشرانجاناه السلطانية. والواصلون بالمراكب في البحر يعودون على البريد في البر وينقل، من الثلج في البر صنف أنظف وأنقى مما ينقل في البحر، ويجهز مع كل نقلة بريدي بيده تذكرة ومعه ثلاجون خبراء بحمله ومداراته طول الطريق وهو خاص بمشروب السلطان، والمرصد لكل نقلة خمسة أحمال والمرصد في كل مركز ستة، ليكون أحدهم فضلة. وعدة نقلاته أو ان الثلج إحدى وسبعين نقلة، وكان للهجن منظر يثير دهشة السوريين[٤٣١].

٤٢٨- Ibid, P: 78, NO 305.

٤٢٩-الظاهري : زبدة كشف الممالك، ص ١١٨.

- Demombynes,Gaudefroy: La syrie à l'époque des Mamlouks, P: 257.

٤٣٠-القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٣٩٦.

٤٣١-المصدر نفسه ، ج١٤، ص ٣٩٦.

- الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٧.

وأقيمت له المراكز على طول الطريق من دمشق الى القاهرة، مثلها مثل مراكز البريد، فمن دمشق الى الصمنين ، ثم منها الى طفس ثم الى اربد ، ثم الى جينين ثم الى فاقون، ثم الى لد ، ثم الى غزة ، ثم الى العريش ، ثم الى الورّادة، ثم الى المطيلب ثم الي قطيا، ثم الى الصالحية، ثم الى بلبيس ، ثم الى القلعة. وقد اعتنى بنوع خاص محمد بن قلاوون بهذه المراكز، وعّين في كل منها ست هجن، خمسة للأحمال وهجن للهجان، وهذه الهجن من الشام الى العريش على المملكة الشامية، ومن الورّادة الى القلعة هجن من المناخات السلطانية[٤٣٢].

هذا بلا ريب تطور ملموس في نظام البريد كونه يستخدم في الاشراف على تحقيق الرغبات الشخصية للمماليك بعد ان كان القصد منه أولاً المصلحة الحكومية في الدولة، ويروي لنا الفقهاء من القرن الرابع عشر ان البريد كان يستخدم لاحضار مغن مشهور الى البلاط أو مملوك أمرد[٤٣٣] .

---

٤٣٢ – العمري: التعريف، ص ١٩٩.

– القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٢٩٧.

٤٣٣ –– المقتطف،سبتمبر، ١٩٣٧، ص ٤٧.

ميزانية البريد:

ان الحديث عن ميزانية البريد شائك وغامض بسبب ندرة المادة التاريخية المتعلقة به والتي لا تبين على وجه التحقيق تفاصيل هذه التكاليف.

وهنا لا بد من الاشارة الى ما أورده ابن خرداذبه في هذا المجال: ان سكك البريد في المملكة تسعمائة وثلاثون سكة ونفقات الدواب وأثمانها وأرزاق البنادرة والفرائقيين لستة مائة الف دينار وتسعة وخمسون الفاً ومائة دينار[٤٣٤].

الا ان ابن خرداذبه لا يوضح لنا اذا كان هذا الرقم يتعلق بنفقات ديوان البريد بادارتيه المركزية والاقليمية في جميع انحاء الامبراطورية أو في اقليم الجبال حيث كان يشغل منصب صاحب البريد في تلك الناحية، أو اقليم العراق باعتباره اقليم العاصمة مما يجر علينا مشاكل كثيرة ازاء صمته وعدم تفسيره. وعلى هذا الاساس تكون مصاريف السكة الواحدة مبلغاً يناهز١٧١ ديناراً سنوياً تقريباً، وهو مبلغ غير كاف بالطبع للاحتفاظ بعدد كبير من دواب البريد واعطاء مرتبات محترمة لموظفي البريد، مما يحتمل معه لجرهم الى تقبل الرشاوى والهدايا مع ما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة على صعيد الادارة الحكومية.

ولكن الكاتب جرجي زيدان، قرر ان هذا الرقم كان خاصاً بنفقات البريد في العراق وحده. وبهذا ترتفع نفقات السكة الواحدة الى ألف دينار سنوياً، مما يفسح في المجال لدفع مرتبات عالية للموظفين والاحتفاظ بعدد مناسب من دواب البريد[٤٣٥].

أما كون موظفي البريد كانوا يعيشون من الهدايا التي كانت تقدم لهم فهو مرفوض بتقديم الدليل من النصوص التاريخية التي تثبت على ان الخلفاء انفسهم كانوا أكثر يقظة، وأكثر حرصاً على اعطاء مرتبات جديرة بالاحترام لموظفي البريد، كي يجمعون أخبارهم على الصحة.

٤٣٤- ابن خرداذبه: المسالك والممالك ، ص ١٥٣.

٤٣٥-زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الاسلامي،ج ١، ص ٢٢٥.

ويؤكد هذا الامر الرسالة التي كتبها القاضي ابو يوسف الى الخليفة هارون الرشيد والتي جاء فيها:«وينبغي ان لا يقبل خبر الا من ثقة عدل،ويجري لهم من الرزق من بيت المال وليدر عليهم وتقدم اليهم في ان لا يستروا عنك خبراً عن رعيتك ولا عن ولاتك ولا يزيدوا فيما يكتبون به عليه خبراً»[٤٣٦].

فأبو يوسف ينصح الخليفة برفع مرتبات موظفي البريد وزيادة أرزاقهم كشرط أولي لتلقف الاخبار الصحيحة منهم عما يدور في العاصمة والولايات.

وقد ورد في القائمة التي حفظها لنا الصابيء عن النفقات اليومية في أيام الخليفة المعتضد بالله أرزاق أصحاب النوبة من الجنّابيين والبصريين ومن يخدم دواب البريد الف دينار في اليوم»[٤٣٧].

لقد كلف انشاء نظام البريد والمخابرات بمحطاته المزودة بالدواب وموظفيه الامبراطورية الاسلامية باهظاً ، الا انه من ناحية أخرى كفل لها الأمن والأشراف على الادارة الحكومية في امبراطورية مترامية الاطراف.

٤٣٦- ابو يوسف: كتاب الخراج، ص ٢٠١.

- كرد، علي محمد: الاسلام والحضارة العربية، ج ٢، ص٢١٥ .

٤٣٧-الصابيء: تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، ص ١٥.

ان تاريخ اهتمام الانسانية بانشاء الطرق قديم بقدم الحضارة البشرية. غير ان مجهود الانسان في هذا السبيل ضئيل لا يقاس بمجهوداته الاخرى في نواحي نشاطه العقلي، ذلك لان انتقال الانسان في حياته البدائية الاولى كان محدوداً، وكان القصد منه الحصول على القوت فقط ، لذا كانت الطرق التي اختارها في غدوه ورواحه أسهل الطرق. وعلى مضي الزمن عرفت أصول الحضارة ووضعت معالم المدينة، وحتمت الضرورة اعتماد طرق مختارة ومنفصلة عن غيرها، وهكذا ربطت الطرق البلدان وأصبح من الميسور على زعماء القبائل والعشائر ان يتصلوا باخوانهم في الجهات الاخرى النائية، وهذا الاتصال لا يكون الا عن طريق ارسال رسلهم متتبعين تلك الطرق المحدودة المعالم.

فالطريق معناها السبيل، تذكر وتؤنث، فيقال الطريق الاعظم والطريق العظمى، وكذلك السبيل، والجمع أطرقة وطرق، قال الاعشى:

فلما جزمت به قريتــــي، تيممت أطرقة أو خليفاً

كما قال ايضاً سيبويه:« انما هو على سعة الكلام أي أهل الطريق، وقيل هنا السابلة، وكذلك القول تطرق الى الامر: ابتغى إليه طريقاً، والطريق ما بين السكتين من النخل» وقال أبو حنيفة يقال له بالفارسية" الرشوان " "[٤٣٨].

ويعنى بدراسة الطرق، سواء البرية او المائية او الجوية، الجغرافي والمؤرخ معاً. فهي تمثل للاول طرق النقل المستخدمة، كما تبدو له كمعالم قد تغلغلت في البيئة، فتفسيرها في مقدمة ما يعنيه. أما أهميتها للثاني، فلانها تمثل الوسائل الرئيسية التي تنتشر عن طريقها الجماعات والافكار ومظاهر النشاط الانساني في التجارة والرحلة والحرب. ولسنا بحاجة للتأكيد ان الطرق في صورها المتباينة، كمسالك الصيادين وطرق الماشية ودرب البغال والطريق الذي شيده المهندس في عصر الرومان أو العصور الحديثة، قد لعبت في كل مكان طوال التاريخ دوراً حيوياً لاغناء

٤٣٨-ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٢٠- ٢٢١.

المجتمع المنظم عنها[٤٣٩] ».

كما ان الظروف الجغرافية قد أتاحت أراضي واسعة يمكن ان ينتقل الناس والسلع عبرها، دون حاجة الى انشاء الطرق .خاصة في آسيا الصغرى، كما ان توزيع اليابس والماء ومظاهر السطح والانهار الملاحية والنبات الطبيعي، تحدد مسالك واسعة تمتد في صورة نطاقات ، لانها أكثر صلاحية لاستخدامها في الاتصال بين البيئات المنفصلة التي يسكنها الانسان. وان لم يكن من الضروري ان تكون أقصر هذه الطرق. ولذلك فانه يمكن القول ان المسالك "Routes" بهذا المعنى، تمييزاً لها عن الطرق، قد سبقت شق الناس لطرقهم الخاصة، سواء أكان ذلك بتشييد الطرق أو بالوسيلة الاكثر شيوعاً ، وهي ما تخلف من الآثار نتيجة للتردد بين أغراض معينة في غدوهم ورواحهم. ومن بين الطرق التي "نمت" تمييزاً لها عن تلك الطرق التي أنشأتها الفرق الرومانية أو أنشأها المهندسون المحدثون، الطرق الخضراء » المألوفة في انجلترا أو مسالك انجلترا، وهي تمثل شبكة متصلة المنخفضات ومناطق المرور Moorlands، وهي مرتبطة من الناحية الجغرافية في أغلب الأحيان، بآثار سكنى الانسان في عصور ما قبل التاريخ، فقمم هضاب الطباشيرية المعوجة وحوافها الوعرة الانحدار تمثل أراضي ذات سطح صلب حسنة الصرف، يمكن ان تمتد على طولها الآن مسالك لمسافات طويلة قد تكون طرقاً ثانوية أحياناً، وقد لا تعدو ان تكون دروباً أو مسالك فحسب أحياناً أخرى"[٤٤٠].

الطرق عند الرومان:

يحفظ التاريخ للرومان فضل الاسبقية على غيرهم في الاعتناء بالطرق وتخصيص ادارة للاشراف عليها. وان كانت حضارتهم قد بدأت متأخرة عن حضارات أمم الشرق الأدنى كمصر وبابل واشور واليونان. كما ان الرومانيين قد أدركوا منذ عصور مبكرة ما للطرق العامة من خطورة في حياة الأمم، وشعروا بالحاجة المضاعفة

٤٣٩- ايست، جوردون: الجغرافية توجه التاريخ، ص ٥٨.

٤٤٠-المرجع نفسه ص ٦١.

اليها بمجرد ان اتسعت رقعة امبراطوريتهم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وكان مبعث هذه الحاجة في أول الامر حربياً[٤٤١].

أما طريقة انشاء الطرق فكانت تقام على ارتفاع نسبي فوق أرض منبسطة، ويلاحظ على جانبي الطرق الحفر التي منها أخذ التراب لانشائها. وكانت هذه الحفر في نفس الوقت بمثابة خنادق محصنة تستطيع الفرق الحربية في اية نقطة على الطريق ان تتجمع بداخلها في أقرب وقت وفي أمان من العدو. وعلى طول الطريق أسست محطات البريد بحيث يقسم الطريق الى أميال وعلى رأس كل ميل حجر[٤٤٢].

الطرق عند العرب:

لم يهمل العرب الذين كوّنوا امبراطورية عظيمة شملت أقطاراً في العالمين الشرقي والغربي العناية بطرق المواصلات البرية والبحرية.« اذ كان لعرب الجاهلية طريقان عظيمان للتجارة بين الشام والمحيط الهندي أحدهما يسير شمالاً من حضرموت الى البحرين على الخليج الفارسي ومن ثم الى صور. والثاني يبدأ من حضرموت ايضاً ويسير محاذياً للبحر الاحمر متجنباً صحراء نجد وهجيرها، ومتجنباً هضاب الشاطىء ووعورتها. وعلى الاخير تقع مكة في المنتصف تقريباً بين اليمن وبطرة »[٤٤٣].

« هذه الطرق التجارية أفادت العرب فائدة كبيرة وفتحت لهم باباً للرزق كبيراً فمنهم من كان يسكن المدن الواقعة على الطريق ويتاجر لنفسه ومنهم من كان يستخدم في التجارة كأن يكون سائقاً أو حارساً أو دليلاً »[٤٤٤].

٤٤١- Arnold, Wt: the roman system of provincinial administration, P: 18.

- شرح كلمة Moorlands ، وهي بقع من الأرض تترك لطبيعتها تنمو بها الحشائش الخشنة، وقد تنمو بعض حشائش تصلح للرعي في بعض انحائها، قد يتخللها حفر تملؤها مستنقعات، وهي غالباً مرتفعة ذات تربة سيئة الصرف غير سامية، وقد تترك في جوار المدن للنزهة وتسمى Town Moor.

٤٤٢- Ibid, P: 18.

٤٤٣-أمين، أحمد: فجر الاسلام، ، ص ١٢.

٤٤٤-المرجع نفسه، ص ١٣.

ولكن لا يعرف اذا كان العرب في عنايتهم مقلدين وناقلين عن الفرس، والرومان، أم ان الضرورة الملحة واتساع رقعة امبراطوريتهم، ألزمتهم انشاء الطرق لسهولة الاتصال بين الحكومة المركزية والحكومة المحلية؟ أم كان الحافز طبيعياً، اكمالاً لنمو حضارتهم وتمشياً مع نظرية النشوء والارتقاء » ؟ .

« ويرى البعض ان فرق المشاة الرومانية قد مهّدت بعض الطرق في جزء صغير من بلاد العرب، ولكن لم يبق من آثارها الا الفاظ قليلة مأخوذة من اللاتينية مثل كلمة Via ومعناها الصراط عند أهل الدين وكلمة Iter التي تستعمل نادراً بمعنى الطرق، وهي مأخوذة من اللاتينية »[٤٤٥].

هذا الى جانب علامات الطرق المسماة بالأميال، أما الإيتار المليكي (الطريق السلطاني) ، فقد أخذ العرب طريقة انشائه عن الفرس، كما أخذوا عنهم هذه التسمية. ولعل طرق ذلك العهد، شأنها شأن طرق اليوم، لم تكن الا شبكة من المسالك المطروقة لا يربطها نظام[٤٤٦].

ومعنى هذا ان "متز" ينفي وجود طرق منسّقة ومنظّمة للمواصلات والبريد عند العرب. فالامبراطورية الاسلامية يوم كانت عاصمتها في بغداد ذات الموقع الجغرافي الممتاز من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعمرانية. فقد تحدث جغرافيو العرب كثيراً عن طرق تلك الامبراطورية وكان في مقدمتهم ابن خرداذبة وقدامة، وكان الاول مديراً لمصلحة البريد في ولاية الجبال، بينما كان الثاني عاملاً للخراج. ثم حدث تطور في علم الطرق وظهر في القرن الرابع الجغرافيون القياسيون الذين أعطوا الابعاد بالميل لكل اقليم على حدة، فعُدّ هذا تقدماً كبيراً ومن مشاهير هؤلاء الاصطخري وابن جوقل والمقدسي. وقد لخص "متز" أشهر الطرق المتفرعة من بغداد[٤٤٧].

٤٤٥- متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ، ج٢، ص ٤٠٤.

٤٤٦- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٠٤.

٤٤٧- المرجع نفسه، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٦.

لكن ارجعت هذه الطرق الى مصادرها الاصلية حيث يتسنى للقارىء ان يكوّن صورة ذهنية حقيقية عن هذه الطرق وهي في أوج عظمتها. وقد اعتمدت في ذلك على مصدرين أساسيين للجغرافيين المسلمين ابن خرداذبة وقدامة. حيث وضع ابن خرداذبه كتاباً باسم" المسالك والممالك" وقد اشتمل القسم الرئيسي من كتابه على وصف للطرق التي تصل أهم المدن الاسلامية بعضها بالبعض الآخر. يعتبر كتاب"المسالك" لابن خرداذبة سجل رسمي وخلاصة لمادة وثائقية حصل عليها بسبب عمله كصاحب للبريد والاخبار في اقليم الجبال، كما ان التعويض عن النواقص الموجودة في كتاب "المسالك" جرى في كتاب " الخراج وصنعة الكتابة" لقدامة بن جعفر وهو من كبار رجال الادارة العباسية. ويبدأ قدامة في كتابه يعرض الطرق البريدية. لكن هذا العرض مأخوذ على الارجح عن ابن خرداذبه ، الا ان قدامة يضيف اليه بحثاً حول تنظيم البريد.

وسوف يورد ذكر الطرق الرئيسية والفرعية في الدول الاسلامية في الملاحق.

الطرق البريدية في العهد المملوكي

ارتقى نظام البريد في مصر في عهد بيبرس، لا سيما الطرق البريدية، ولكن لا بد من اعطاء فكرة عن الدرب السلطاني قبل التحدث عن طرق البريد.

كان مفهوم الدرب السلطاني لطرق البريد كامناً في الحس الشعبي العام. ومن يريد اظهار همجية البدو ما عليه الا ان يذكر ان هؤلاء قد قاموا بنهب البريد في النهار وهم في مهمة رسمية. ومرتدين الزي السلطاني وحاملين الألوان الملكية[٤٤٨].

وفي الفترة الاولى من البريد لم يحصل القسم الاكبر من الطرقات على اي فائدة اقتصادية وكذلك كانت حال الدروب التي تصل الى ضفاف الفرات، لان هذه المنطقة كانت تعاني من اثر الغزو المغولي المتكرر في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، فلم تتمكن بالتالي من اقامة اية علاقة تجارية بينها وبين الدولة المملوكية[٤٤٩].

وفي بداية عهد بيبرس كان هناك جهاز للبريد لا يزال في أول تكوينه يمتد على الاراضي المصرية ويشمل طريق القاهرة دمشق، لان رغبة السلطان بيبرس في معرفة اخبار سوريا كانت وراء انشاء البريد[٤٥٠].

أما بالنسبة لطرق الحج الى مكة والمدينة فقد وضعت ايضاً في اتصال مع القاهرة. لكن ذلك لم يكن بواسطة الخيول بل بواسطة الابل، وكانت الجمال تسير من واحة الى واحة. ولم تحظ طرق الحجاز، التنظيم التقني الذي حظيت به بقية الطرق البريدية الاخرى، واذا اعتبرت طرق الحجاز طرقاً بريدية، فهذا جائز ، ولكنها كانت خالية من المراكز[٤٥١].

وهنا لا بد من ذكر تاريخ تنظيم الطرق في سوريا بعد احتلالها وتطهيرها من المغول والصليبيين:

٤٤٨- Sauvaget: Poste,P: 16.

٤٤٩- Ibid, P: 14.

٤٥١ - ٤٥٠- Ibid, P: 24, No 107.

١٢٦٠هـ/ ١٢٦١م.: تنظيم طرق البريد بين دمشق وحلب وقد استولى المماليك على حلب في منتصف نيسان ١٢٦١م.[٤٥٢]

١٢٦٢م.: امتدت طريق حلب حتى وصلت الى البيرة وأخذت البيرة من المغول سنة ٦٦٠هـ.[٤٥٣]

١٢٦٣م. : تنظيم طريق الكرك، وقد ضمت الكرك عام ٦٦١هـ/ وكان بيبرس قد استولى على قلعة الشوبك منذ ٦٥٩هـ.[٤٥٤]

١٢٦٤م. : تنظيم طريق الرحبة وقد أخذت الرحبة سنة ٦٦٢هـ وكانت تدمر قد ألحقت بامارة حمص الايوبية فضمت في نفس السنة التي ضمت فيها حمص[٤٥٥].

١٢٦٦م. : تنظيم طريق صفد وقد استولى عليها المماليك سنة ٦٦٤هـ[٤٥٦].

١٢٦٨م. : تنظيم الطريق بين حلب وبغراس وفي سنة ٦٦٦هـ كان غزو امارة انطاكية ومعها موقع بغراس[٤٥٧].

١٢٧٠م . : تنظيم الطريق بين حمص ومصياف سنة ٦٦٨هـ كان تنظيم نيابة قلاع الاسماعيلية[٤٥٨].

١٢٧١م . : تنظيم الطريق بين حمص وحصن الاكراد وفي نفس الوقت اخذ حصن الاكراد ومعه منطقة عكار وصافيتا. وقد استمر حصن الاكراد مركزاً للنيابة حتى الاستيلاء على طرابلس مركز الفتوحات الساحلية المحروسة، ولا بد من الاشارة الى ان المصادر صمتت عنه ولكن بالنظر لكونه أحد القلاع المهمة في المنطقة وذا موقع استراتيجي من الدرجة الاولى فلا بد ان يكون قد وضع في اتصال بريدي مع العاصمة

٤٥٢- Ibid, P: 26, No 108.

٤٥٣- Ibid, P: 26, No 109.

٤٥٤- Ibid, P: 26,No 110.

٤٥٥- Ibid, P: 26, No 111.

٤٥٦- Ibid, P: 26 , No 112.

٤٥٧- Ibid, P: 26 , No 113.

٤٥٨- Ibid, P: 26 , No 114.

القاهرة[٤٥٩].

اما بالنسبة لمدينة حماة ، فقد بقيت حتى سنة ١٣٤١م. تحت حكم امراء مستقلين من السلالة الايوبية. وبالتالي لم تكن تحت سلطة السلطان المملوكي. لكن هذا الوضع لم يمنع اقامة مراكز بريدية بين هذه المدينة والمدن الأخرى. لان حكامها كانوا على اتصال وثيق ويقيمون علاقات طيبة مع المماليك، وقد نشأت هذه العلاقات نتيجة خوف مشترك من الغزو المغولي والغارات الصليبية[٤٦٠].

وهنا لا بد من الاشارة الى ان البريد منذ بدايته كان مؤسسة حيوية تتطور نحو الاحسن، حسب الاوضاع الاقتصادية والعسكرية بدلا من ان تكون ثابتة منذ نشأتها[٤٦١].

ولا بد من الاشارة الى ان هذه الاماكن التي وضعت في اتصال مباشر مع العاصمة تؤلف من جهة، مراكز النيابات حيث يقيم النواب، ممثلو السلطان، كما الحال في دمشق وحلب وحماة وحصن الاكراد، وصفد والكرك، وتشكل من جهة أخرى، نقاطاً استراتيجية مهمة، كما هو الحال بالنسبة الى المدن الحدودية، حيث توجد القلاع، وكان الاتصال البريدي مباشراً بين هذه المدن وبين العاصمة الا انها من الناحية الادارية كانت متعلقة بالنيابات الموجودة فيها.. وقد يعمد السلطان الي تعيين قائد عليها بطريقة مباشرة ، بسبب دورها في حماية الممالك الاسلامية[٤٦٢].

وكذلك كانت حال الاسكندرية ودمياط في مصر وصفد وبعلبك وحصن الاكراد ومصياف وبغراس والبيرة والرحبة والكرك والشوبك، في سوريا. أما آخر نقطة في الصعيد المصري وهي قوص، فلم تكن منطقة حدودية بكل معنى الكلمة، بل ثغراً ومركزاً ادارياً .كان دور قوص مهماً جداً في مراقبة الحدود النوبية. وكان بيبرس قد أرسل حملة عسكرية الى تلك المنطقة، بحجة المطالبة بدفع الاموال المترتبة عليها[٤٦٣]

٤٥٩- Ibid, P: 26, No 115.

٤٦٠- Ibid, P: 26, No 108.

٤٦١ - ٤٦٢- Ibid, P: 26.

٤٦٣- Ibid, P: 27, No 116.

كان هذا الاطار العام لطرق البريد عند تأسيسه في عهد بيبرس ، وقد أصبحت قلعة الجبل مركزاً لخطوط البريد، حتى كانت منها أربعة طرق بريدية: يمتد أحدها الى قوص، والآخر الى عيذاب، والثالث الى الاسكندرية، والرابع الى دمياط ومنها الى غزة. ومن هذا المكان تتفرع سائر خطوط البريد في بلاد الشام وتصدر المراسيم السلطانية الى أنحاء السلطنة[٤٦٤].

ولا بد هنا من ذكر أهم تلك الطرق البريدية:

١- الطريق من قلعة الجبل الى قوص محاذياً للنيل، ومارًّا بالجيزة ثم الى منية القائد ، ثم الى الاشمونيين ثم الى منفلوط ثم الى اسيوط ثم الى طما ثم الى المراغة ثم الى جرجا ثم الى البلينة ثم الى الكوم الاحمر ثم خان دندري ثم الى قوص[٤٦٥].

وهي مركز تجاري غاية في عظم الشأن وملتقى الطرق. ومن قوص يبتدىءالطريق الى اسوان فبلاد النوبة ومنها ايضاً يبتدىء الطريق الى عيذاب ومنها الى آخر الاقليم ليس يوجد فيه رسل سلطانية[٤٦٦].

وقد اتخذه التجار والحجاج ممراً على السواء وهي ميناء على البحر الاحمر.

٢- أما بريد الاسكندرية فكان له طريقان، احدهما محاذ للصحراء ويسمى طريق الحاجر ماراً بالجيزة فوردان ودمنهور، والثاني يسير بين فرعي النيل ماراً بقليوب ومنوف والمحلة الكبرى. وقد تمكن الرحالة ابن جبير ان يقطع الطريق الثاني في ثلاثة ايام ونصف[٤٦٧].

٣- وأما الطريق الى دمياط فمن مركز القلعة الى سرياقوس فمدينة بلبيس وهي آخر المراكز السلطانية وفيها يتفرّع خطّان، أحدهما الى دمياط ماراً باشمون

٤٦٤- القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٣٧٣.

- حسن، علي ابراهيم : تاريخ المماليك البحرية، ص ٢٤٩.

٤٦٥ - القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٣٧٣.

- الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٧.

٤٦٦- الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٨.

٤٦٧- المصدر نفسه ، ص ١١٩.

الرمان ثم الى فارسكور، والآخر الى غزة فدمشق[٤٦٨].

٤- الطريق الى دمشق والفرات، يبدأ من بلبيس وهي آخر المراكز التي لخيل السلطان وهي الخيل التي تُشْترى بمال السلطان، ويقام لها السواس وتصرف لها العلوفات. ثم ما يليها خيل البريد المقررة على عربان ذوي اقطاعات عليهم خيول موظفة يحضر بها أربابها عند هلال كل شهر الى المراكز وتستعيدها في آخر الشهر ويأتي غيرها، ومن هنالك سميت" الشهارة". وعلى الشهارة والٍ من قبل السلطان يستعرض في رأس كل شهر خيل أصحاب النوبة ويدوغها بالداغ السلطاني، وما دامت تستجد فهي قائمة، ومتى اكترى أهل نوبة ممن قبلهم، فسدت المراكز، لان الشهر لا يهل وفي خيل المنسلخ قوة ، لا سيما والعرب قليلة العلف. وتستخدم خيل الشهارة هذه من السعيدية أول مركز بعد بلبيس حتى العريش وهي آخر مراكز العرب الشهارة. ثم مما يليها خيل السلطان ذوات الاصطبلات والخدم، تشترى بمال السلطان وتعلف منه[٤٦٩].

ويمتد الخط من العريش الى غزة وتعتبر دهليز مصر وبداية الاقليم السوري الفلسطيني، ومنها الى دمشق فحمص- حماة وحلب، حتى يصل الى ضفاف الفرات حيث توجد قلعة جعبر التي كانت تعتبر مفتاح السلطنة. ومن حمص يتفرع طريقان احدهما للقوافل يصل الى بغداد وتدمر والآخر يؤدي الى قلعة رحاب على الفرات[٤٧٠].

كما يتفرع من دمشق ثلاث طرق ايضاً، الاولى الى عكا وصيدا وبيروت، والثانية الى بعلبك، والثالثة الى مكة وتنتهي عند قلعة الكرك شرقي البحر الميت[٤٧١].

وعلي طول هذه الطرق جميعاً حدد بيبرس مراكز فيها خيول مجهزة في جميع

٤٦٨-المصدر السابق ، ص ١١٩.

٤٦٩- العمري: التعريف، ص ١٩٠-١٩٢.

- القلقشندي: صبح الاعشى، ج ١٤، ص ٣٧٦- ٣٧٧- ٣٧٨.

٤٧٠- Sauvaget: Poste, P: 25.

٤٧١-الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١٢٠

الاوقات يستطيع فيها البريديون ان يستبدلوا جيادهم[٤٧٢].

وقد زود الظاهر بيبرس تلك المراكز بكل ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف كما راعى فيها توافر المياه او وجود قرية بجوارها يستأنس بها عمال البريد[٤٧٣].

وأعد بكل منها خيولاً عرفت بخيل البريد ، وعندها عدة سوّاس، وللخيل رجال يعرفون بالسوّاقين، وأحدهم سوّاق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره، ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني، فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهماته، وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني[٤٧٤].

وللدلالة على استتباب الامن فقد أشار المقريزي الى ذلك بقوله:« ان المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة او ماشية لا تحمل زاداً ولا ماء » [٤٧٥].

وزاد قوله تأكيداً ما ذكره القلقشندي في هذا الخصوص.« وسرعان ما بدلت المراكز الخوف أمناً والوحشة أنساً »[٤٧٦].

ولا شك ان المراكز الكبرى كانت مجهزة بأبنية تسمى بحسب العصر والمكان والغرض الذي شيدت من أجله خانات أو فنادق أو وكالات (Okelle).

وتحدث المقريزي ايضاً عن خانات القاهرة وذكر منها خان مسرور وخان قوصون وخان الخليل ولسنا بحاجة الى التعرض اليها في قليل أو كثير وانما الذي يعنينا منها خانات البريد التي امتازت ببساطة بنائها[٤٧٧].

وكانت خانات البريد على اتساع كاف لتخصيص محل لإقامة الصلاة، ونافورة وأحواض للماء الصالح للشرب، وسوق صغيرة يُعرض فيها ما يحتاج اليه المسافر،

٤٧٢-المقتطف: سبتمبر سنة ١٩٣٧، ص ٤٧.

٤٧٣-القلقشندي صبح الاعشى ،ج ١٤، ص ٣٧٢.

٤٧٤ - ٤٧٥-المقريزي:الخطط، ج١،ص ٣٩٩.

٤٧٦-القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، ص ٣٧٨.

٤٧٧-المقتطف: سبتمبر، سنة ١٩٣٧، ص ٤٥.

فضلاً عما يلزم للموظفين والدواب من الغذاء. ولذا كان في الامكان تقليل ما يحمل من الزاد والماء الى أدني حد، ولم تكن الحاجة ماسة الى نقل الادوات اللازمة لنصب الخيام وكان من صالح التجار أنفسهم ان يؤسسوا الخانات ولو في أبسط أشكالها كأن يبنوا قاعة مسقوفة"[٤٧٨].

وقد يكون من السخف ان نعزو الى السلاطين المماليك تأسيس هذه الفنادق فانهم، انما هم ، أشاعوا استعمالها.

والحق اننا نعرف انه يوجد في سوريا خانات أو فنادق من أواخر القرن ١٢م. والنصف الاول من القرن الثالث عشرم .، بل قبل ذلك أبدى ناصرخسرو اعجابه بعظم اتساع مائتي فندق بمصرالقديمة. وشهد "Sauvaget" بقايا هذه الخانات على الطريق من جهة دمشق الى حمص، وطريق حلب الرحبة، وطريق دمشق بعلبك . وأرجع الى تلك العصر الايوبي. وقال ان بيبرس اتخذها محطات للبريد حيث يجد عمال البريد والمسافرون ما يلزمهم من خبز وأحذية وعلف للخيل"[٤٧٩].

وان الاعتقاد ان الاكثار من تشييد هذه الفنادق وتزويدها بالنافورات المائية والحوانيت على طول الطرق ، كان الحافز له ، تغلب النزعة الدينية على نفوس سلاطين المماليك بغية الحصول على أجر كبير في الآخرة.

الواقع ان فضل الاهتمام بالطرق ما بين مصر والشام ، يرجع الى السلطان صلاح الدين الايوبي، الذي شيد فيها الحصون والقلاع وزودّها بالحرّاس والماء والمؤن، وغدت القوافل الحربية والتجارية تعبرها في أمان وسلام. وروى خلفاء صلاح الدين عنه، تلك العناية بالطرق، ونخص منهم بالذكر السلطان الكامل ابن العادل الذي أقام في كل طريق خُفَراء تحفظ المسافرين، وبلغ من مهابته ان موقع الرمل فيما بين العريش ومصر، كان يمر فيه الواحد بالذهب الكثير والأحْمال من الثياب من غير خوف"[٤٨٠].

٤٧٨- المرجع السابق ، ص ٤٦.

٤٧٩- Sauvaget: Poste, P: 29-30 .

٤٨٠-المقريزي: السلوك، ج١، قسم ١، ص ٢٥٩- ٢٦٠.

سكك البريد:

ان كلمة "سكة" مستمد معناها من كلمة "طريق" . وان التعبير العربي والرسمي عن كلمة "محطة البريد" هو سكة والجمع سكك. وكانت المسافة بين محطة وأخرى يطلق عليها رسمياً كلمة سكة.

«السكة موضع كان يسكنه الفيوج المرتبون من بيت أوقبة أو رباط ، وكان يترتب في كل سكة بغال، وبُعدْ ما بين السكتين فرسخان وقيل أربعة»[481].

أما التعبير الشائع المستعمل بين الناس فكانت كلمة "بريد" . وفي مصر كانت محطات البريد تسمى "مراكز البريد" . وقد عرّفها القلقشندي«بانها الاماكن التي تقف فيها خيل البريد ، لتغيير خيل البريدية فيها فرساً بعد فرس»[482].

أما مؤرِّخو العرب فأطلقوا عليها كلمة "منازل". وقد ذكر الطبري عن المنصور انه لما دخل آخر منزل، نزله من طريق مكة نظر في صدر البيت الذي نزل فيه فاذا فيه مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم.

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجـــم ـلك اليوم من حر المنية مانع

فدعا المنصور بالمتولي لاصلاح المنازل فقال له : «ألم آمرك ألا يدخل المنزل أحد من الدعار» ، قال:«يا أمير المؤمنين، والله ما دخلها أحد منذ فرغ منها»، فقال:« اقرأ ما في صدر البيت مكتوباً » ، قال:« ما أرى شيئاً يا أمير المؤمنين». فدعا برئيس الحجبة، فقال :«اقرأ ما على صدر البيت مكتوبا» ، قال:« ما أرى على صدر البيت شيئاً». فأملي البيتين فكتبا عنه، فالتفت الى حاجبه فقال:« اقرأ لي آية من كتاب الله جلّ وعزّ تشوقني الى الله عز وجل» فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم.& **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** &. فأمر بفكيه، فوجئا، وقال:« ما وجدت شيئا اقرأه غير هذه الآية، فقال يا أمير المؤمنين محا القرآن من قلبي غير هذه الآية، فأمر

٤٨١-ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٨٦.

٤٨٢-القلقشندي: صبح الاعشى، ج١٤، ص ٢٧٢.

بالرحيل عن ذلك المنزل تطيّراً مما كان وركب فرساً كان في الوادي الذي يقال له سقر، وكان آخر منزل في طريق مكة كبا به فرسه فدق ظهره ومات فدفن ببئر ميمون "[٤٨٣]

يفهم من هذا ان طريقة العرب كانت عبارة عن تقسيم كل طريق الى محطات او مواقف أفراس أو هجن، فيستبدل عمال البريد أفراسهم بأفراس مستريحة في كل موقف التماساً للسرعة "[٤٨٤].

وسوف يورد ذكر السكك في الدول الاسلامية في الملاحق.

٤٨٣- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٨، ص ١٠٧

٤٨٤-زيدان، جرجي، : تاريخ التمدن الاسلامي ج ١، ص ٢٤١.

الاربطة:

اذا كان التعبير الرسمي عن محطة البريد هو لفظة" سكة" فقد استغنى في الاستعمال الشعبي عن هذه اللفظة وحلت محلها كلمة "رباط" .

والرباط له علاقة بموضوع البريد لانه قام بعمل السكك تماماً في الجهات التي لم يكن بها سكك. ورد في "لسان العرب" لابن منظور:« الرباط ما ربط به والجمع ربط. والرباط من الخيل الخمسة فما فوقها والرباط والمرابطة، ملازمة ثغر العدو، وأصله ان يربط كل واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً»[٤٨٥].

ولكن معنى هذه الكلمة تطور مع الزمن، فقد أخذ يدل على المحطات العسكرية "الثغور" المعرضة لهجوم الاعداء، والتي كانت تحرسها حامية من الجنود لمدة معينة أو على سبيل الدوام والاستمرار ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن الكريم:

& **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**&[٤٨٦].

ويسمى الجنود القائمون على هذا الامر مرابطون. وفي سورة آل عمران ورد:

& **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**&[٤٨٧].

ثم أطلقت هذه التسمية في اللغة المحكية على كل محطة بريد، رغم ان التسمية الرسمية لهذه المحطة كانت "سكة".

وقد توفر في هذه الربط أماكن للاستراحة وخزانات للمياه، كما قامت بالمحافظة على الأمن ومراقبة الطرق. وهذا كله يساعد بطبيعة الحال أصحاب البريد والاخبار على اجتياز الجهات الموحشة لتأدية مهماتهم. ويظهر ان هذه الربط كانت شائعة في الجهات الصحراوية وعلى الحدود الشمالية والشرقية، حيث يقول المقدسي:« ان المسافر على الطريق في بلاد فارس يجد ما يسمى رباطاً. وقد خص المؤرخون بلاد

٤٨٥-ابن المنظور: لسان العرب، ج ٧، ص ٣٠٢- ٣٠٣.

٤٨٦- قرآن كريم، سورة الاثقال، ٨-٦٠.

٤٨٧-المصدر نفسه: سورة آل عمران ، ٣-٢٠٠ .

فارس نظراً لاتساعها وكثرة القلاقل التي تسودها واللصوص الذين يتربصون بالمسافرين، خصوصاً في الصحراء الواقعة بين يزد وطبس. وكان عضد الدولة البويهي المتوفي سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م. أول من أقر الأمن في هذه الربوع، ودرج حكام فارس من بعد، على أخذ رهائن من هؤلاء اللصوص لتستطيع القوافل المسافرة في ظل حراسة رجال الولاة أو السلطة المركزية اجتياز هذا الاقليم بأمان[٤٨٨].

وحوالي منتصف القرن الرابع الهجري، ابتنى عضد الدولة رباطاً وحفر خزاناً للمياه العذبة. وقد وصف المقدسي هذا الرباط بقوله:« رباط آب شتران به قناة تصب الى بركة، والرباط حسن، من الحجارة والجص وعليه ابواب حديد وفيه قوم يحفظونه »[٤٨٩].

وكان الطريق محفوفاً بالمخاطر من قوم يقال لهم القفص، يسيرون اليه من جبال كرمان، قوم لا أخلاق لهم، وجوه وحشة، وقلوب قاسية، وبأس وجلادة، لا يبقون على أحد، ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتى يتصدع[٤٩٠].

والى جانب رجال البريد، انتفع من هذه الاربطة الزهّاد الذين لازموا في الكثير من الاحيان هذه الربط للعبادة والجهاد. وكثر عدد هذه الربط بنوع خاص في بلاد ما وراء النهر لما يعرف عن أهلها من الورع والزهد، كما ذكر الاصطخري انه يوجد في هذه البلاد ما يزيد على عشرة آلاف رباط في كثير منها اذا نزل النازل أقيم له علف دابته وطعام نفسه ان احتاج الى ذلك[٤٩١].

كما يعرف ان شرق المملكة الاسلامية كان أكرم من غربها. وقد أيّد ذلك الاصطخري

٤٨٨-المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٦٦.

- متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤هـ ج ٢، ص ٤٠٦.

٤٨٩-المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٤٨٨.

٤٩٠- المصدر نفسه، ص ٤٨٩.

٤٩١- الاصطخري: مسالك الممالك، ص ١٦٣ .

- متز آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤ هـ، ج ٢، ص ٤٠٦ .

على ما شاهده فيها. وترى الغالب على أهل الاموال بما وراء النهر صرف مرتباتهم الى الرباطات وعمارة الطرق والوقوف على سبل الجاه ووجوه الخير. وليس من بلد ولا منهل ولا مغارة ولا قرية آهلة الا بها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه"[٤٩٢].

وكذلك كانت توضح جباب الماء في الشوارع والطرق بخوزستان على مراحل في الطريق ، وربما حمل اليها الماء من بعيد"[٤٩٣].

ويختار أهل القرى بفارس من بين أنفسهم رجلاً مهمته توزيع الضيوف على أهل القرية ويسمونه الجزير"[٤٩٤].

وفي البلاد التي كانت نصرانية من قبل، كانت الاديرة تقدم ضيافة واسعة للمجتازين، وكان كبار المسافرين ينزلون بها عادة طلباً للراحة، اذ يوجد بدير حنا على مقربة من تكريت على نهر الفرات وبدير باعربا، الى الشمال من ذلك، أماكن خاصة لتضييف المسافرين"[٤٩٥] الذين من أجلهم بنيت المساكن بكثرة في بعض الاربطة.

وكان في بلاد المغرب في صحاريها ونواحيها الموحشة رباطات كثيرة يأوي اليها الناس، وكان عليها أوقاف كثيرة بافريقية، والصدقات تأتيها من جميع البلاد "[٤٩٦].

كما أقيمت في الطريق الذي بين نفراوة وقسطيلية خشب يهتدي المسافرون بها لكي لا يضلوا في الارض السواجة التي بين هذين البلدين"[٤٩٧].

لقد كلفت هذه الاربطة الامبراطورية الاسلامية مبالغ باهظة لأن انشاءها تمّ في أماكن متعددة من المملكة وعلى أبعاد متقاربة، حيث وفرت لموظف البريد والمسافر المكان والماء والطعام لهما ولدابتهما، وبذلك سهلت وصول الخبر بأسرع ما يمكن الى أصحابه وأمّنت الطرق من شرّ اللصوص.

٤٩٢- الاصطخري مسالك الممالك ص ١٦٢

٤٩٣-المقدسي:احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ٤١٦.

-متز، آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤هـ ج٢، ص ٤٠٦.

٤٩٤-متز،آدم: الحضارة الاسلامية في القرن ٤ هـ ص ٤٠٧.

٤٩٥ ـ ٤٩٦-المرجع نفسه ، ج٢، ص ٤٠٧.

٤٩٧-المرجع نفسه، ص٤٠٦.

خاتمة

أدركت في نهاية هذا البحث، ان هناك بعض الحقائق تفرض نفسها، فمجرد ظهور وسيلة جديدة للنقل لا يكتفي المسؤول عن البريد بأن يهتم بها، بل عليه ان يستخدمها ويعمل على تحسينها وتطويرها، وكان الامر كذلك لأسباب مختلفة بالنسبة لسائر وسائل النقل وعليه فانه لا يوجد ترابط وثيق بين التطور العام للوسائل التقنية وتطور عمليات النقل البريدي.

فالبريد مرفق هام يتصل اتصالاً وثيقاً بنظام الدولة لنقل أوامر السلطة وتسهيل أعمال الدولة وتمكين العلاقات بين مختلف شعوب العالم، لذلك ينظر اليه كونه مظهراً من مظاهر حضارة الشعوب، وتبعاً لذلك فانه يخضع في تطوراته ونظمه لجميع المؤثرات التي تخضع لها السلطة.

يقوم البريد بدور هام كعامل من عوامل التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في أي بلد من بلدان العالم، وله قدرة عظيمة على توفير شبكة من الاتصالات تؤدي الى عوامل الوعي والانتقال من مكان الى آخر ونقل وتوزيع المراسلات والاموال والبضائع. لذا تقتضي الضرورة اعارته ما يستحقه من الاهتمام. ويرجح أنّ الحاجة للاتصال وتبادل المعلومات ورصد تحركات الاعداء نشأت منذ فترة مبكرة وحتى قبل ان تعرف البشرية الكتابة والتدوين..

أما بريد الخيل فهو شائع منذ أقدم العصور، كما استخدم العرب الجمل في بريدهم ثم استبدلوه بالخيل والبغال.

وأنيط البريد بسعاة مختصين في نقل رسائل شفهية أو دعائم مادية لا معنى لها بالنسبة للمرسل والمرسل اليه. وعُدّ اليوم الذي فكر فيه زعيم القبيلة في وضع الحراس على حدود منطقته لانذاره بالغارات الاجنبية «يوم الميلاد لنظام البريد»، وبذلك تولدت الجاسوسية في هذا النظام.

وغدت عملية نقل الاخبار هي أساس نظام البريد في العصور القديمة فجاء من وحي وصنع الحكومات لا الافراد. أما بالنسبة للفرس فهم أصحاب الفضل في ابتكاره وترتيبه في ديوان خاص به.

أما في عهد النبي (ص) بالرغم من ان الفترة مبكرة، نجد ان البريد قد رتب ترتيباً عظيماً. فقد تماشى تاريخ نظام البريد مع تاريخ الدولة نفسها وخير مثال على ذلك عندما أمر الرسول (ص) عبد الله بن أبي بكر ليأتيه بأخبار مكة يوماً بيوم. وتبعاً لذلك يمكن ان نعد عبد الله هذا أول ساع للبريد في تاريخ الدولة العربيّة الاسلامية.

توسع الخلفاء الراشدون في ترتيب ما ورثوه من نظم بريدية حكومية عن النبي (ص)، فاعتمد الخليفة عمر كثيراً على نظام البريد في تلقف أخبار قواده في الاقاليم. على أن ادارة البريد قد أهملت واجبها في عهد الخليفة عثمان ودفعت ثمن الاهمال باهظاً وهو هدر دم عثمان الذي تسبّبب عن غلطة ارتكبها صاحب بريده مروان بن الحكم. ثم اندثرت معالم البريد في عهد الخليفة علي بن أبي طالب بسبب قيام الحروب والفتن.

أما في العصر الاموي فان نظام البريد قد تطور من سذاجة البداوة الى بحبوحة الحضارة. فأقام له معاوية الخيول على الطرق لنقل البريد واهتم بعده عبد الملك بن مروان بالبريد وأتاح لساعي البريد ان يدخل عليه أنّى شاء ليلاً أو نهاراً. وبصورة عامة نجد ان الامويين قد أفادوا من نظام البريد في القضاء على ثورات الخوارج وغيرهم ممن خرج عن طاعتهم.

يبدو ان البريد في العهد العباسي قد لبس ثوباً جديداً أشار الى الذوق الفارسي والعقلية الفارسية والتقاليد والنظم الكسروية القديمة. فلا عجب في ان يجعله الخليفة ابي جعفر المنصور أحد الركائز الاربعة التي شيّد عليها دولته، وهي القضاء والشرطة والخراج والبريد، وقد وتطور البريد تطوراً محموداً في عهد خلفائه.

أما الادارة العامة لنظام البريد فقد تطورت تطوراً مهماً خاصة في العصر العباسي الاول. حيث أصبحت توجد اختصاصات لصاحب البريد وشروط يجب

توافرها فيه وصفات يجب ان يتحلى بها. وهو يرأس قوة من «البوليس السري» يقومون بعمل الجاسوسية. كما له عمال في الولايات ينوبون عنه ولكل من هؤلاء جميعاً اختصاصات ولعمال البريد علامة يتميزون بها عن سائر موظفي الحكومة.

أما البريد الجوي، فقد برز باستخدام الحمام في البريد قبل الاسلام، وان عناية خلفاء المسلمين بالحمام الزاجل لم تظهر بوضوح الا في عهد العباسيين والفاطميين.

والغريب ان الفاطميين الذين لم يرد عنهم ما يثبت اهتمامهم بالبريد العادي يكونون أسبق الخلفاء للعناية بالبريد الجوي.

أما نظام التخاطب بالمشاعل والطبول والماء فنجده عند الدول الاسلامية يشكل نظاماً خاصاً، فاستخدام النار والمناور يشرف عليها جماعة خاصة، وقد لعبت هذه الوسائل البريدية دوراً هاماً لا سيما في ميادين القتال.

وفي القسم الخاص بالطبول يشعر القارىء بأنه في مهرجانات رسمية بين دق الطبول وعزف الموسيقى والتي تختلف نغماتها في بلاد التركستان عنها في الهند أو تونس. وكانت الطبول وسيلة من وسائل انتصار القواد في الحروب.

أما البريد المائي لا سيما البريد البحري فقد ضرب الرقم القياسي بين جميع أنواع البريد وبفضله أحرزت أساطيل الاسلام الغلبة في معارك البحر الابيض المتوسط وغيره من بحار العالم المعروفة وقتذاك.

أما في عصر الخلفاء المتأخرين. فنجد ان حال البريد قد اضطرب، فتارة يزدهر وأخرى يسوء، وذلك حسب شخصية الخليفة. ومما زاد في الطين بلة، هبوب عاصفة الصليبيين وتساقط أوراق البريد، ولم يكن ذلك عن جهلهم بفائدة البريد وانما حرصاً في ألا تسبقهم أخبارهم الى الدول التي لم تسمح بمجيئهم.

أما البريد في العهد المملوكي، فكان منذ نشأته صنعة المؤسسة الملكية التي ترتبط بعلاقة وثيقة بالجهاد. ومنذ بداية القرن الرابع عشر ميلادي، دأب بنو فضل الله «كُتّاب الانشاء» الى تطوير هذه المؤسسة وكانوا قد توصلوا، الى بعض ادارة البريد وبتأثير من هؤلاء تغيرت الركيزة الادارية لهذا الجهاز، فأصبحت اكثر وزناً، وأكثر عقلانية وأكثر مفهومية، فخططت طرقات جديدة من أجل خدمة المقاطعات التي

ألحقت بالسلطة، وارتفعت مراكز جديدة على الطرق القديمة، وأجريت تعديلات في مسارها من أجل تسهيل سير البريد عليها، وجرت تغييرات أهمها تجهيز طرقات البريد لخدمة القوافل التجارية، بطريقة تسمح بتحويل البريد الى جهاز يدر أرباحاً على الخزينة السلطانية. وأدت هذه الجهود التي قام بها «كُتَّاب الانشاء»، اضافة الى زيادة عدد الموظفين الى اعطاء فعالية أكبر لمؤسسة البريد.

بقي ان نتساءل ما هي الفوائد التي جنتها الدولة والافراد من نظام البريد؟ وما هي الاغراض التي حققها هذا النظام بوجه عام؟ .

استطاع ديوان البريد ان يحقق رغبة الخلفاء في إستتباب الامن وضبط الاداء الحكومي في ربوع الامبراطورية والاشراف الدقيق على جميع العمال سواء منهم من هم بأقاصي المشرق أو المغرب. ولولا قيام نظام البريد ما استطاع الخليفة بشخصه الضعيف واتساع رقعة الامبراطورية وبطء المواصلات وقتذاك ان يهيمن بقوته وهيبته على العالم الاسلامي أجمع. فيخشاه كل فرد من رعاياه، وكما خشيَه معاصروه من أصحاب التيجان والعروش فيتبادلون معه الود والرسائل وما تبادل السفارات والوفود بين هارون الرشيد وشرلمان بخافٍ على أحد.

تيسر الحج والزيارة لكل مسلم قادر وهو آمن على حياته وماله. بسبب وجود شبكة طرق بريد منتشرة في أنحاء المملكة وغدت مكة تعج بالعناصر والاجناس المختلفة التي تصاهرت بعضها مع البعض الآخر، واختلطت دماً وعقلاً وفكراً، ونتج عن هذا ان دخل البيت العربي دم فارسي، روماني، سوري، مصري أو بربري الخ... ولم يعد البيت العربي بيتاً عربياً محضاً، بل أشبه بعصبة أمم نتيجة التولد[٤٩٨].

ان تيسير الحج لم يكن بالنسبة للمسلمين فقط بل وايضاً للمسيحيين. فالامير شكيب ارسلان يذكر انه «في سنة ٧٣٣م ذهب حجاج من الغرب الى بيت المقدس والناصرة وكانوا يجولون آمنين في فلسطين والشام وزاروا قصر الخليفة نفسه في دمشق ولم يعترضهم أحد ولا خافوا ولا حزنوا»[٤٩٩].

٤٩٨–أمين ، أحمد: فجر الاسلام، ص ٩٤.

٤٩٩– ارسلان، شكيب : تاريخ الغزوات، ص ١١٦.

ويقول في موضع آخر، ان شارلمان أمر رسوله اسحاق ان يتوسط لدى الرشيد في تسهيل زيارة المسيحيين لبيت المقدس حتى يزداد عدد التجار والزوار القاصدين الى البقاع المقدسة[٥٠].

كما عمل نظام البريد على تنشيط التجارة بين الممالك الاسلامية ووجد التجار في طرق البريد ما يؤمنهم على حياتهم وأموالهم.

فالبريد ينظم وسائل المواصلات لنقل التوجيهات السياسية من السلطة المركزية الى السلطةالمحلية والمواطنين وبالعكس أي انه أداة الاتصال العملية بين الادارة وفروعها وبين المواطنين، كما انه يشجع على المبادلات التجارية ونقل وتوزيع البضائع وتأدية أثمانها ويسهم في التحويلات المالية بين الافراد والشركات والمؤسسات، لا سيما في الارياف حيث لا تتوفر الخدمات المصرفية وذلك بواسطة الحوالات والشيكات.

ومن الصعب، بل من التعسّف ان نجري مقارنة بين نظام البريد المعاصر ونظام البريد في الماضي. فاذا كان البريد في عصرنا الحاضر قد تطور تطوراً كبيراً حتى وصل الى درجة عالية من حيث سرعة ارسال الاخبار والخطابات وذلك باستخدام النقل الجوي، فقد أصبح يجتاز آلاف الاميال في أيام معدودة، كما استخدم معاصرونا ظاهرة البرق في اذاعة الاخبار، والحادث الذي يقع في أقصى أطراف المعمورة، لا تمضي على حدوثه لحظات حتى يعمُّ الدنيا كلها وبالتالي يمكن ان نعنون نصف القرن الثاني من القرن العشرين بعصر «اللاسلكي والسرعة» وهذا لا يعني انه يجب ان ننظر الى وسائل الماضي باحتقار بل يجب علينا ان نقدر محاولات الاولين لانها لا تقل أهمية عن محاولات انساننا المعاصر.

٥٠-المرجع السابق ، ص، ١٣٢-١٣٣.

ملاحق

-١- ملحق

طرق البريد

أولاً: الطريق الى نواحي المغرب:

الطريق من بغداد الى مكة:[١]

ابن خرداذبة وقدامة:

من بغداد الى اكسيلحين اربعة فراسخ ثم الى الانبار ٨ فراسخ ، ثم الى الرب ٧ فراسخ، ثم الى هيت ١٢ فرسخاً، ثم الناووسة ٧ فراسخ، ثم الى الوسة ٧ فراسخ، ثم الى الفحيمة ٦ فراسخ، ثم الى النهية ١٢ فرسخاً في البرية ثم الى الدازقي ٦ فراسخ، ثم الى القرضة ٦ فراسخ، ثم الى وادي السباع ٦ فراسخ، ثم الى خليج ابن جميع ٥ فراسخ، ثم الى الفاش حيال قرقيساء ٧ فراسخ (٦ قدامة) ثم الى نهر سعيد ٨ فراسخ، ثم الى الجرذان ١٤ فرسخاً ثم الى المبارك ١١ فرسخاً ثم الى الرقة ٨ فراسخ.

٢طريق دمشق من الرصافة[٢]

قدامة بن جعفر

من الرقة الى الرصافة ٨ فراسخ، ومن الرصافة طريقان احدهما الى دمشق في البرية وآخر على حمص في العمران.

فاما طريق العمران فمن الرصافة الى الزراعة ٤٠ ميلاً، ثم الى قسطل ٣٦ ميلا ثم الى سلمية ٣٠ ميلا، ثم الى حمص ٢٤ ميلاً، ثم الى شمسين الشعر ١٨ ميلاً، ثم الى

١-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٧٢-٧٣.

قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١١٥-١١٦.

٢-قدامة بن جعفر: الخراج، ص ١١٧-١١٨.

قارا ٢٢ ميلاً، ثم الى النبك ١٢ ميلاً، ثم الى القطيفة ٢٠ ميلاً، ثم الى دمشق ٢٤ ميلاً.
أما طريق البرية فمن الرصافة الى الخربة ٣٥ ميلاً، واسمها بطلاميا، ثم الى العذيب ٢٤ ميلاً، ثم الى نهيا ٢٠ ميلاً، ثم الى القريتين ٢٠ ميلاً، ثم الى جرود ٣٦ ميلاً، ثم الى دمشق ٣٠ ميلاً.

ومن سلمية الى دمشق في طريق يعرف بالاوسط:

من سلمية الى قرعايا ١٨ ميلاً، ثم الى ماء شريك ٢٠ ميلا، ثم الى صدد ١٨ ميلا، ثم الى النبك ٣٥ ميلا.

من حمص الى دمشق:[٣]

قدامة بن جعفر

من حمص الى جوسية ١٣ ميلاً، ثم الى ايعاث ٢٠ ميلا، ثم الى بعلبك ٣ أميال، ثم الى عين الجر ٢٠ ميلا، ثم الى القرعون ١٥ ميلا، ثم الى العيون ٢٠ ميلا، ثم الى طبريا ١٥ ميلا، ثم الى افيق ٦ أميال، ثم الى جاسم ٢٤ ميلا، ثم الى الكسوة ٢٤ ميلا، ثم الى دمشق ١٢ ميلاً.

ابن خرداذبة:

من حمص الى جوسية ١٦ ميلا، ثم الى قارا ٣٠ ميلا، ثم الى النبك ١٢ ميلا، ثم الى القطيفة ٢٠ميلا، ثم الى دمشق ٢٤ ميلا.

٤طريق طبرية الرملة:

ابن خرداذبة وقدامة

من طبرية الى اللجون ٢٠ ميلا، ثم الى قلنسوة ٢٠ ميلا، ثم الى الرملة ٢٤ ميلاً.

٣-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١١٨-١١١.

طريق بغداد الموصل وتفرعاته:[٤]

ابن خرداذبة وقدامة:

من بغداد الى البردان ٤ فراسخ، ثم الى عكبراء ٥ فراسخ، ثم الى باحمثا ٣ فراسخ، ثم الى القادسية ٧ فراسخ، ثم الى الكرخ ٥ فراسخ، ثم الى جبلتا ٧ فراسخ، ثم الى السوقانية ٥ فراسخ، ثم الى بارما ٥ فراسخ، ثم الى السن ٥ فراسخ، ثم الى الحديثة ١٢ فرسخاً، ثم الى طميان ٧ فراسخ، ثم الى الموصل ٧ فراسخ.

ومن الموصل الى بلد ٧ فراسخ، ثم الى باعنياتا ٧ فراسخ، ثم الى برقعيد ٦ فراسخ، ثم الى اذرمة ٦ فراسخ، ثم الى تل فراشة ٣ فراسخ، ثم الى نصبين ٤ فراسخ.

ومن نصبين يتفرع طريقان:[٥]

الاول من نصيبين الى دارا ٥ فراسخ، ثم الى كفرتوتا ٧ فراسخ، ثم الى قصر بني نازع ٦ فراسخ، ثم الى آمد ٧ فراسخ، ثم الى ميافارقين ٥ فراسخ، ثم الى ارزن ٧ فراسخ.

الطريق من آمد الى الرقة ذات الشمال:

منها الى شميشاط ٧ فراسخ، ثم الى تل جوفر ٥ فراسخ، ثم الى جرنان ٦ فراسخ، ثم الى بامقرا ٥ فراسخ، ثم الى جلاب ٧ فراسخ، ثم الى الرها ٤ فراسخ، ثم الى حران ٤ فراسخ، ثم الى تل محرا ٤ فراسخ، ثم الى باجروان ٧ فراسخ، ثم الى الرقة ٣ فراسخ.

وأما الطريق الثاني الى الرقة: فمنها الى دارا ٥ فراسخ، ثم الى كفرتوتا ٧ فراسخ، ثم الى العرادة ٣ فراسخ، ثم الى رأس عين ٤ فراسخ، ثم الى الجرود ٥ فراسخ، ثم الى حصن مسلمة ٦ فراسخ، ثم الى باجروان ٧ فراسخ، ثم الى الرقة ٣ فراسخ.

اما الطريق من بلد ذات الشمال الى قرقيساء وسنجار وطريق الفرات

فمن بلد الى تل أعفر ٥ فراسخ، ثم الى سنجار ٥ فراسخ، ثم الى عين الجبال ٥

٤-ابن خرداذبه: المسالك والممالك ٧٦-٧٨-٩٣-٩٥-٩٦.

٥-المصدر نفسه، ص ٩٦-٩٧.

فراسخ، ثم الى سكير العباس ٩ فراسخ، ثم الى الغدين ٥ فراسخ، ثم الى ماكسين ٦ فراسخ، ثم الى قرقيساء ٧ فراسخ.

الطريق من الرقة الى الثغور الجزرية:[٦]

فمن الرقة الى عين الرومية ٦ فراسخ، ثم الى تل عبدا ٧ فراسخ، ثم الى سروح ٧ فراسخ، ثم الى المزينة ٦ فراسخ، ثم الى سميساط ٧ فراسخ، ثم الى حصن منصور ٦ فراسخ، ثم الى ملطية ١٠ فراسخ، ثم الى كمخ ٤ فراسخ، ثم الى زيطرة ٤ فراسخ، ثم الى الحدث ٤ فراسخ، ثم الى مرعش ٥ فراسخ.

الطريق من الرملة الى مصر:[٧]

ابن خرداذبه:

من الرملة الى ازدود ١٢ ميلا، ثم الى غزة ٢٠ ميلا، ثم الى رفح ١٦ ميلا، ثم الى العريش ٢٤ ميلا، ثم الى الورادة ١٨ ميلا، ثم الى الثعامة ١٨ ميلا، ثم الى العذيب ٢٠ ميلا، ثم الى الفرما ٢٤ ميلا، ثم الى جرجير ٣٠ ميلا، ثم الى الغاضرة ٢٤ ميلا، ثم الى مسجد قضاعة ١٨ ميلا، ثم الى بلبيس ٢١ ميلا، ثم الى الفسطاط مدينة مصر ٢٤ ميلا.

قدامة بن جعفر

من الرملة الى ازدود ١٢ ميلا، ثم الى غزة ٢٠ ميلا، ثم الى رفح ١٦ ميلا، ومن العريش يفترق الى اثنين: طريق الجفار ويبدأ من العريش الى الورادة ١٨ ميلا، ثم الى البقارة ٢٠ ميلا، ثم الى الفرماء ٢٤ ميلا. وطريق الساحل من العريش الى المخلصة ٢١ ميلا، ثم الى القصر ٢٤ ميلا، ثم الى الفرما ٢٤ ميلا، ومن الفرما يختلف الطريق الى الفسطاط قصبة مصر. فطريق للشتاء وطريق للصيف من الفرما الى جرجير ٣٠ ميلا، وثم الى فاقوس الغاضرة ٢٤ ميلا، ثم الى مسجد قضاعة ١٨ ميلا، ثم الى بلبيس ٢١ ميلا، ثم الى الفسطاط ٢٤ ميلا. وطريق الشتاء يبدأ من فرما الى المرصد ثم الى الغاضرة ٣٤ ميلا، حيث يلتقي الطريقان.

٦-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ١١٢-١١٥.

٧-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٨٠-٨٤-٨٥.

الطريق من الفسطاط الى برقة وافريقية والمغرب:[٨]

من الفسطاط الى الاسكندرية:

من الفسطاط الى ذات الساحل ٢٤ ميلا، ثم الى ترنوط ٣٠ ميلا، ثم الى كوم شريك ٢٢ ميلا، ثم الى الرافقة ٢٤ ميلا، ثم الى قرطا ٣٠ ميلا ثم الى كربون ٢٤ ميلا، ثم الى الاسكندرية ٢٤ ميلا.

من الاسكندرية الى برقة

من الاسكندرية الى ابوأمينة ٣٠ ميلا، ثم الى ذات الحمام ١٨ ميلا، ثم الى حنية الروم ٣٤ ميلا، ثم الى الطاحونة ٣٠ ميلا، ثم الى كنائس الجون ٢٤ ميلا، ثم الى جب العوسج ٣٠ ميلا، ثم الى سكة الحمام ٣٠ ميلا، ثم الى قصر الشماس ٣٥ ميلا، ثم الى خربة القوم ١٥ ميلا (٢٥ ميل عند قدامة) ثم اى خرائب ابي حليمة ٣٥ ميلا، ثم الى العقبة ٢٠ ميلا، ثم الى مرج الشيخ ٢٠ ميلا، ثم الى حي عبد الله ٣٠ ميلا، ثم الى جياد الصغير ٣٠ ميلا، ثم الى جب الميدعان ٣٥ ميلا، ثم الى وادي فحيل ٣٥ ميلا، ثم الى جب حليمان ٣٥ ميلا، ثم الى وادي المغارة ٣٥ ميلا، ثم الى تاكنست ٢٥ ميلا، ثم الى الندامة ٢٥ ميلا، ثم الى برقة ٦ أميال.

من برقة الى طرابلس:[٩]

من برقة الى مليتية ٢٥ ميلا (١٥ عند قدامة) ثم الى قصر العسل ٢٩ ميلاً، ثم الى اوبران ١٢ ميلا، ثم الى سلوق ٣٠ ميلا، ثم الى برسمت ٢٤ ميلا، ثم الى بلبد ٢٠ ميلا، ثم الى اجدابية ٢٥ ميلا، ثم الى حرقرة ٢٠ ميلا، ثم الى سبخة منهوسا ٣٠ ميلا، ثم الى قصر العطش ٣٤ ميلا، ثم الى اليهودتين ٣٤ ميلا (٢٤ عند قدامة) ثم الى قصر العبادي ٣٤ ميلا، ثم الى سرت ٣٤ ميلا، ثم الى القريتين ١٣ ميلا (١٨ عند قدامة)، ثم الى قصور حسان ابن النعمان الغساني ٣٠ ميلا، ثم الى المنصف ٤٠ ميلا، ثم الى تورغا ٢٤ ميلا، ثم الى رغوغا ٢٠ ميلا، ثم الى ورداسا ١٨ ميلا، ثم الى المحتنى ٢٢ ميلا، ثم الى وادي الرمل ٢٠ ميلا، ثم الى طرابلس ٢٤ ميل.

٨-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١١٨-١١٩.

٩-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٨٥- ٨٦.

من طرابلس الى القيروان:

من طرابلس الى سبرة ٢٤ ميلا، ثم الى بئر الجمالين ٢٠ ميلا، ثم الى قصر الدرق ٣٠ ميلا، ثم الى بادرخت ٢٤ ميلا، ثم الى الفوارة ٣٠ ميلا، ثم الى قابس ٣٠ ميلا، ثم الى بئر الزيتونة ١٢ ميل (١٨ عند قدامة)ثم الى كتانة ٢٤ ميلا، ثم الى اليسر ٣٠ ميلا، ثم الى القيروان ٢٤ ميل.

الطريق من القيروان الى قرطبة:[١٠]

من افريقية (القيروان الى تونس مرحلتان على البغال وبين تونس والاندلس عرض البحر هو ستة فراسخ، ثم الى قرطبة مسيرة ٥ أيام.

١٠-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٢٣-١٢٤.

ثانياً طريق خراسان العظيم

ابن خرداذبه وقدامة:

من بغداد الى النهروان ٤ فراسخ، ثم اى دير تارما ٤ فراسخ، ثم اى الدسكرة ٨ فراسخ، ثم الى جلولا ٧ فراسخ. ثم الى خانقين ٧ فراسخ، ثم الى قصر شيرين ٦ فراسخ، ثم الى حلوان ٥ فراسخ (ومن حلوان الى بغداد ٤١ فرسخاً)

ومن حلوان الى ماذرواستان ٤ فراسخ، ثم الى مرج القلعة ٦ فراسخ، ثم الى قصر يزيد ٤ فراسخ، ثم الى الزبيدية ٦ فراسخ، ثم الى خشكاريش ٣ فراسخ، ثم الى قصر عمرو ٤ فراسخ، ثم الى قرميسين ٣ فراسخ (من قرمسين الى حلوان ٣٠ فرسخاً)

ابن خرداذبه[١١]:

من قرميسين الى الدكان ٧ فراسخ، ثم الى قصر اللصوص ٧ فراسخ، ثم الى خنداد ٧ فراسخ، ثم الى عقبة همذان الى قرية العسل ٣ فراسخ، ثم الى همذان ٥ فراسخ.

قدامة بن جعفر[١٢]

من قرميسين الى قنطرة مريم ٥ فراسخ، ثم الى الدكان ٤ فراسخ، ثم الى قصر اللصوص ٦ فراسخ، ثم الى اسد اباذ ٧ فراسخ، ثم الى الزعفرانية ٦ فراسخ، ثم الى همذان ٣ فراسخ (من قرميسين الى همذان ٣١ فرسخاً).

ومن أراد الطريق من قرميسين الى نهاوند أخذ من قرميسين الى الدكان ٧ فراسخ، ثم الى قصر اللصوص ٩ فراسخ، ثم الى كحراس، ثم الى نهاوند ٤ فراسخ (ومن قرميسين الى نهاوند ٢٥ فرسخاً).

ومن أراد نهاوند الى همذان فمن نهاوند - راكاه٦ فراسخ، ثم الى الديمن ٥ فراسخ، ثم الى همذان ٧ فراسخ (من نهاوند الى همذان ١٨ فرسخاً).

١١-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٨-١٩.

١٢-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩٢-٩٣.

الطريق من نهاوند الى الكرج وهي قصبة الايغارين:

من نهاوند الى راكاه ٦ فراسخ، ثم الى جوارب ٨ فراسخ، ثم الى الكرج ٥ فراسخ (ومن نهاوند الى الكرج ١٩ فرسخاً).

ومن أراد من همذان الى الايغارين وقصبتها الكرج:

فمن همذان الى طاسفندين ٥ فراسخ، ثم الى جوارب ٧ فراسخ، ثم الى الكرج ٥ فراسخ (من همذان الى الكرج ١٢ فرسخاً)

ومن همذان الى الكرج على رستاق سواه:

فمن همدان الى جوارب ٥ فراسخ، ثم الى خنداذ ٧ فراسخ، ثم الى السمعان ٢ فراسخ، ثم الى الكرج ٩ فراسخ، فذلك على هذا الطريق ٢٨ فرسخاً.

من أراد اصبهان من الكرج:

فمن الكرج الى خرماباذ ٧ فراسخ، ثم الى ابقيسة ٧ فراسخ، ثم الى جرباذ قان ٦ فراسخ، ثم الى قنوران ٨ فراسخ، ثم الى مرج وزهر ٧ فراسخ، ثم الى المازبين ٤ فراسخ، ثم الى ازميران ١٢ فرسخاً، ثم الى اصبهان ٣ فراسخ (ومن الكرج الى اصبهان ٥٤ فرسخاً)

ابن خرداذبه وقدامة[١٣]

من همذان الى درنوا ٥ فراسخ، ثم آلى يزدجرده ٥ فراسخ، ثم الى زره ٤ فراسخ، ثم الى طرزه ٤ فراسخ، ثم الى الاساوره ٤ فراسخ، ثم الى روذه وبوسته ٣ فراسخ، ثم الى داود اباذ ٤ فراسخ، ثم الى سوسنقين ٣ فراسخ، ثم الى درود ٤ فراسخ، ثم الى ساوة ٥ فراسخ، ثم الى مشكويه ٨ فراسخ (٩ ابن خرداذبة) ثم الى قسطانة ٨ فراسخ، ثم الى الري ٧ فراسخ (من همذان الى الري ٦٤ فرسخاً).

١٣-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩٤-٩٥.

ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٢٢-٢٣.

الطريق من الري الى نيسابور:

قدامة بن جعفر[١٤]

من الري الى مفضلا باذ ٤ فراسخ، ثم الى افريدين ٦ فراسخ، ثم الى كاسب ٨ فراسخ، ثم الى خوار ٦ فراسخ، ثم الى قصر الملح ٧ فراسخ، ثم الى رأس الكلب ٧ فراسخ، ثم الى سرخ ٤ فراسخ، ثم الى سمنان ٤ فراسخ، ثم الى آخرين ٩ فراسخ، ثم الى قرية داية ٤ فراسخ، ثم الى قومس ٤ فراسخ، ثم الى الحدادة ٧ فراسخ، ثم الى كوزستان ٤ فراسخ، ثم الى قم الى بذش ٣ فراسخ، ثم الى ميمد ١٢ فرسخاً، ثم الى هفتدر ٧ فراسخ، ثم الى اسد اباذ ٧ فراسخ، ثم الى بهمنا باذ ٦ فراسخ، ثم الى النوق ٦ فراسخ، ثم الى خسروجرد ٦ فراسخ، ثم الى حسينا باد ٤ فراسخ، ثم الى سنكردر ٥ فراسخ، ثم الى بيشكند ٥ فراسخ، ثم الى نيسابور ٥ فراسخ. (من الري الى نيسابور ١٤٠ فرسخاً).

الطريق من الري الى قزوين:

ابن خرداذبه[١٥]

ذات اليسار ٢٧ فرسخاً، ثم الى ابهر ١٢ فرسخاً، ثم الى زنجان ١٥ فرسخاً، ومن الري الى مفضلا باذ ٤ فراسخ، ثم الى كاسب ٦ فراسخ، ثم الى افربذين ٨ فراسخ، ثم الى الخوار ٦ فراسخ، ثم الى قصر الملح ٧ فراسخ، ثم الى رأس الكلب ٧ فراسخ، ثم الى سمنان ٨ فراسخ، ثم الى آخرين ٩ فراسخ، ثم الى قومس ٨ فراسخ، ثم الى الحدادة ٧ فراسخ، ثم الى كذش ٧ فراسخ، ثم الى ميمد ١٢ فرسخاً، ثم الى هفنكنذ ٧ فراسخ، ثم الى اسد اباد ٧ فراسخ، ثم الى بهمن اباد ٦ فراسخ، ثم الى النوق ٦ فراسخ، ثم الى خروجرد ٦ فراسخ، ثم الى حسين اباد ٦ فراسخ، ثم الى شكردرة ٥ فراسخ، ثم الى بيسكند ٥ فراسخ، ثم الى نيسابور ٥ فراسخ (ومن بغداد الى نيسابور ٣٠٥ فراسخ) (عند قدامة ٣٠٦ فراسخ).

١٤-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٩٦.

١٥-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٢٢-٢٣-٢٤.

الطريق من نيسابور الى مرو:

ابن خرداذبة وقدامة:

من نيسابور الى فعيس ٤ فراسخ، ثم الى الحمراء ٦ فراسخ، ثم الى المثقب من طوس ٥ فراسخ، ثم الى النوقان ٥ فراسخ، ثم الى مزدوران العقبة ٦ فراسخ، ثم الى اوكينة ٨ فراسخ، ثم الى سرخس ٦ فراسخ، ثم الى قصر النجار ٣ فراسخ، ثم الى اشتر مغاك ٥ فراسخ، ثم الى تلستانة ٦ فراسخ، ثم الى الراندانقان ٦ فراسخ، ثم الى ينوجرد ٥ فراسخ، ثم الى مرو ٥ فراسخ. (من نيسابور الى مرو ٧٠ فرسخاً).

ومن مرو يتفرع طريقان احدهما الى ناحية الشاش وبلاد الترك، الاخرى الى طخارستان.

الطريق الاول من مرو الى الشاش وبلاد الترك وفرغانة:

ابن خرداذبه[١٦]

من مرو الى كشماهن ٥ فراسخ، ثم الى الديوان ٦ فراسخ، ثم الى المنصف ٦ فراسخ، ثم الى الاحساء ٨ فراسخ، ثم الى بئر عثمان ٣ فراسخ، ثم الى آمل (من مرو الى آمل ٣٦ فرسخاً)، ثم الى شط نهر بلخ فرسخ، ويعبر الى فرمر فرسخ، ثم الى حصن ام جعفر مفازه ٦ فراسخ، ومنها الى بيكند ٦ فراسخ، ثم الى باب حائط بخارى فرسخان، ثم الى ماستين فرسخ ونصف، ثم الى بخارى فرسخ ونصف (من آمل الى نجارا ١٩ فرسخاً) ومن بخارا الى الشرع ٤ فراسخ، ثم الى طواويس ٣ فراسخ، ثم الى كوكشيغن ٦ فراسخ، ثم الى كرمينه ٤ فراسخ، ثم الى الدبوسية ٥ فراسخ، ثم الى سمرقند فرسخان (من بخارا الى سمرقند ٣٩ فرسخاً)، ومن سمرقند الى باركت ٤ فراسخ، ثم الى خشوفغن مفازه ٤ فراسخ، ثم الى فورتمذ ٥ فراسخ، ثم الى زامين ٤ فراسخ.

١٦–ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٢٠–٢٥–٢٦–٢٧–٢٨.

زامين مفرق طريقين:

١- الى الشاش وبلاد الترك:

من زامين الى خاوص ٧ فراسخ، مفازه ثم الى شط نهر الشاش جر ٩ فراسخ، ثم الى بناكت فمنها الى نهر الترك ٤ فراسخ، ويعبر الى شطوركت وبنونكت ٣ فراسخ، ثم الى الشاش ٢ فرسخان (سمرقند الى الشاش ٤٢ فرسخاً).

ومن الشاش الى معدن الفضة ٢ فراسخ، ثم الى باب الحديد ميلان، ثم الى كبال فرسخان، ثم الى غركرد ٦ فراسخ، ثم الى اسبيجاب مفازه ٤ فراسخ، (ومن الشاش الى اسبيجاب ١٣ فرسخاً)، ثم الى شاراب ٤ فراسخ، ثم الى بدوخكت ٥ فراسخ، ثم الى تمتاج ٤ فراسخ، ثم الى ابارجاج ٤ فراسخ، ثم الى منزل على النهر ٦ فراسخ، ثم الى جويكت ٥ فراسخ، ثم الى طراز ٣ فراسخ (من اسبيجاب الى طراز ٢٦ فرسخاً). ومن طراز الى نوشجان السفلى ثم الى كصرى باس فرسخان، ثم الى كول شوب ٤ فراسخ، ثم الى جل شوب ٤ فراسخ، ثم الى كولان ٤ فراسخ، ثم الى بركى ٤ فراسخ، ثم الى اسبره ٤ فراسخ، ثم الى نوزكت ٨ فراسخ، ثم الى خرنجوان ٤ فراسخ، ثم الى جول ٤ فراسخ، ثم الى سارع ٧ فراسخ، ثم الى مدينة خاقان الزكشي ٤ فراسخ، ثم الى نواكت ٤ فراسخ، ثم الى كبال ٣ فراسخ، ثم الى نوشجان الاعلى وهو حد الصين مسيرة خمسة عشر يوماً للقوافل في الّرعي فأما لبريد الترك فمسيرة ثلاثة أيام.

ب- الطريق الى فرغانة:[١٧]

من زامين الى سياط فرسخان، ثم الى اسروشنة ٧ فراسخ (من سمرقند الى اسروشنة ٢٦ فرسخاً)

ومن سباط الى غلوك ٦ فراسخ، ثم الى خنجندة ٤ فراسخ، ثم الى صامغار ٥ فراسخ، ثم الى خاجستان ٤ فراسخ، ثم الى مدينة باب ٣ فراسخ، ثم الى فرغانة ٤ فراسخ (من سمرقند الى فرغانة ٥٣ فرسخاً).

ثم الى قبا ١٠ فراسخ، ثم الى اوش ١٠ فراسخ، ثم الى ادزكند ٧ فراسخ، ثم الى العقبة مسيرة يوم، ثم الى اخباش مسيرة يوم، ثم الى نوشجان الاعلى مسيرة ستة أيام لا ترى فيها، ثم الى خاقان مسيرة ثلاثة أشهر.

١٧-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٢٨-٢٩-٣٠.

من مدينة مرو طريقان أحدهما الى ناحية الشاش وبلاد الترك، والآخر الى ناحية طخارستان:

قدامة بن جعفر[١٨]

١- طريق بلاد الشاش والترك وفرغانة:

من مرو الى كشماهن ٥ فراسخ، ثم الى الديوان وبها سكة ٦ فراسخ، ثم الى الطهلج موضع سكة فرسخان، ثم الى المنصف موضع سكة ٤ فراسخ، ثم الى الاحساء موضع سكة ٨ فراسخ، ثم الى نهر عثمان موضع سكة ٣ فراسخ، ثم الى العقير موضع سكة ٣ فراسخ، ثم الى مدينة آمل ٣٦ فرسخاً (من مرو الى آمل ٣٦ فرسخاً).

من آمل الى شط نهر بلخ فرسخ، ثم الى قرية علي فرسخ، ثم الى حصن ام جعفر ٦ فراسخ، ثم الى بيكند ٦ فراسخ، ثم الى باب حائط نجارا فرسخان، ومن الباب الى قرية ماستين فرسخ ونصف، ومن ماستين الى بخارا ٥ فراسخ، (من أمل الى بخارا ٢٢ فرسخاً).

- من بخارا الى شرغ ٤ فراسخ، ثم الى الطواويس ٣ فراسخ، ثم الى كوك ٣ فراسخ، ثم الى كرمينية ٤ فراسخ، ثم الى الدبوسية ٥ فراسخ، ثم الى أرينجن ٥ فراسخ، ثم الى زرمان ٦ فراسخ، ثم الى قصر علقمة ٥ فراسخ، ثم الى مدينة سمرقند فرسخان (ومن بخارا الى سمرقند ٣٧ فرسخاً)

- من سمرقند اى باركت ٤ فراسخ، ثمّ الى خشوفغن ٤ فراسخ، ثم الى فورتمذ ٥ فراسخ، ثم الى زامين مفازه ٤ فراسخ، وزامين هذه مفرق طريقين:

أ- الطريق الى الشاش:

من زامين الى خاوص ٦ فراسخ، ثم اى نهّر الشاش ٥ فراسخ، ثم الى بناكت ٤ فراسخ، ثم الى جينيجكت ٤ فراسخ، ثم الى بنونكت ٣ فراسخ، ثم الى مدينة شاش فرسخان، ثم الى معسكر فرسخان، ومنه الى غركد ٥ فراسخ، ثم الى اسبيجاب ٤ فراسخ، ثم الى شاراب ٤ فراسخ، ثم الى بدوخكت ٤ فراسخ، ثم الى متاج ٥ فراسخ، ثم الى بارجاج ٤ فراسخ، ثم الى منزل ٦ فراسخ، ثم الى شاوغر ٣ فراسخ، ثم الى جويكت فرسخان، ثم الى مدينة طراز فرسخان، ثم الى النوشجان السفلى ٣ فراسخ،

١٨-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩٨-٩٩-١٠٠.

ثم الى كصرى باس فرسخان، ثم الى كول شوب ٤ فراسخ، ثم الى كولان ٤ فراسخ، ثم الى قرية بركي ٤ فراسخ، ثم الى اسبره ٤ فراسخ، ثم الى نوزكت ٨ فراسخ، ثم الى خرنجوان ٤ فراسخ، ثم الى جول ٤ فراسخ ، ثم الى سارع ٧ فراسخ، ثم الى خاقان التركي ٤ فراسخ، ثم الى كرمراد فرسخان، ثم الى مدينة نواكت فرسخان، ثم الى بنجيكت فرسخان، ثم الى سوياب فرسخان، ثم الى نوشجان العليا وهي حد الصين ١٥ يوماً على سير القوافل ولبريد الترك مسيرة ٣ أيام.

ب- **الطريق الى فرغانة**[١٩] :

من زامين الى ساباط فرسخان، ثم الى كوكت ٣ فراسخ، ثم الى غلوك أنداز ٣ فراسخ، ثم الى خجندة على نهرالشامي ٤ فراسخ، ثم الى صامغراه ٥ فراسخ، ثم الى خاجستان ٤ فراسخ، ثم الى ترمقان ٦ فراسخ، ثم الى باب ٣ فراسخ ثم الى اخسيكت قصبة فرغانة ٤ فراسخ. (ومن سمرقند الى فرغانة ٣٥ فرسخاً) .

- ومن فرغانة الى قبا ١٠ فراسخ، ثم الى أوش ٧ فراسخ، ثم الى يوزكند ٧ فراسخ، ثم الى العقبة مسيرة يوم ثم الى اطباش مسيرة يوم ثم الى النوشجان الاعلى.

الطريق الثاني:

من مرو الى طخارستان:

ابن خرداذبه وقدامة:

من مرو الى فاز ٧ فراسخ، ثم الى مهدي اباد ٦ فراسخ، ثم الى يحيى اباد ٧ فراسخ، ثم الى القريتين ٥ فراسخ، ثم الى أسد اباد ٧ فراسخ، ثم الى حوزان ٦ فراسخ، ثم الى قصر الاحنف بن قيس ٤ فراسخ، ثم الى مرو الروذ ٥ فراسخ، ثم الى ارسكن ٥ فراسخ، ثم الى الاسراب ٧ فراسخ، ثم الى كنجاباذ ٦ فراسخ، ثم الى الطالقان ٦ فراسخ، ثم كنسحاب ٥ فراسخ، ثم الى ارغين ٥ فراسخ، ثم الى قصر خوط ٥ فراسخ، ثم الى الفارياب ٥ فراسخ، ثم الى القاع ٩ فراسخ، ثم الى الشبورقان ٩ فراسخ، ثم الى السدره، من بلخ ٦ فراسخ، ثم الى بلخ ٣ فراسخ (من مرو الى بلخ ١٢٦ فرسخاً عند ابن خرداذبة[٢٠].

١٩-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٠٤- ١٠٥-١٠٦-١٠٧.

٢٠- ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٣٢.

ويعبر نهر بلخ الى الترمذ ومنها الى صرمنجان ٦ فراسخ، ثم الى دارزنجي ٦ فراسخ، ثم الى برنجي ٧ فراسخ، ثم الى الصغانيان ٥ فراسخ، ثم الى بونذا ٦ فراسخ، ثم الى هموران ٧ فراسخ، ثم الى ابان كسوان ٨ فراسخ، ثم الى شومان ٥ فراسخ، ثم الى واشجرد ٤ فراسخ، ثم الى الراشت أقصى خراسان من ذلك الوجه مسيرة أربعة أيام.

اما الطريق من بلخ الى طخارستان العليا:[٢١]

فمن بلخ الى ولارى ٥ فراسخ، ثم الى مدينة خلم ٥ فراسخ، ثم الى بهار ٦ فراسخ، ثم الى بكبانول ٥ فراسخ، ثم الى قارض عام ٧ فراسخ.

٢١-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٣٣-٣٤.

- قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٠٨-١٠٩.

ثالثاً الطريق من سوق الإهواز الى فارس

ابن خرداذبه[22]

من الاهواز الى أزم ٦ فراسخ

ومنها الى عبدين ٥ فراسخ

ثم الى رام هرمز ٦ فراسخ

ثم الى الزط ٦ فراسخ

ثم الى هليزان ٨ فراسخ

ثم الى أرجان ٨ فراسخ

ثم الى داسين ٥ فراسخ

ثم الى بندك ٦ فراسخ

ثم الى خان حماد ٦ فراسخ

ثم الى الدرخويد ٤ فراسخ

ثم الى النوبندجان ٨-٦ فراسخ

ثم الى كرجان ٥ فراسخ

ثم الى الخرارة ٧ فراسخ

ثم الى جوين ٥ فراسخ

ثم الى شيراز ٥ فراسخ

ومن سوق الاهواز الى دورق في الماء ١٨ فرسخ وعلى الظهر ٢٤ فرسخ

ومن شيراز الى فسا ٣٠ فرسخ

ومن فسا الى درايجرد ١٨ فرسخ

ومن شيراز الى جور ٢٠ فرسخ

قدامة[23]

من سوق الاهواز الى حويرول ٢ فرسخ

ثم الى أزم ٤ فراسخ

ثم الى سابل ٤ فراسخ

ثم الى قرية الحبارى ٣ فراسخ

ثم الى العين ٣ فراسخ

ثم الى رام هرمز ٤ فراسخ

ثم الى وادي الملح ٤ فراسخ

ثم الى الزط ٢ فرسخ

ثم الى خابران ٣ فراسخ

ثم الى السترا ح ٢ فرسخ

ثم الى دهليزان ٢ فرسخ

ثم الى كبارستان ٣ فراسخ

ثم الى نسابل ٣ فراسخ

ثم الى أرجان ٥ فراسخ

ثم الى داسين ٧ فراسخ

ثم الى بندق ٦ فراسخ

ثم الى خان حماد ٦ فراسخ

ثم الى أمران ٩ فراسخ

ثم الى النوبندجان ٦ فراسخ

٢٢-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٤٣-٤٤-٤٦-٤٧.

٢٣-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٨٩.

ومنها الى البيضاء ٧ فراسخ

ومن شيراز الى النوبندجان ٢٣ فرسخ

ومن شيراز الى اصطخر ١٢ فرسخ

ثم الى الكركان ٥ فراسخ

ثم الى الخرارة ٥ فراسخ

ثم الى خلان ٥ فراسخ

ثم الى جويم ٤ فراسخ

ثم الى شيراز ٥ فراسخ

فمن الاهواز الى شيراز مئة فرسخ وفرسخان

الطريق من شيراز الى كرمان ثم الى سجستان:

ابن خرداذبه[٢٤]

من شيراز الى الراديان ٧ فراسخ

ثم الى خرمه ٧ فراسخ

ثم الى البرانجان ٤ فراسخ

ثم الى كند ٦ فراسخ

ثم الى الحيرة ٦ فراسخ

ثم الى بئر عقبة ٥ فراسخ

ثم الى الميسكانان ٨ فراسخ

ثم الى صاهك ٨ فراسخ

ثم الى سروشك ٧ فراسخ

ثم الى شهربابك ٧ فراسخ

ثم الى قصر النعمان ٨ فراسخ

ثم الى قرية إبان ٤ فراسخ

ثم الى المرجان ٤ فراسخ

ثم الى السيرجان ٤ فراسخ

قدامة[٢٥]

من شيراز الى اصطخر ١٢ فرسخ

ثم الى زياد اباذ ٨ فراسخ

ثم الى جوبانان ٤ فراسخ

ثم الى قرية عبد الرحمن ٦ فراسخ

ثم الى قرية آلاس ٧ فراسخ

ثم الى صاهك ٦ فراسخ

ثم الى سرمقان ٩ فراسخ

ثم الى بشتخم ١٠ فراسخ

ثم الى بيمند ١٠ فراسخ

ثم الى السيرجان ٤ فراسخ

فمن شيراز الى السيرجان ٧٦ فرسخ

من السيرجان الى قهستان ٦ فراسخ

ثم الى رباط كومخ ٨ فراسخ

ثم الى ساهوى ٦ فراسخ

٢٤–ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٤٨–٤٩–٥٠.

٢٥–قدامة: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩٠–٩١.

ثم الى قهستان ٦ فراسخ
ثم الى قراطة ٦ فراسخ
ثم الى رستاق ٦ فراسخ
ثم الى خناب ٤ فراسخ
ثم الى الغبيرا ٥ فراسخ
ثم الى خان جوزان ٥ فراسخ
ثم الى خان خوخ ٦ فراسخ
ثم الى سروستان ٧ فراسخ
ثم الى ديروزين ٥ فراسخ
ثم الى بم ٩ فراسخ
ثم الى نرماشير ٧ فراسخ

ثم الى امسير ٤ فراسخ
ثم الى خناب ٦ فراسخ
ثم الى غبيرا ٤ فراسخ
ثم الى كورم ٨ فراسخ
ثم الى كشك ٨ فراسخ
ثم الى رائين ١٠ فراسخ
ثم الى دارجين ٨ فراسخ
ثم الى بم ١٢ فرسخاً
ثم الى نرماسير ٨ فراسخ
ثم الى سبجستان ١٠٠ فرسخ
فمن السيرجان قصبة كرمان الى
سجستان ١٨٨ فرسخ

ثم الى الفهرج ٧ فراسخ
ثم الى الاحساء ٨ فراسخ
ثم الى جرج منارة ٩ فراسخ
ثم الى رباط بعيدة ٧ فراسخ
ثم الى اسبيذ ٩ فراسخ
ث م الى كراغان ٨ فراسخ

ابن خرداذبة:[٢٦]

الطريق الى بئر القاضي ٨ فراسخ، ثم الى راشد ٦ فراسخ، ثم الى كاونيشك اربعة فراسخ، ثم الى بردين ٨ فراسخ، ثم الى جارون ٥ فراسخ، ثم الى سجستان ٦ فراسخ، ومن سجستان الى هراة ٨٠ فرسخ.

٢٦-ابن خرداذبه: المسالك والممالك ، ص ٤٨- ٤٩- ٥٠.
- قدامة ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩٠- ٩١.

الطريق من شيراز الى أصبهان:

من شيراز الى نيسابور ٧ فراسخ، ومن نيسابور الى مائين ٧ فراسخ، ثم الى عقبة كيسا ٣ فراسخ، ثم الى خوسكان ٧ فراسخ، ثم قصر ابن ٥ فراسخ، ثم الى اصطخران ٧ فراسخ، ثم الى خوارش ٦ فراسخ ثم الى سراي ماس ومروة ٤ فراسخ، ثم الى كرو ٧ فراسخ، ثم الى الخان ٩ فراسخ، ثم الى اصبهان ٧ فراسخ، فذلك من شيراز الى أصبهان ٧٠ فرسخ.

الطريق من الاهواز الى أصبهان [٢٧]:

فمن سوق الاهواز الى عسكر مكرم ٨ فراسخ، ثم الى الميانج ٧ فراسخ، ثم الى ايذج ٣ فراسخ، ثم الى برنابل ٤ فراسخ، ثم الى رستاكرد ٧ فراسخ، ثم الى شليل ٥ فراسخ، ثم الى خوزستان ٩ فراسخ، ثم الى أربهشت أباذ ٤ فراسخ، ثم الى كريركان ٧ فراسخ، ثم الى بابكان ٧ فراسخ، ثم الى الخان ٧ فراسخ، ثم الى أصبهان ٧ فراسخ، فذلك من الاهواز الى أصبهان ٨٥ فرسخ على طريق ايذج.

الطريق من شيراز الى نيسابور [٢٨]:

من شيراز الى الزرقان ٦ فراسخ، ثم الى قنطرة الكوسجان ٢ فرسخان، ثم الى اصطخر ٤ فراسخ، ثم الى برد ٣ فراسخ، ثم الى منزل فيه بئر ٩ فراسخ، ثم الى جه ٥ فراسخ ، ثم الى الكرجار ٤ فراسخ، ثم الى كركولان ٥ فراسخ، ثم الى هندسك ٧ فراسخ، ثم الى مهر آباذ ٣ فراسخ، ثم الى أبركويه ٣ فراسخ، ثم الى مهاجر ١٠ فراسخ، ثم الى قصر الاسد ١٥ فرسخ، ثم الى قصر الجوز ٧ فراسخ، ثم الى القلعة ٥ فراسخ، ثم الى يزد ٦ فراسخ، ثم الى انجيرة ٦ فراسخ، ثم الى خراتة ١٣ فرسخ، ثم الى ساغند ١٢ فرسخ، ثم الى رباط محمد بن يزداد ٨ فراسخ، ثم الى خان اشتران ٦ فراسخ، ثم الى الحبائك ٧ فراسخ، ثم الى جواران ٤ فراسخ، ثم الى طمحرهان ٤ فراسخ، ثم الى الطبسين ٨ فراسخ، ثم الى قرية محمد بن خرزاذ ٤ فراسخ، ثم الى سرخذ ٤ فراسخ، ثم الى افريذون ١٢ فرسخ، ثم الى زنجي ١٢ فرسخ، ثم الى الطريثيث ٤ فراسخ، ثم الى خاسكير ٨ فراسخ، ثم الى قرى قهستان ٤ فراسخ، ثم

٢٧-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٥٠.

٢٨-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٩١-٩٢.

الى الهوار ٦ فراسخ، ثم الى اقبرسة ٦ فراسخ، ثم الى نيسابور ٦ فراسخ، ومن نيسابور الى هراة ٨٠ فرسخ.

الطريق من الاهواز الى أصبهان

من ايذج الى جواردان ٣ فراسخ، ثم الى رستاجرد ٤ فراسخ، ثم الى سليدست ٦ فراسخ، ثم الى بوين ٥ فراسخ، ثم الى سوجر ٦ فراسخ، ثم الى الرباط ٧ فراسخ، ثم الى خان الابرار ٧ فراسخ، ثم الى أصبهان ٧ فراسخ.

الطريق من فارس الى اصبهان[٢٩]

من فارس الى كام فيروز ٥ فراسخ، ثم الى كورد ٥ فراسخ، ثم الى تجاب ٤ فراسخ، ثم الى سمارم ٥ فراسخ، ثم الى سياء ٥ فراسخ، ثم الى البورجان ٧ فراسخ، ثم الى كيبالي ٦ فراسخ، ثم الى خان الابرار ثم الى أصبهان.

الطريق من أصبهان الى الري:

من اليهودية الى برخوار ٣ فراسخ، ثم الى رباط رز ٧ فراسخ، الى أنبارز ٥ فراسخ، ثم الى أضعافه ٦ فراسخ، ثم الى الدفار ٤ فراسخ، ثم الى باذه ٥ فراسخ، ثم الى أبرويزه ٥ فراسخ، ثم الى حواضر ٩ فراسخ، ثم الى المقطعة ٥ فراسخ، ثم الى قارص ٩ فراسخ، ثم الى قم ٦ فراسخ، ومن قارص الى الدير ٧ فراسخ، ثم الى دزه ٧ فراسخ، ثم الى الري ٧ فراسخ.

الطريق من شيراز الى درابجرد:

من شيراز الى قرية بكار ثلاثة فراسخ، ثم الى الرمان ٤ فراسخ، ثم الى خورستان ٩ فراسخ، ثم الى كرم ٥ فراسخ، ثم الى فسا ٤ فراسخ، ثم الى طمستان ٤ فراسخ، ثم الى الفستكان ٦ فراسخ، ثم الى فساروذ ٤ فراسخ، ثم الى درابجرد ٨ فراسخ .

الطريق من اصطخر الى السيرجان مدينة كرمان[٣٠]:

من اصطخر الى حفر ٧ فراسخ، ثم الى البحيرة ٥ فراسخ، ثم الى أسبنجان ٧ فراسخ، ثم الى قرية الآس ٤ فراسخ، ثم الى الصاهك الكبرى ستة فراسخ، ثم الى قرية الملح ٩ فراسخ، ثم الى قرية موريانة ٨ فراسخ، ثم الى روان ٣ فراسخ، ثم الى

٢٩-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٥٠-٥١-٥٢-٥٧-٥٨.

٣٠-المصدر نفسه: ص ٥٨-٥٩.

المرجان ١٠ فراسخ، ثم الى شيراز الى هذا الموضع أحد وسبعون فرسخاً، ثم الى الروت ٣ فراسخ، ثم الى فرمان فرسخان، ثم الى السيرجان ١١ فرسخ، ضمن آخر عمل فارس الى السيرجان ١٦ فرسخ، ثم الى نرماشير ٧ فراسخ، ثم الى الفهرج ٤ فراسخ، والمفازة ٧٠ فرسخ.

ومن المرجان الى بيمند ٤ فراسخ، ثم الى السيرجان ٤ فراسخ، ثم الى الارحاء ٦ فراسخ، ثم الى استورة ٤ فراسخ، ثم الى خان سالم ٨ فراسخ، ثم الى بأخنة ٨ فراسخ، ثم الى وادي قهندز ١٢ فرسخ، ثم الى أسبيذنة ٤ فراسخ، ثم الى المعدن ٤ فراسخ، ثم الى الرباط ٤ فراسخ، ثم الى جيرفت ٤ فراسخ، ومن جيرفت الى بم ٢٠ فرسخ ، ثم الى نهر سليمان ٢٠ فرسخ، ثم الى الدهكان خمسون فرسخاً، ثم الى مكران والمنصورة وبلاد السند. من جيرفت الى أول عمل مكران احد وأربعون فرسخاً.

الطريق من الفهرج الى السند:

من الفهرج الى الطابران ١٠ فراسخ، ثم الى باسورجان ١٤ فرسخ، ثم الى قرية يحيى بن عمرو ١٠ فراسخ، ثم الى هذار ١٠ فراسخ، ثم الى مدر ١٠ فراسخ، ثم الى موسارة ٩ فراسخ، ثم الى درك باموبه ٩ فراسخ، ثم الى تجين ١٠ فراسخ، ثم الى مقاطعة البلوص ٢٠ فرسخ، ثم الى الجبل المالح ٦ فراسخ، ثم الى النخل ٩ فراسخ، ثم الى قلمان ٦ فراسخ، ثم الى سراي خلف ٤ فراسخ، ثم الى قنزبور ٣ فراسخ، ثم الى حيس ٢٠ فرسخ، ثم الى سراي داران ١٠ فراسخ، ثم الى الجيتة ١٠ فراسخ، ثم الى قصدار ١٠ فراسخ، ومن قصدار الى الجور اربعون فرسخاً، ثم الى اسروشان اربعون فرسخاً، ثم الى قرية سليمان بن سميع ٢٨ فرسخاً، ثم الى المنصورة ٨٠ فرسخ. فمن أول عمل مكران الى المنصورة ٣٥٨ فرسخ.[٣١]

٣١-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ٥٢-٥٣-٥٤-٥٥.

الطريق من البصرة الى المشرق مع ساحل فارس [٣٢]:

من البصرة الى جزيرة خارك ٥٠ فرسخ، ثم الى جزيرة لاوان ٨٠ فرسخ، ثم الى جزيرة أيرون ٧ فراسخ، ثم الى جزيرة خين ٧ فراسخ، ثم الى جزيرة كيس ٧ فراسخ، ثم الى جزيرة بن كاوان ١٨ فرسخ، ثم الى أرموز ٧ فراسخ، ثم الى ثارا مسيرة سبعة أيام، ثم الى الديبل مسيرة ٨ أيام، ثم الى مصب مهران نهر السند في البحر فرسخان، ومن مهران الى أوتكين مسيرة أربعة أيام، ثم الى كولى فرسخان، ثم الى سندان ١٨ فرسخ، ثم الى ملى مسيرة خمسة أيام، ثم الى بلين مسيرة يومين. ثم الى اللجة العظمى مسيرة يومين.

ومن بلين تفرق الطرق في البحر ، فمن أخذ مع الساحل فمن بلين الى بابتن مسيرة يومين. ثم الى السنجلى وكبشان مسيرة يوم، ثم الى مصب كودا فريد ٣ فراسخ، ثم الى كيلكان واللوا وكنجة مسيرة يومين ثم الى سمندر ١٠ فراسخ، ثم الى اورنشين ١٢ فرسخ، ثم الى أبنيه ٤ أيام.

ومن بلين الى سرنديب يوم ومن أراد الصين من سرنديب الى جزيرة النكبالوس ١٠ أيام ثم الى جزيرة كله ٦ أيام، ثم الى جزيرة بالوس مسيرة يومين، ثم الى جزيرة جابه فرسخين. ثم الى بلاد منبت العطر ١٥ يوم.

والطريق الى الصين من مايط الىّ قمار ٥ أيام، ثم الى الصنف ٣ أيام، ثم الى لوقين ١٠٠ فرسخ، ثم الى خانفو مسيرة ٤ أيام في البحر، و٢٠ يوم في البر، ثم الى خانجو ٨ أيام، ثم الى قانطو ٢٠ يوم.

٣٢-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٦١-٦٢-٦٣.

- المصدر نفسه: ص: ٦٤-٦٦-٦٨-٦٩.

رابعاً الطريق الى نواحي الشمال:

قدامة[٢٣]	ابن خرداذبه[٢٤]
من سن سميرة الى الدينور ٥ فراسخ	من الدينور الى الخبارجان ٧ فراسخ
ثم الى الخورجان ٩ فراسخ	ثم الى تل وان ٦ فراسخ
ثم الى تل وان ٦ فراسخ	ثم الى سيسر ٧ فراسخ
ثم الى سيسر ٧ فراسخ	ثم الى اندراب ٤ فراسخ
ثم الى اندراب ٤ فراسخ	ثم الى البيلقان ٥ فراسخ
ثم الى البيلقان ٥ فراسخ	ثم الى برزة ٦ فراسخ
ثم الى برذة ٦ فراسخ	ثم الى سابرخاست ٨ فراسخ
ثم الى سابرخاست ٨ فراسخ	ثم الى المراغة ٧ فراسخ
ثم الى المراغة ٧ فراسخ	ثم الى داخرقان ١١ فرسخ
ثم الى ده الخرقان ١١ فرسخ	ثم الى تبريز ٩ فراسخ
ثم الى تبريز ٩ فراسخ	ثم الى مرند ١٠ فراسخ
ثم الى مرند ١٠ فراسخ	ثم الى الخان ٤ فراسخ
من المراغة الى كولسره ١٠ فراسخ	ثم الى خوص ٦ فراسخ
ثم الى سراة ١٠ فراسخ	ومن المراغة الى كورسره ١٠ فراسخ
ثم الى النير ٥ فراسخ	ثم الى سراة ١٠ فراسخ
ثم الى اردبيل ٥ فراسخ	ثم الى النير ٥ فراسخ
ثم الى خان بابك ٨ فراسخ	ثم الى أردبيل ٥ فراسخ
ثم الى برزند ٦ فراسخ	ثم الى موقان ١٠ فراسخ
ثم الى بهلاب ١٢ فرسخ	ومن اردبيل الى خش ٨ فراسخ
من اردبيل الى موقان ٤ فراسخ	ثم الى برزند ٦ فراسخ
من برزة الى تفليس ٢ فرسخ	ثم الى سادراسب ٢ فرسخ

٢٣-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٠٩-١١٠-١١١.

٢٤-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ١٢٠-١٢١.

ومن تفليس الى جابروان ٦ فراسخ

ثم الى نريز ٤ فراسخ

ثم الى أرمية ١٤ فرسخ

ثم الى سلماس ٦ فراسخ

ثم الى زهركش ٢ فرسخ

ثم الى دوالرود ٢ فرسخ

ثم الى البد ١ فرسخ

والطريق من برزند الى صحراء بلاسجان والى ورثان آخر عمل أذربيجان ١٢ فرسخ.

ومن مرتد الى الجار ٤ فراسخ

ثم الى خوى ٦ فراسخ

ابن قدامة[٣٥]

ومن أراد أرمينية من هذا

الطريق فمن مرند الى السرى ١٠ فراسخ

على الوادي ومن الوادي الى نشوى ١٠ فراسخ

ومن نشوى الى دبيل ٢٠ فرسخ

ومن أراد ورثان الى برزعة فمن ورثان

الى قومام ٣ فراسخ ثم الى البيلقان

٧ فراسخ ثم الى برزعة ٣ فراسخ

ابن خرداذبه[٣٦]

ومن المراغة الى جنزة ٦ فراسخ

ثم الى موس آباذ ٥ فراسخ

ثم الى برزة ٤ فراسخ

ثم الى جابروان ٨ فراسخ

ثم الى نريز ٤ فراسخ

ثم الى أرمية ١٤ فرسخ

ثم الى سلماس ٦ فراسخ

ومن مرند الى الوادي ١٠ فراسخ ثم الى نشوى ١٠ فراسخ، ثم الى دبيل ٢٠ فرسخ

ومن ورثان الى درمان ٣ فراسخ

ثم الى البيلقان ٩ فراسخ

ثم الى برذعة ١٤ فرسخ

ثم الى البذ ٣٠ فرسخ

٣٥-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١١١.

٣٦-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ١٣١-١٣٢.

طرق الحج

خامساً: الطريق الى مكة:

ابن خرداذبة وقدامة [٣٧]: من بغداد الى جسر كوش سبعة فراسخ، ثم الى قصر ابن هبيرة خمسة فراسخ، ثم الى سوق أسد سبعة فراسخ، ثم الى ساهي سبعة فراسخ (خمسة قدامة) ثم الى الكوفة خمسة فراسخ، ثم الى القادسية خمسة عشر ميلا، ثم الى العذيب ستة أميال ثم الى المغيثة اربعة عشر ميلا، ثم الى القرعاء اثنان وثلاثون ميلا، ثم الى واقعة اربعة وعشرون، ثم الى العقبة تسعة وعشرون ميلا، ثم الى القاع اربعة وعشرون ميلا، ثم الى زبالة اربعة وعشرون ميلا، ثم الى الشقوق واحد وعشرون ميلا (ثمانية عشر ميلا) قدامة ثم الى قبر العبادي تسعة وعشرون ميلا، ثم الى الثعلبية تسعة وعشرون ميلا، ثم الى الخزيمية اثنان وثلاثون ميلا (ثلاثة وثلاثون ميلا قدامة) ثم الى الاجفر اربعة وعشرون ميلا، ثم الى فيد ستة وثلاثون ميلا، ثم الى توز واحد وثلاثون ميلا (ثلاثة وثلاثون ميلا قدامة) ثم الى سميراء ثلاثة عشر ميلا (ستة عشر ميلا قدامة) ثم الى الحاجر ثلاثة وعشرون ميلا، ثم الى معدن اربعة وثلاثون ميلا (سبعة وعشرون ميلا قدامة).

ابن خرداذبة: فمن أخذ على المدينة فمن المعدن الى العسيلة ستة وأربعون ميلا ثم الى بطن نخل ستة وثلاثون ميلا، ثم الى الطرف اثنان وعشرون ميلا، ثم الى المدينة خمسة وثلاثون ميلا.

٣٧- ابن خرداذبة: المسالك والممالك،ص ١٢٥-١٢٦-١٢٧.

- قدامة بن جعفر: كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٧٨-٧٩-٨٠.

طريق الجادة من معدن النقرة الى مكة:

من المعدن الى مغيثة الماوان ثلاثة وثلاثون ميلا، ثم الى الربذة اربعة وعشرون ميلا، ثم الى معدن بني سليم اربعة وعشرون ميلا، ثم الى السليلة ستة وعشرون ميلا، ثم الى العمق واحد وعشرون ميلا، ثم الى الافيعة اثنان وثلاثون ميلا، ثم الى السلح اربعة وثلاثون ميلا، ثم الى الغمرة ثمانية عشر ميلا، ثم ذات عرق ستة وعشرون ميلا، ثم الى بستان بني عامر اثنان وعشرون ميلا، ثم الى مكة اربعة وعشرون ميلا، فمن بغداد الى مكة ثمان مئة وسبعون وعشرون ميلا[٣٨].

قدامة: من النقرة الى مغيثة الماوان سبعة وعشرون ميلا،ثم الى الربذة اربعة وعشرون ميلا، ثم الى معدن بني سليم تسعة عشر ميلا، ثم الى العمق ستة وعشرون ميلا، ثم الى افاعية اثنان وثلاثون ميلا، ومن النقرة الى العسيلة ستة واربعون ميلا ، ثم الى بطن النخل ستة وثلاثون ميلا، ثم الى الطرف اثنان وعشرون ميلا، ثم الى المدينة خمسة وثلاثون ميلا[٣٩].

الطريق من المدينة الى مكة:

ابن خرداذبه وقدامة

من المدينة الى الشجرة ستة أميال ثم الى ملل اثنا عشر ميلا ثم الى السيالة تسعة عشر ميلا ثم الى الرويثة اربعة وثلاثون ميلا، ثم الى السقيا ستة وثلاثون ميلا، ثم الى الابواء تسعة وعشرون ميلا، ثم الى الحجفة سبعة وعشرون ميلا، ثم الى قديد سبعة وعشرون ميلا (ستة وعشرون ميلا قدامة)، ثم الى عسفان اربعة وعشرون ميلا، ثم الى بطن مر ثلاثة وثلاثون ميلا (ستة عشر ميلا قدامة)ثم الى مكة ستة عشر ميلاً[٤٠].

٣٨-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٢٨-١٣١-١٣٢.

٣٩-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ٨٠-٨١-٨٢.

٤٠-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١٣٠-١٣١.

الطريق من مكة الى اليمن:

ابن خرداذبه[٤١]	قدامة[٤٢]
من مكة الى بئر ابن المرتفع ثم الى قرن المنازل	من الغمرة الى الجدد اثنا عشر ميلا وهو موضع
ثم الى الفتق ثم الى صفن ثم الى تربة ثم الى كرى	البريد ثم الى الفتق ثم الى تربة ثم الى صفر وهي
ثم الى رنية ثم الى تبالة ثم الى بيشة بعطان	منزل فيه داران لصاحب البريد في الصحراء ثم
ثم الى جسداء ثم الى بنات حرم ثم الى يبمبم	الى كرا وبه منزل صاحب بريد ثم الى
ثم الى كتنة ثم الى الثجة ثم الى سروم را	رنية ثم الى تبالة ثم الى بيشة ثم الى جسداء
ثم الى المهجرة ثم الى عرقة ثم الى صعدة ثم	ثم الى بنات حرم ثم الى سميص ثم الى كثبة ثم
الى الاعمشية ثم الى خيوان ثم الى أثاقت ثم	الى الثجة موضع البريد ثم الى شروم راح ثم الى
الى صنعاء فمن صنعاء الى خيوان اربعة وعشرون	المهجرة ثم الى عرقة ثم الى صعدة ثم الى الاعمشية
فرسخاً ومن خيوان الى صعدة ستة عشر ميلا	ثم الى خيوان ثم الى أثافت ثم الى ريدة ثم الى
ومن صعدة الى المهجرة عشرون فرسخاً فبين	صنعاء قصبة اليمن وهذا الطريق هو الذي
المهجرة وصنعاء ستون فرسخاً	عليه الاميال وهو طريق العوامل والعمال

وقد علق متز آدم على الطرق المتجهة صوب مكة بقوله:

«أما طريق الحج من بغداد فكان يعبر الفرات عند الكوفة، ويقضي الى الصحراء عند العذيب».

وعلى الرغم من بعد مكة الشاسع فقد كان الناس يفدون إليها في موسم الحج من جميع أنحاء الدولة الإسلامية، ولم تكن فريضة الحج وحدها هي التي تجذب هذه الجماعات، بل كان يغريها أمان الطريق أيضاً في حماية قوافل الحج الكثيرة التي كانت تنهال إلى هناك من شتي النواحي.

٤١-ابن خرداذبه: المسالك والممالك ص، ١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧.

٤٢-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٨-١٨٩-١٩٠.

فمن ذلك ان كثيرين من تجار بغداد هاجروا مع قافلة الحج سنة ٣٣١ هجريا- ٩٤٣ م- إلى الشام ومصر، وذلك لإتصال الفتن ببغداد وتواتر المحن عليهم من السلطان.

وعلى عكس ذلك كان البعض يفرون من الشام من البيزنطيين، ففي عام ٣٣٥ هـ/٩٤٦ م التحق كثير من أهل الشام بقافلة الحج وقطعوا الطريق الشاسع من الشام إلى العراق مارين بمكة، وكان فيهم قاضي طرسوس، ومعه مئة وعشرون ديناراً »[٤٣].

وكان أكثر طرق المغرب خلال القرن الثالث الهجري يتجه نحو القيروان، وفي ذلك الحين كانت دولة بني الاغلب الاقوياء قد أقرت الأمن ومنحت الطرق جانباً من عنايتها، فكان على طول الساحل محارس ومخافر، وكان السفر مأموناً[٤٤] .

٤٣-متز آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هـ، ج٢، ص ٤١٨.

٤٤-المرجع نفسه، ص ٤١٨.

ملحق - ٢ -

أولاً سكك طريق المشرق:

ابن خرداذبه[٤٥]	قدامة[٤٦]
من سرى من رأى الى الدسكرة ١٢ سكة	من بغداد الى دسكرة ١٠ سكة
ومن بغداد الى الدسكرة ١٠ سكة	ثم الى جلولا ٤ سكة
ثم الى جلولا ٤ سكة	ثم الى حلوان ١٠ سكة
ثم الى حلوان ١٠ سكة	ثم الى نصير أباد المحطة الاخيرة
ثم الى نصير أباد ٩ سكة	في هذه المقاطعة ٩ سكة
ثم الى قرماسين ٦ سكة	ثم الى قرماسين ٦ سكة
ثم الى خردان ١٠ سكة	ثم الى جدار آخر محطة في منطقة
ثم الى همذان ٣ سكة	البريد الى خنداذ ١٠ سكة
ثم الى مسكرجة ٢١ سكة	ثم الى مدينة همذان ٣ سكة
ثم الى الري ١١ سكة	ثم الى مشكويه آخر محطة
ثم الى قومس ٢٣ سكة	في مقاطعة همذان في اتجاه
ثم الى نيسابور ١٩ سكة	الري ٢١ سكة
من سامراء الى واسط على البريد	من بغداد الى المدائن ٣ سكة
من سامراء الى عكبرة ٩ سكة	ثم الى جرجرايا ٨ سكة
ومنها الى بغداد ٦ سكة	ثم الى سكة جبل ٥ سكة
ومنها الى المدائن ٣ سكة	ثم الى واسط ٨ سكة
ثم الى دير العاقول ٤ سكة	ثم الى سكة باذبين ٣ سكة
ثم الى جرجرايا ٨ سكة	ثم الى دير مانية في نهاية شواطىء

٤٥-ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ٤١-٥٩.

٤٦-قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٢٥-١٢٦.

ثم الى جبل ٥ سكة

ثم الى واسط ٨ سكة

ومن بغداد الى واسط ٢٥ سكة

وبين واسط والحدود

من الاهواز ٢٠ سكة

ثم الى نوبندجان ١٧ سكة

ثم الى شيراز ١٢ سكة

ثم الى اصطخر ٥ سكة

دجلة نحو الاهواز ١٣ سكة

ثم الى نهر تبرين ٤ سكة

ثم الى سوق الاهواز ٣ سكة

ثم الى البرجان آخر محطة في

هذه المقاطعة من الاهواز ١٤ سكة

ثم من البرجان لغاية سكة

ارجان ١ سكة

ثم من سكة ارجان لغاية

نوبندجان ١٧ سكة

ثم الى شيراز ١٢ سكة

ثم الى اصطخر ٥ سكة

قدامة[٤٧]

سكك طريق العادل من باذبين

الى البصرة فيه فيوج مرتبون

ومن باذبين الى عبدس ٥ سكة

من عبدس الى سكة المزار ٨ سكة

ومن المذار الى البصرة وكانت

فيها دواب البريد ٣ سكة

ثم الى البصرة بها خيول

لحمل البريد ٣ سكة

من حلوان حسن شهر زور ٩ سكة

من حلوان حتى مدينة السيروان ٦ سكة

ثم الى سنسميرة ٤ سكة

ابن خرداذبه[٤٨]

من حلوان الى شهرزور ٩ سكة

من حلوان الى شيروان ٧ سكة

من حلوان الى الصيمرة ٤ سكة

الطريق الى اذربيجان وارمينيا

من سرسميرة الى الدينور ٢ سكة

ومن الدينور الى زنجان ٢٩ سكة

ثم الى المراغة ١١ سكة

ثم الى الميانج ٢ سكة

ثم الى اردبيل ١١ سكة

ثم الى ورثان وهي آخر عمل

اذربيجان ١١ سكة

٤٧–قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٢٦–١٢٧.

٤٨–ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٤١–١١٩–١٢٢–٤٢.

ثم الى دينور ٢ سكة

ثم اى يزد جرد على حدود دينور في

الطريق الى زنجان ١٨ سكة

ومن سكة يزجرد الى زنجان ١١ سكة

ومن زنجان الى المراغة ١١ سكة

ومن المراغة الى الميانج ٢ سكة

ومن سكة ورثان الى مدينة برذعة ٨ سكة

ومن سكة برذعة الى المنصورة ٤ سكة

ومن برذعة الى مدينة المتوكلية ٦ سكة

ومن المتوكلية الى تفليس ١٠ سكة

ومن البرذعة الى الباب والابواب ١٥ سكة

ومن برذعة الى دبيل ٩ سكة

سكك الطريق العادل الى قم وأصبهان

من الزرقاء الى قم ٣ سكة

من قم الى اصبهان ٤٧ فرسخ

ومن قم الى سكة الرمد آخر عملها

مما يلي اصبهان ١٣ سكة[50]

ومن ورثان الى برذعة ٨ سكة

ثم الى المنصورة ٤ سكة

ومن برذعة الى تفليس ١٠ سكة

ومن برذعة الى الباب والابواب ١٥ سكة

ومن البرذعة الى دابيل ٧ سكة

من حمدان الى قم ٤٧ سكة

ومن الورقاء الى قم ٣ سكة

ومن قم الى أصبهان ١٦ سكة

ومن مادران الى نهاوند ٣ سكة[49]

---

٤٩ –قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٢٦–١٢٧.

٥٠ –ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٤١–١١٩– ١٢٢–٤٢.

ثانياً: سكك طريق المغرب:

ابن خرداذبه[٥١]

من سامراء حتى جبلتا ٧ سكة

ثم الى السن ١٠ سكة

ثم الى الحديثة ٩ سكة

ثم الى الموصل ٧ سكة

ثم الى بلد ٣ سكة

ثم الى اذرمة ٩ سكة

ثم الى نصيبين ٦ سكة

ثم الى كفرتوثا ٦ سكة

ثم الى رأس العين ١٠ سكة

ثم الى الرقة ١٥ سكة

ثم الى النقيرة آخر عمل

ديار قصر ١٠ سكة

ثم الى منبج ٥ سكة

ثم الى حلب ٩ سكة

ثم الى قنسرين ٣ سكة

ثم الى صور ١٠ سكة

ثم الى حماه ٢ سكة

ثم الى حمص ٤ سكة

ثم الى خرشنة ٤ سكة

ثم الى بعلبك ٦ سكة

ثم الى دمشق ٩ سكة

قدامة[٥٢]

من بغداد الى البردان ٢ سكة

ثم الى عكبرة ٤ سكة

ثم الى سامراء ٧ سكة

ثم الى جبلتا ٧ سكة

ثم الى السن ١٠ سكة

ثم الى الحديثة ٩ سكة

ثم الى الموصل ٧ سكة

ثم الى بدء بلد جبت ١ سكة

ثم الى حدود مقاطعة الموصل حتى

سكة بلد ٣ سكة

ومن بلد حتى أذرمة ٩ سكة

ثم الى نصيبين ٦ سكة

ثم الى كفرتوثا ٣ سكة

ثم الى رأس عين ١٠ سكة

ثم الى الرقة ١٥ سكة

ثم الى النقيرة نهاية المقاطعة

من دير نصر ١٠ سكة

ومن النقيرة الى منبج ٥ سكة

ثم الى حلب ٩ سكة

ثم الى قنسرين ٣ سكة

ثم الى حوران ٧ سكة

---

٥١ –ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص ١١٦–١١٧.

٥٢ –قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٢٧–١٢٨.

ثم الى دير أيوب ٧ سكة

ثم الى طبريا قصبة الاردن ٦ سكة

ثم الى اللجون ٤ سكة

ثم الى الرملة وهي قصبة

فلسطين ٩ سكة

ثم إلى الجفار ١٧ سكة

ثم إلى الداورورة ٩ سكة

ثم الى حماة ٢ سكة

ثم الى حمص ٤ سكة

ثم الى المحمدية ٤ سكة

ثم الى بعلبك ٥ سكة

ثم الى دمشق ٩ سكة

ثم إلى دير أيوب في نهاية

هذه المقاطعة ٧ سكة

ومن دير ايوب الى طبريا ٦ سكة

ثم الى اللاجون في مقاطعة الاردن ٤ سكة

ثم الى الرملة قصبة فلسطين ٩ سكة

قدامة

ثم الى سكة المعينة آخر عمل فلسطين ٩ سكك، ثم الى نهاية الطريق من الجفار حيث تقع سكة الداوورة ١٧ سكة.

ابن خرداذبة وقدامة: من الفسطاط الى الاسكندرية ١٣ سكة، ثم الى جب الرمل على الطريق الى يرقة ٣٠ سكة.

قدامة[53]	ابن خرداذبة[54]
سكك طريق العادل من منبج الى الثغور الشامية	الطريق من حلب الى الثغور الشامية
من حلب الى قنسرين ٩ سكة	من حلب الى قنسرين ٧ سكة
ثم الى انطاكية ٤ سكة	ثم الى انطاكية ٤ سكة
ثم الى اسكندرونة ٤ سكة	ثم الى الاسكندرونة ٤ سكة
ثم الى المصيصة ٧ سكة	ثم الى المصيصة ٧ سكة
ثم الى أذنة ٣ سكة	ثم الى أذنة ٣ سكة

٥٣-قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ١٢٨-١٢٩.

٥٤-ابن خرداذبة. المسالك والممالك ص ٩٩-١١٧-١٤٣.

ثم الى طرسوس ٥ سكة
ومن المصيصة الى عين زربة ٢ سكة
الطريق من طبريا الى صور ٧ سكة
الطريق العادل من نصيبين أرزن
وخلاط من نصيبين الى مدينة أرزن ١١ سكة
ومن بدليس الى خلاط ٤ سكة
الطريق العادل من كفرتوثا الى الشميشاط
من كفرتوثا الى أمد ٧ سكة
ومن آمد الى تل جوفر ٢ سكة
ثم الى الشميشاط ٦ سكة
ثم الى قاليقلا ٢ سكة

ثم الى طرسوس ٥ سكة
سكك اليمن
بني غمرة وصنعاء ٤٩ سكة
ومن صنعاء الى ذمار ٤ سكة
وبين ذمار وعدن ٧ سكة
وبين ذمار والجنط ٤ سكة
وبين صنعاء ومأرب ٧ سكة
وبين مأرب وعبدل وهي
حضرموت على الابل ٩ سكة[٥٥]

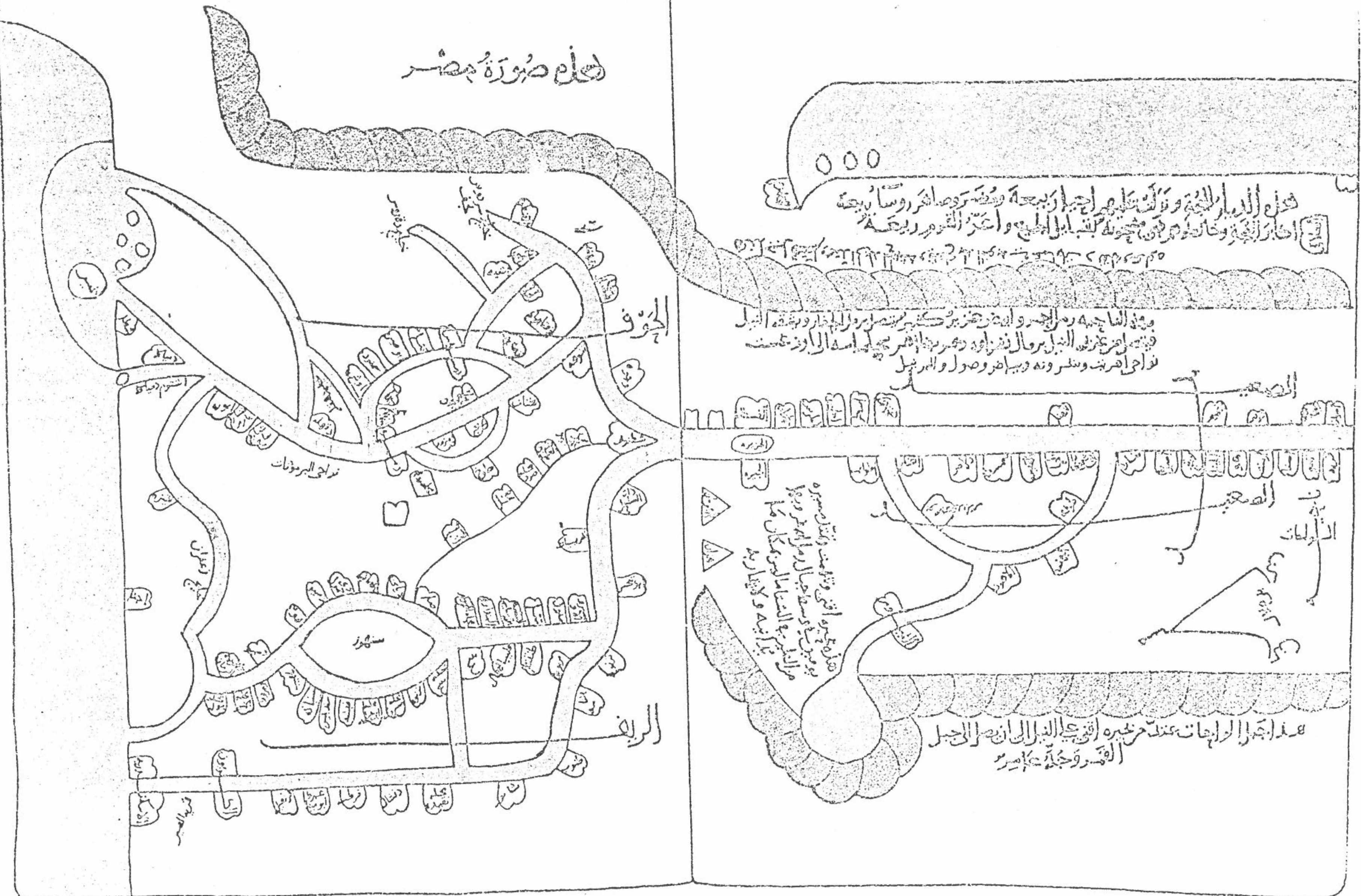
الطريق العادل من ديار مضر الى طريق الفرات
من الرقة الى سكة الديار آخر عمل ديار
مضر ٩ سكة
الطريق العادل من حصن مسلمة الى
الثغور الجزرية على حران والرها من
الحصن الى حوران ٣ سكة
ومن حران الى الرها ٢ سكة
ومن الرها الى شميشاط ٣ سكة
ومن شميشاط الى حصن منصور ٢ سكة[٥٦]

هذه السكك رتبت فيها الرجال لحمل الخرائط وجعلت رسماً للبريد.

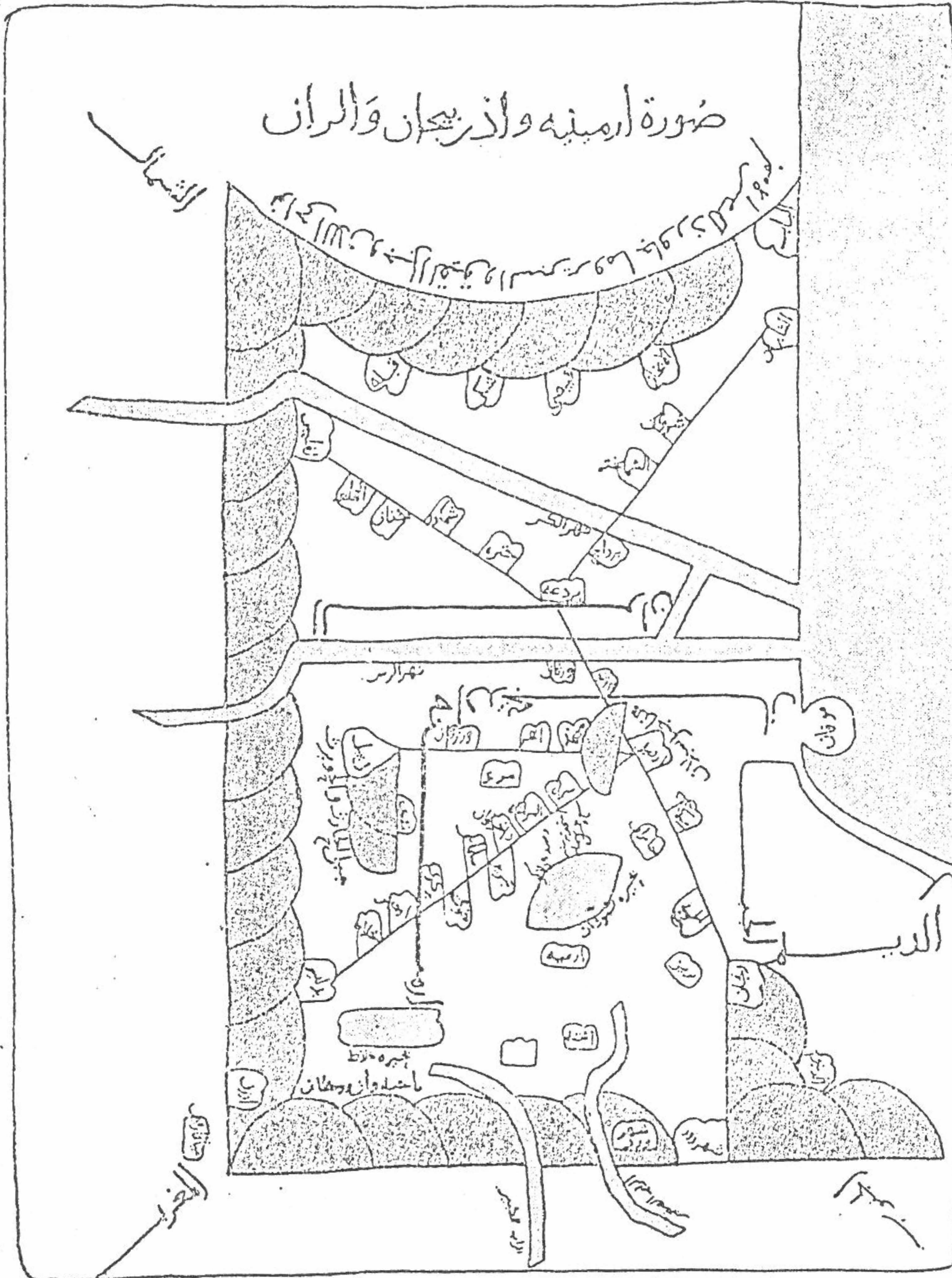
٥٥-ابن خرداذبه. المسالك والممالك، ص ٩٩-١١٧-١٤٣.

٥٦- قدامة ابن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٢٨-١٢٩.

خرائط

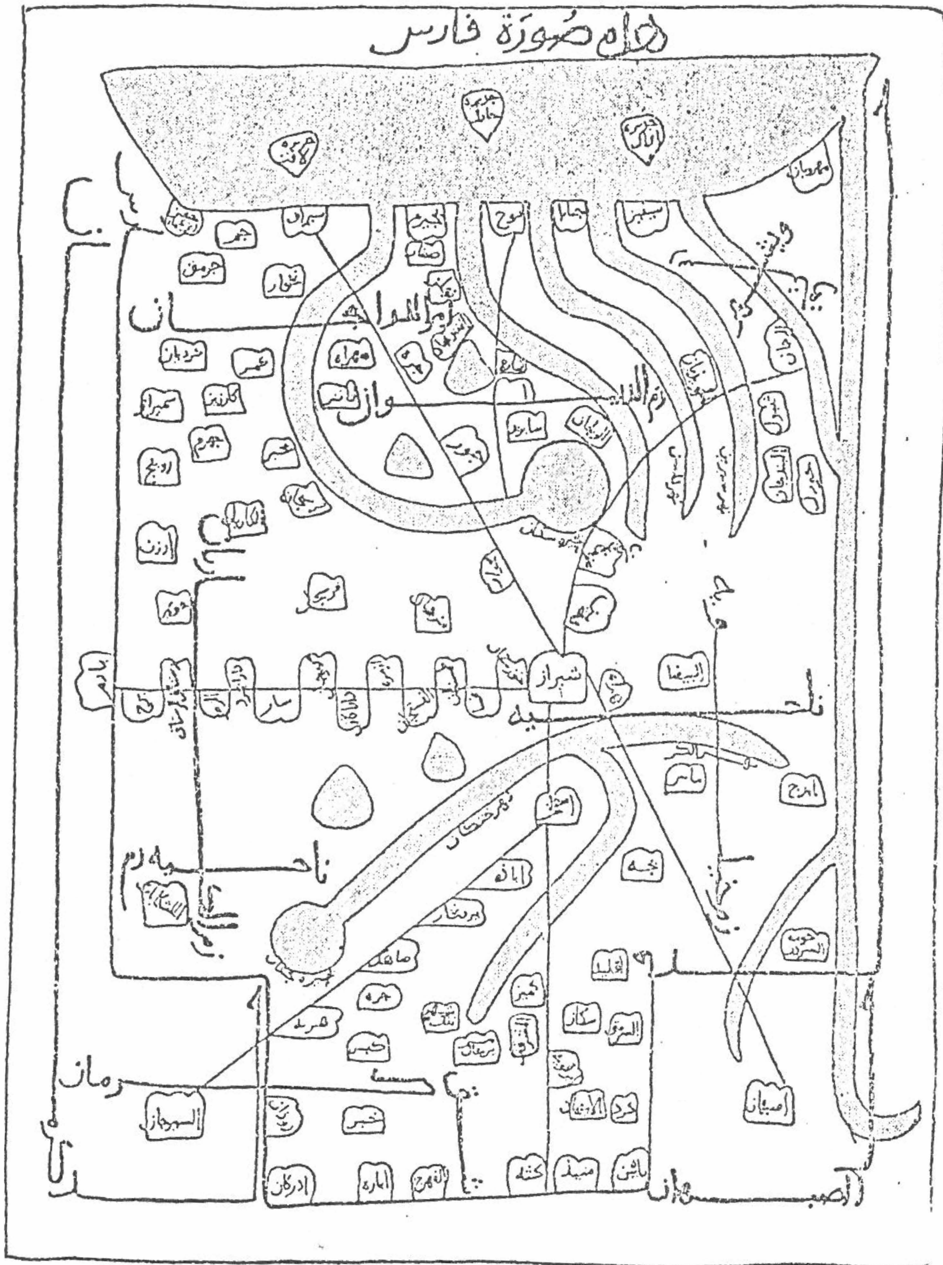


مقابل ص ١٢٤ طرق البريد البرية
صورة مصر التى توجد فى الصفحتين ٣٩ ب و ٤٠ ظ من الأصل،
عن كتاب صورة الأرض لابن حوقل



صورة ارمينيه واذربيجان والران التى فى الصفحة ٩٢ ظ من الأصل،

مقابل ص ٢٢٢ طبعة ليدن الجديدة
عن كتاب صورة الأرض
لابن حوقل



صورة فارس التى فى الصفحة ٧٥ ب من الأصل ،

مقابل ص ٢٦٠ طرق البلاد البرية
عن كتاب صورة الأرض
لابن حوقل

مفازه بين كرمان ومكران والسند والهند

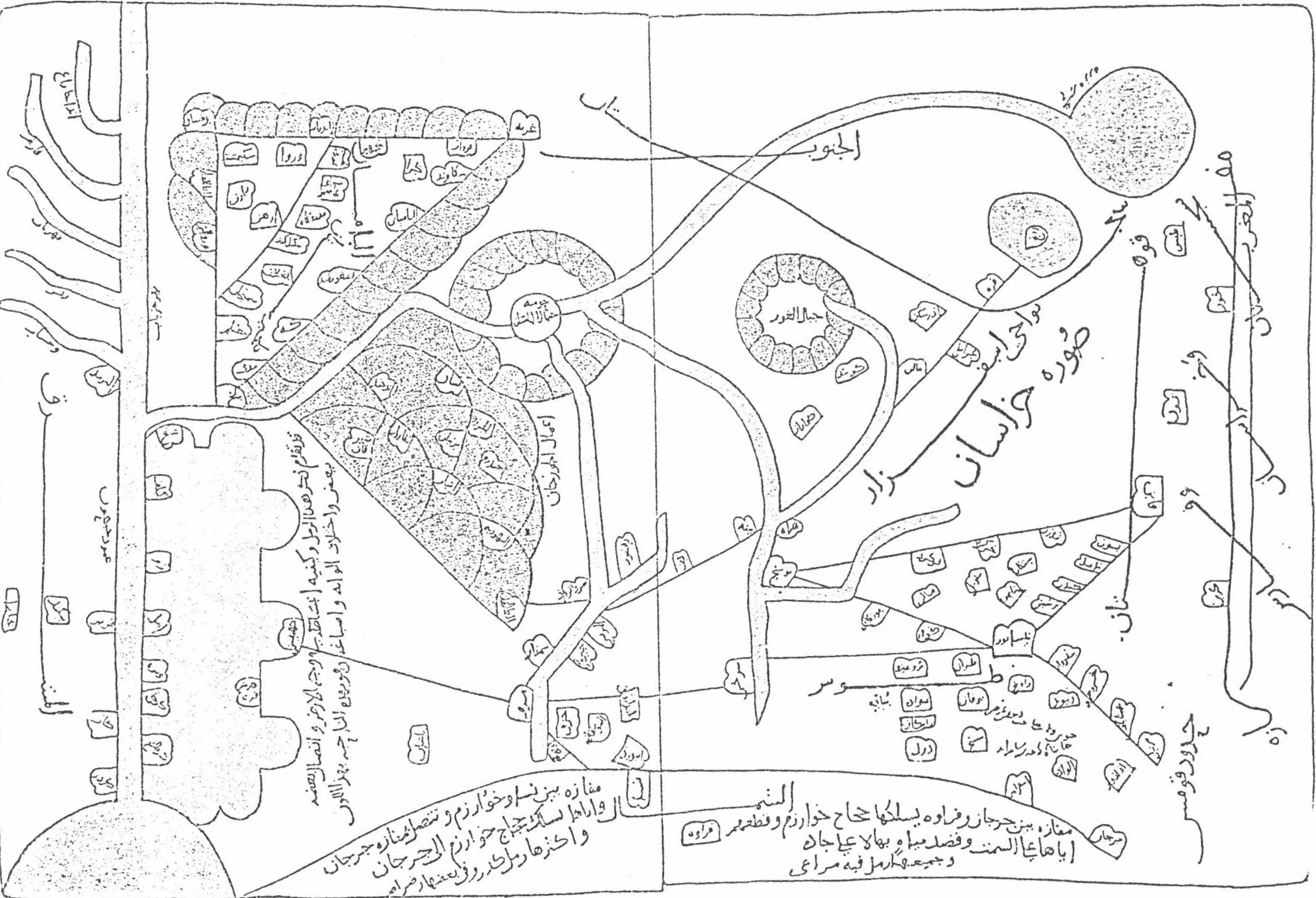
مفازه فارس

صورة مفازة خراسان وفارس التي في الصفحة ١٠٨ ظ من الأصل،

مقابل ص ٢٠١ طرق البريد البرية
عن كتاب صورة الأرض
لابن حوقل

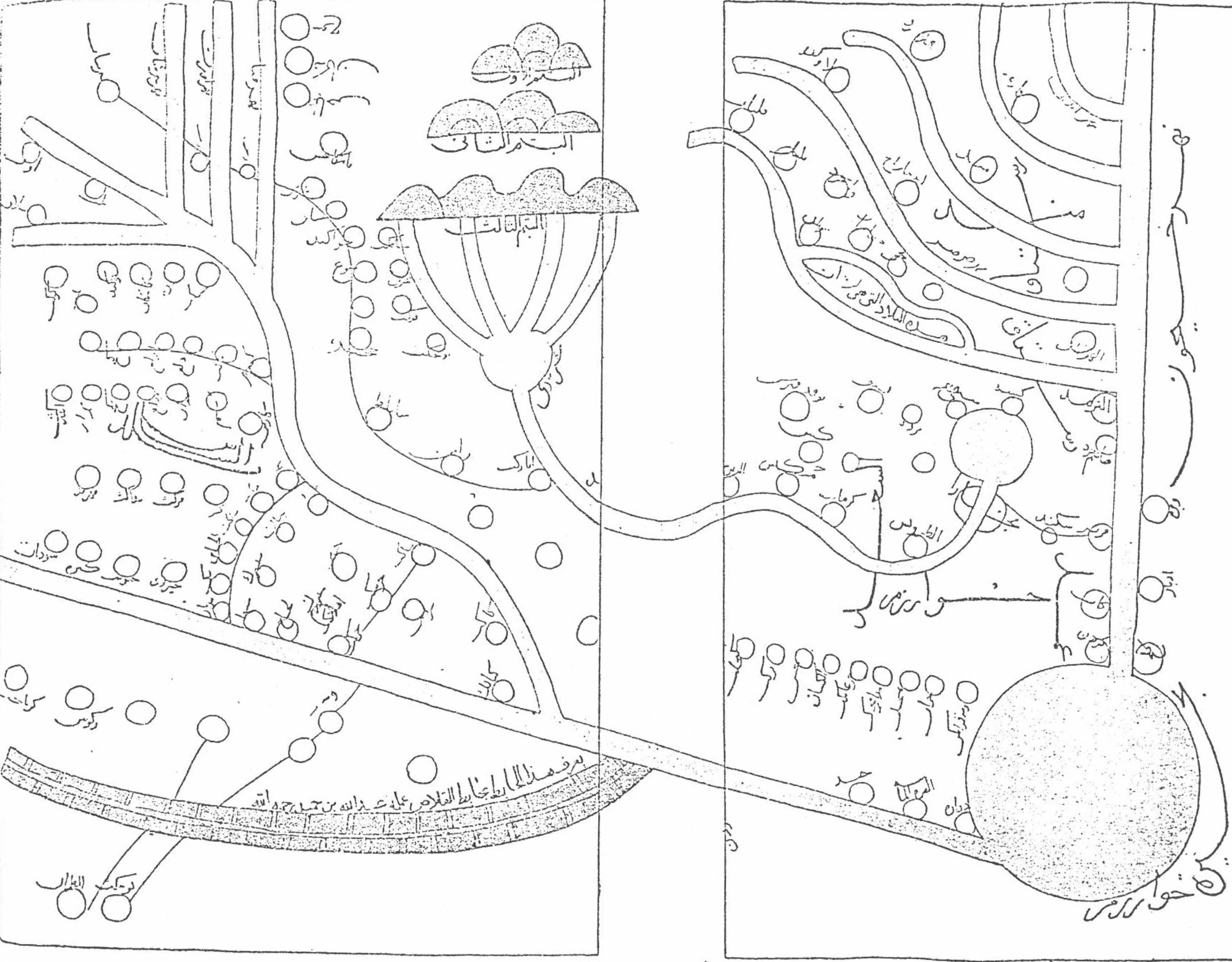
صورة سجستان التى فى الصفحة ١١١ ظ من الأصل،

مقابل ص ٤١٢ طرق البريد البرية
عن كتاب صورة الأرض
لابن حوقل



صورة خراسان التى فى الصفحتين ١١٤ ب و ١١٥ ظ من الأصل،

مقابل ص ٤٦٧ طرق البريد
عن كتاب صورة الأرض
لابن حوقل



مقابل ص ٤٥٩ طرق البريد البرية

صورة ما وراء النهر التي توجد في نسخة كتاب الاصطخري المحفوظة في خزانة مدينة هامبورغ ،

عن كتاب صورة الأرض لابن حوقل

فهارس

فهرس

المصادر والمراجع

١ مصادر:

*ابن الاثير عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت ٦٣٠ هـ ./ ١٢٣٣ م .

أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ ج) : تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنّا، محمد أحمد عاشور . د.ت.

الكامل في التاريخ (١٣ ج) : دار صادر بيروت- ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

*ابن الاثير: مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم السيباني الجزري، ت ٦٠٦ هـ ./١٢٠٩م.

النهاية في غريب الحديث والاثر (٤ ج) : المطبعة العثمانية- القاهرة، ١٣١١ هـ .

*ابن أياس : محمد بن أحمد الحنفي، ت ٩٣٠ هـ . /١٥٢٣م .

بدائع الزهور في وقائع الدهور: تحقيق محمد مصطفى-الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

*ابن بطوطة : شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي، ت ٧٧٧ هـ ./١٣٧٥م.

تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (٢ ج) : الطبعة الاولى المطبعة الازهرية- مصر ١٣٤٦ هـ/١٩٢٨م.

*ابن تَغْرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي، ت ٨٧٤ هـ/١٤٦٩م.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٢ ج) : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.

*ابن جعفر: ابو فرج قدامة ، ت ٣٣٧ هـ/٩٤٨م.

الخراج وصناعة الكتابة: تعليق محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١

*ابن الجوزي: ابو الفرج عد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م.

سيرة عمر بن الخطاب: الدار القومية للنشر، القاهرة، د.ت.

*ابن حجر احمد بن علي بن محمد بن علي الكتاني العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م.

الاصابة في تمييز الصحابة (٤ ج) : مطبعة مصطفى محمد مصر- ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩م.

*ابن خرداذبه : ابو القاسم عبيد بن عبد الله، ت ٣٠٠ هـ/٩١٢م.

المسالك والممالك: مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة الخانجي، د.ت.

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ/١٤٣٢م.

مقدمة: دار الكتاب اللبناني-بيروت ١٩٨٢.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (٧ ج) : مؤسسة جمال للطباعة والنشر- بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

*ابن سعد: محمد بن سعد بن فيع البصري (الزهري)، ت ٥٢٣ هـ/١١٢٩م.

الطبقات الكبرى (٩ ج) : دار صادر- بيروت د.ت.

*ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طبآطبا ، ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩م.

الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية: الطبعة الثانية، مطبعة المعارف- مصر ١٩٣٨.

*ابن عبد الحكم: ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، ت ٢١٤ هـ/٨٢٩م.

فتوح مصر وأخبارها: طبع في ليدن ١٩٣٠م.

*ابن عبد ربه: احمد بن محمد، ت ٣٢٨ هـ/٩٤٠م.

العقد الفريد (٨ج) : تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الاولى- مصر ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

*ابن قتيبة: ابو محمد عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩م.

الشعر والشعراء (٢ ج) : تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف- مصر ١٩٦٦م.

*ابن كثير : ابو الفداء الحافظ ، ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٢م.

البداية والنهاية ١٤ ج: الطبعة الاولى مكتبة المعارف-بيروت ١٩٦٦م.

*ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ/١٣١١م.

لسان العرب(١٥ ج): دار صادر - بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

*ابن هشام البصري: ابو محمد عبد الملك، ت ٢١٨ هـ/٨٣٣م.

السيرة النبوية (٤ ج): تحقيق وضبط مصطفى السقا ابراهيم الابياري عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

*ابو يوسف: يعقوب بن ابراهيم، ت ١٨٢ هـ/٧٩٨م.

كتاب الخراج: المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٢م.

*الاصطخري: ابو اسحاق ابراهيم بن محمد ، ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧م.

المسالك والممالك: الطبعة الثانية، ليدن، مطبعة بريل ١٩٢٧م.

*امرؤ القيس: ابو وهب جندح بن حجر بن الحارث بن العمرو بن الاكبر بن عدي بن معاوية ابن الحارث الكندي ٨٠ ق.هـ/٦٩٩م.

ديوان امريء القيس: تحقيق محمّد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الثالثة، دار المعارف-مصر ١٩٥٨م.

*البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داوود، ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م.

فتوح البلدان: تعليق رضوان محمد رضوان الطبعة الاولى، المكتبة التجارية الكبرى-مصر ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م.

* الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر، ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م.

التاج في أخلاق الملوك: تحقيق أحمد زكي باشا، الطبعة الاولى، المطبعة الاميرية-القاهرة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

الحيوان (٧ ج): تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي-مصر ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.

رسائل الجاحظ (٣ ج) : تحقيق عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي-القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

*الجهشياري: ابو عبد الله محمد بن عبدوس، ت ٣٣٠ هـ/٩٤٢م.

الوزراء والكتاب: تحقيق مصطفى السقا- ابراهيم الابياري- عبد الحفيظ شلبي، الطبعة الاولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

*الصابيء: ابو الحسن الهلال بن المحسن ت، ٤٤٧هـ/١٠٥٦م.

تحفة الامراء في تاريخ الوزراء: تحقيق عبد الستار- أحمد فراج- دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه-مصر ١٩٥٨م.

*الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م.

تاريخ الرسل والملوك (١٠ ج): تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف-مصر ١٩٦١م.

*الظاهري: غرس الدين خليل بن شاهين، ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م.

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك: المطبعة الجمهورية- باريس ١٨٨٢م.

*العمري: شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله ، ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م.

التعريف بالمصطلح الشريف: مطبعة العاصمة-مصر ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

قرآن كريم: توزيع دار التعاون للنشر والتوزيع ، عباس احمد الباز، مكة المكرمة-١٩٦٣م.

*القرطبي: عريب بن سعد ، ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م.

ذيول تاريخ الطبري: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم- دار المعارف- القاهرة د.ت.

*القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م.

صبح الاعشى في صناعة الانشاء ١٤ ج: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت. .

الكتاب المقدس

العهد العتيق دار المشرق المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٨٦م.

*الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير الحسني، ت١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

نظام الحكومة النبوية المسنى التراتيب الادارية(٢ ج): طبعة بيروت، د.ت. .

*الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م.

الاحكام السلطانية والولايات الدينية: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

*المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد المبرد، ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م.

الكامل في اللغة والآداب (٢ ج): تعليق محمد ابو الفضل ابراهيم- السيد شحاتة، مكتبة نهضة مصر- مطبعة الفجالة- القاهرة، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

*المسعودي: ابو الحسن علي بن حسين بن علي، ت ٣٤٦هـ/٩٦٠م.

التنبيه والاشراف: مراجعة عبد الله اسماعيل الصاوي ومكتبة المثنى بغداد، د.ت.

مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ ج: طبعة بربيه دي مينار وباڤيه دي كرناي، تصحيح شارل پيلا - بيروت ١٩٦٥م.

مسكويه: ابو علي احمد بن محمد، ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م
تجارب الامم ج٢، شركة التمدن الصناعية مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤

*المقدسي: شمس الدين ابو عبد الله البشاري، ت ٣٥٥هـ/٩٦٦م.

احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم: الطبعة الثانية، مدينة ليدن، مطبعة بريل ١٩٠٦م.

*المقريزي: تقي الدين ابو العباس احمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م.

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية (٢ ج) : دار صادر- بيروت، د.ت. .

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢ ج: مطبعة دار الكتب المصرية-القاهرة ١٩٣٦م.

٢- المراجع

*ارسلان، شكيب

تاريخ غزوات العرب: مطبعة عيسى البابي الحلبي- مصر د.ت.

*أمين، أحمد

فجر الاسلام: الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية-القاهرة ١٩٥٩م.

*ايوب، ابراهيم

التاريخ العباسي السياسي والحضاري: الطبعة الاولى- الشركة العالمية للكتاب-بيروت ١٩٨٩م.

*حسن، حسن ابراهيم

تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية-القاهرة ١٩٦٥م.

*حسن، علي ابراهيم

تاريخ المماليك البحرية: الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية- مصر ١٩٤٨م.

النظم الاسلامية: الطبعة الاولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩م.

*الخضري، محمد

محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية: مطبعة دار احياء الكتب العربية، أصحابها عيسى البابي الحلبي-مصر ١٣٣٩هـ/١٩٢١م.

*زيدان، جرجي

تاريخ التمدن الاسلامي: طبعة جديدة مراجعة حسين مؤنس، دار الهلال-مصر د.ت.

السامرائي، قوام حسام

المؤسسات الادارية في الدولة العباسية: تقديم عبد العزيز الدوري، عمان، ١٩٧١.

*سليم، حسن

مصر القديمة ٢ ج: مطبعة كوثر الفجالة، مصر .د.ت. .

*شلبي، أحمد

التاريخ الاسلامي: مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٦٦.

*الصالح، صبحي

النظم الاسلامية: الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين- بيروت ١٩٧٨م.

*الطهطاوي، رفاعة

الاعمال الكاملة: الطبعة الاولى المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ١٩٧٣.

*العدوى، احمد ابراهيم

النظم الاسلامية: مكتبة الانجلو المصرية- ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

*علي، جواد

تاريخ العرب قبل الاسلام: مطبعة المجمّع العلمي العراقي ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام: الطبعة الاولى، دار العلم للملايين، ١٩٧٠م.

*غنام، عبد الغني

الحمام وتربيته: مطبعة وادي الملوك - مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

*كحالة، عمر رضا

دراسات اجتماعية في العصور الاسلامية: المطبعة التعاونية، دمشق ١٩٧٣م.

*كرد علي، محمد

الاسلام والحضارة العربية: الطبعة الثانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة ١٩٥٩م.

*ماجد، عبد المنعم

التاريخ السياسي للدولة العربية: الطبعة الثالثة- مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة ١٩٦٥.

*منيمنة، حسن

تاريخ الدولة البويهية: منشورات الدار الجامعية- بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

نجيب، مخائيل ابراهيم

مصر والشرق الأدنى القديم: الطبعة الأولى دار المعارف مصر ١٩٦١

مراجع أجنبية معربة

*ايست ، جوردون

الجغرافية توجه التاريخ: ترجمة جمال الدين الدناصوري، مراجعة دولت احمد صادق، دار الهلال - مصر د.ت. .

*بارتولد، أف

تاريخ الحضارة الاسلامية: ترجمة حمزة طاهر، الطبعة الثالثة، دار المعارف- مصر د.ت. .

*پرستد، جايمس هنري

انتصار الحضارة: نقله الي العربية أحمد فخري، مكتبة الانجلو- المصرية- القاهرة د.ت. .

*پروكلمان، كارل

تاريخ الشعوب الاسلامية: نقله الى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥م.

*جيبون، ادوارد

اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها: نقله الى العربية محمد علي ابو درة، راجعه احمد نجيب هاشم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت. .

*دي لاپورت، ل

بلاد ما بين النهرين: تعريب محرم كمال، ومراجعة عبد المنعم ابو بكر- مكتبة الآداب المطبعة النموذجية- الحلمية الجديدة، د.ت. .

*ريدج، أ.هـ

البريد: ترجمته الى العربية الامانة العامة للاتحاد البريدي العربي طبع في مصر وسويسرا ١٩٧٤م.

*متز، أدم

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هـ: نقله الى العربية محمد عبد الهادي الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٦٧م.

*مولوي، حسيني

الادارة العربية: ترجمة ابراهيم احمد العدوى، مراجعة عبد العزيز عبد الحق، المطبعة النموذجية- الحلمية الجديدة، د.ت. .

المراجع الاجنبية

Arnold /William Thomas: w,t: The roman system of provincial administration Oxford. 1914.

Demombynes, Gaudefroy: La syrie à l'époque des Mamlouks , librairie orientaliste Paul Geuthner- Paris- 1923.

Des champs, Paul: Les chateaux des croisés en terre Sainte le Crac. des chevaliers. tome 1 (texte) Geuthner,Paris- 1939.

Dictionnaire encyclopédique, quillet, librairie aristide quillet, Paris 1965.

Encyclopédia Britannica, 1,N,C, . William Benton, publisher. Chicago: London, toronto 1961.

Encyclopédie de l'Islam, art, Barid E 2. T1, Maisonneuve, Paris-1960.

Encyclopaedia, universalis, éditereur à Paris publication sep, 1974.

Gibbon, Edward: The rise and fall of the roman empire London,. Penguin books 1960.

Lammens, Henri: Etudes sur le siècle des omayyades, imprimerie catholique, Beyrouth- 1930.

Sauvaget, Jean: La poste aux chevaux dans l'Empire des Mamlouks. Librairie d'Amérique et d'Orient. Adrien- Maisonneuve- Paris- 1941.

مجلات ودوريات

- دائرة المعارف الاسلامية، نقلها الى العربية عباس محمود، عبد الحميد يونس، دار الشعب- القاهرة د.ت. .

"مجلة الكويت" العدد ٥٩ ذي القعدة، الكويت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- المقتطف، مجلد ٢٧ ج ١٢، القاهرة ديسمبر ١٩٠٢.

-١- الأعلام

-أ-

-ب-

-خ-

-د-

-ر-

-ز-

-س-

-ش-

-ص-

-ض-

-ط-

-ع-

-ف-

-ق-

-ك-

-م-

-ن-

-هـ-

ـوـ

ـيـ

٢ ـ الأماكن

ـأـ

-ب-

-ت-

-ج-

-ح-

-خ-

-د-

-ر-

-س-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

-غ-

-ف-

-ق-

-ك-

-ل-

–م–

–ن–

-هـ-

-و-

-ي-